بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السـودان

جامـعةأم درمان الإسـلامية

معـهد بحوث و دراسات العالم الاسلامي

بنو إسـرائـيل منذ وفاة سليمان
وحـتى نـهايـة السـبي الـبابـلـي

رسالـة معدة لنيل درجـة الدكتوراة في التاريخ القديم

أعـدهـا الطـالب/ عبـد الرحـمن مـحمد خـليـل الـخطـيب

بـإشـراف

الأسـاذ الـدكـتور/ عمـر حـاج الـزاكـي

١٤٢٦ ـ ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: " أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ "

(صدق الله العظيم)

الإهــــــــــداء...

ـ إلى روح شيخ مجاهدي فلسـطين أحمـــد يـاسـين...

المقعد الذي ما عرف القعود، فأقض بثباته مضاجـع اليهـود.

ـ إليك يا من علمت كل أطيار فلسطين حتـــى سابقت النســور .

فهل نكتب التاريخ دونـك، أم نكتفي بما قالــه الشـعراء فيــك :

لم يقتلوك، وإنما نصبوا لنا
علماً من الشّرف العظيم رفيعاً.

ـ إلى كل الشهداء الأطهار الذين رووا – وما زالوا – ثرى فلسطين بدمائهم الزكية رافعين عالـياً راية الجــهاد والاستشهاد .

ـ إلى كل الذين ما زالوا على الدرب سائرين رُغمَ القتل والتشريد والارهاب والمِحَن .

إلى هـؤلاء جميعـاً أهــدي هذه الكلــمات...

بين يدي البحث

الحمد لله الأول في ربوبيته، والقديم في أزليته، والحكيم في سلطنته، والكريم في عزته، لا شبيه له في ذاته وصنعته، ولا نظير له في مملكته، صانع كل شيء مصنوع بقدرته، ، أحمده على نعمته، وأستعين به على دفع نقمته، هو الله ربي وحده لا شريك له الواحد في ربوبيته، الذي يختصر، من يشاء برحمته، ختم الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وعترته.

أما بعد:

فعندما اخترت هذا البحث أشفق على شيخي وأستاذي الدكتور/ عمر حاج الزاكي من وعورة المسلك وحزونة الطريق ، إلا أنّه بصبره وسعة علمه كان يدلني على أعلام الطريق وينير لي الدرب مرشداً ومصححاً وباثاً في نفسي العزيمة ، ومذللاً ما كان يبرز بين حين وآخر من صعاب وعقبات رائدة في ذلك ما في العلم من مسؤولية وأمانة ، وفيض من رعاية المعلم وحرصه على إنارة السبيل ، ولئن عجزت الكلمات عن توفيته حقَّه من الشكر والعرفان الذي هو أهله ، فإنه لا يسعني إلا أن أدعو الله أن يجزيه عنّي خير الجزاء .

ولا أنسى في هذا المقام أن أتقدم بوافر الشكر إلى السودان حكومة وشعباً، وإلى معهد العالم الإسلامي للدراسات العليا بجامعة أم درمان الإسلامية رئيساً وهيئة تدريسية ، كما لا يفوتني أن أشكر أولئك الجنود المجهولين في دار الكتب القطرية، ومكتبة جامعة قطر ، ومكتبة الأوقاف الإسلامية بدولة قطر حيث أنجزت هذا البحث.

أمّا أولئك الذين عانوا وأعانوا بصبرهم زوجتي وأطفالي فلهم منّي كل الحب، كما أشكر لكل من أعان بمعلومة أو بنصحٍ أو نقاش ، والله أسأل السداد والتوفيق، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد الرحمن الخطيب

ملخص البحث

لعل الموقع الجغرافي المميز لفلسطين كان على الدوام سبباً في جعلها مطمعاً لكل طامع ومطمحاً لكل طامح ولم تنعم فلسطين بالأمن والأمان إلا في ظل قوة مصر وبلاد الرافدين والشام ، وفي فترات ضعف هذه القوى تصبح فلسطين ممراً تدوسه سنابك خيول المتصارعين و الغزاة.

لذا نجدها في حالات الضعف تغدوا صيداً سهلاً للكثير من الشعوب والأجناس فيفد اليها بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وكذلك قبائل البالست التي أتت من بحر أيجة وغيرهم من الأقوام التي عاشت على أرضها ومن هنا كان بنو إسرائيل أهم من كان له أثر في تاريخها حتى اليوم، فأسسوا ملكاً في عهد داوود ثم ابنه سليمان – عليهما السلام – وتبع ذلك ما كان من انقسام حل ببني إسرائيل لانحرافهم عن عقيدة التوحيد وأدى ذلك إلى قيام مملكتين حملت كل منها العداء لأختها فكانت مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة ، ومملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم.

وهذان الكيانان الصغيران وبرغم الشقاق بينهما لم يكونا على وئام مع الجيران إلا لماماً ، وإنما الصفة الغالبة للعلاقات بينهما من جه وبين دول الجوار من جه اخرى كانت عدائية نتيجة التحالفات غير المدروسة التي أدت في النهاية إلى زوال المملكتين من الوجود .

فالأولى إسرائيل زالت على أيدي الآشوريين في أيام سرجون الثاني الذي أنهى الملك وخرب السامرة ، ونفى كل الشعب إلى بلاد الرافدين ولم يرجع منهم أحد.

وأما المملكة الثانية يهوذا فلم تكن أحسن حظاً من أختها فقد قادها حظها العاثر لتكون لقمة سائغة للبابليين (الكلدانيين) فكان من وضع نهايتها نبوخذ نصر الزعيم الكلداني الشهير ، الذي قاد شعبها أسارى إلى بابل وقد عاش شعب يهوذا في الأسر قرابة نصف قرن إلى أن تبدل الحال في بلاد الرافدين .

واستولى الفرس على منطقة الشرق الأدنى القديم واعتلى سدة الحكم في بلاد الرافدين قورش الفارسي الذي قضى على حكم بابل ، وأمر في السنة الأولى من حكمه بعودة السبي اليهودي إلى أورشليم ((فلسطين))، وأمرهم ببناء الهيكل ، أي معبد سليمان مرة أخرى بعد أن كان قد دُمِّرَ على يد نبوخذ نصر أثناء انهيار المملكة.

ومما عَرَضَ له هذا البحث أن اليهود العائدين من السبي رجعوا إلى أورشليم يحملون توراة جديدة كتبت أثناء سنوات السبي ، وهي توراة مغايرة تماماً لتوراة موسى – عليه السلام - ، بل إن الشريعة اليهودية التي كانوا عليها بعد العودة غير تلك الشريعة التي تركها موسى ومن بعده

داوود وسليمان -عليهم جميعاً السلام – فظهر ما سمي بالثالوث ((ثالوث عزرا)) أحد أنبياء السبي

بمثابة الدين الجديد ، الذي يتمثل في ((يهوه – الشعب المختار – الأرض الموعودة)) يهوه الإله الشرير الباطش الذي يفعل كل ما يريده اليهود .

والشعب المختار هو شعب إسرائيل الذي هو صاحب النزاهة والرفعة والنقاء العرقي ، في حين أن الشعوب الأخرى هم الغويم "العبيد".

والأرض الموعودة هي أرض فلسطين التي أعطاها الرب لليهود دون غيرهم وهاهم يمارسون هذا الثالوث ويحاولون السيطرة على كل شعوب الأرض بعد أن احتلوا فلسطين بعون الكيانات الكبرى في العالم ن والرب يهوه في خدمتهم على الدوام حسب زعمهم .

وبذلك كان السبي البابلي تحول خطير في تاريخ اليهود ماضياً وحاضراً.

Summary of Study

The geo-strategic status of Palestine was always the main reason for arousing interest of the foreigners in the country.

In the past Palestine witnessed peace only when the neighboughring countries, namely Egypt, Syria and Mesopotamia had it. And when these countries were in a weaker position, Palestine was invaded by the armies of various conflicting peoples. This is what happened when the people of Israel were ousted from Egypt and migrated to Palestine.

The people who had the greatest impact on the history of Palestine were the – so called – the Sons of Israel , who founded a kingdom in the country in the days of King David and his son King Solomon (peace be upon Them) . However, the kingdom was soon after spilt into two rather smaller conflicting states: the Kingdom of Israel in the north with Al-Samerah as its capital, and the Kingdom of Yehodah in the south, the capital of which was Jerusalem.

The two states never existed in peace with their neighboughrs (except for very short intervals). And this endless

animosity with their neighbors finally resulted in the extinction of both states.

The Kingdom Israel was destroyed by the Assyrians under the leadership of Sargon II, who invaded the Kingdom, destroyed its capital, Al-Samerah, and exiled the people of Israel to Mesopotamia. They never returned to Palestine.

The Kingdom of Yehodah had no better luck. It was overrun eventually by the Kildo-Babylonians under the leadership of Bukhtanasar, who drove the whole people of Yehodah to captivity in Babylon. They lived there for about half a century till the political status of Mesopotamia changed.

When the Persians conquered the ancient Middle East under the leadership of Qorash and occupied Mesopotamia, the new emperor ordered, within the first year of his reign, the people of Israel to return to Jerusalem (Palestine) and rebuild the Temple of Solomon, which was demolished by Bukhtansar.

One of the main points highlighted in this study is that the Jewish people, who returned from the captivity of Babylon, carried a New Torah with them, which was laid in the captivity era. It was totally a new scripture because it was different from that which was revealed to Prophet Moses (peace be upon Him).

It was also different from Sharia which prevailed in the days of King David and his son King Solomon (peace is upon them). Thus appeared what is known as the Jewish Trinity of Gorraha, who was one of the prophets of Israel in the captivity era. The Jewish Trinity (other than the main stream Christian Trinity) consisted of Yehvah, the Chosen People and the Promised Land.

Yehvha was the vicious god of Israel, who did whatever the Jewish people wanted to do. The Chosen People were the sons of Israel who were – allegedly – considered the purist mankind race on earth. They had supremacy on all over the other peoples. And the rest of humanity were called Goveems (or slaves), who were destined to serve the Jewish people. Finally, the Promised Land (Palestine) was granted exclusively to the sons of Israel by Yehvah.

Today, Zeonists are practicing exactly what was implicated by the Jewish Trinity. They have occupied a land which is not theirs, exiled another people to Diaspora, and god Yehvah has always been on their side, as been claimed.

In conclusion, the Babylion captivity era was a crucial turning point in the life of the Jewish people, which had the gravest consequences on the history of Palestine.

المقدمة

حملني على البحث في أمر " بني إسرائيل بعد وفاة سليمان – عليه السلام – وحتى نهاية السبي البابلي " عدة أسباب هي :

اولا : أن لفلسطين مكانتها وأهميتها الاستراتيجية بالنسبة لمنطقة الشرق الأدنى القديم، وفي هذا الصدد يمكن القول أن فلسطين كانت بمثابة البوابة التي بفتحها أو غلقها يتم التأثير بالسلب أو الإيجاب على بلدان الشرق الأدنى القديم .

كما أن موقع فلسطين فرض عليها أن تكون دائماً محمية إما لمصر في فترات قوتها، وإما لبلاد الرافدين في أوقات قوتها . وذلك لأن موقعها الجغرافي وصغر مساحتها – وأطماع الإمبراطوريات الكبرى – القوية المجاورة لها لم تمكنها من أن تكون كيانا سياسيا مستقلا بذاته ولكن " عظمة " صراع بين الأمم القديم .

ثانيا: الاعتزاز العميق بالإسلام وحضارته، والإحساس بأن الأمة الإسلامية قاطبة أشد حاجة في هذا الظرف بالذات لإظهار حقيقة تاريخ اليهود القديم بفلسطين، وكذلك تأكيد أصالة عروبة فلسطين منذ العهد الكنعاني .

ثالثا: شجعني على خوض غمار هذا البحث الزعم اليهودي بالحق الديني والتاريخي في أرض فلسطين ملكا أبديا لهم .

ونأخذ على الكثير من أبناء جلدتنا من العرب وأبناء عقيدتنا من المسلمين الذين كتبوا في موضوع تاريخ اليهود أنهم لم يتناولوا هذا الامر في بحوثهم إلا عرضا، ولعل مرد ذلك اصطباغ مصادرهم بصبغة اختصاصية تنحصر في البحوث الآثارية لذلك انحصرت معظم بحوثهم في عصور الجاهلية السابقه للاسلام على الأكثر، تاركين بذلك فراغا في تاريخ العرب في فترة النبي إبراهيم ثم النبي موسى ومن بعدهم مملكة داوود وسليمان –

عليهم جميعا السلام – كما أغفلوا أهم الفترات في تاريخ اليهود، وهي فترة الانقسام بعد سليمان وحتى عودتهم من السبي على يد قورش الفارسي، ففي هذه الفترة كتبت التوراة المحرفة وتغير الدين اليهودي، وظهر ما يسمى بثالوث عزرا.

وصدق أكرم زعيتر حين قال ((إن اليهود قد استعانوا على اغتصاب بلادنا فلسطين بتزيف الحقائق أكثر مما عنينا نحن بإيضاحها))[١]

رابعا :أهم الأسباب التي دفعتني للبحث في هذا الموضوع أن مرحلة السبي البابلي هي أخطر مرحلة في التاريخ اليهودي وذلك لكونها فاصلة بين تاريخين ما قبل السبي وما بعده . وكل منهما اختلفت عن الأخرى كما ولكل منها مزاياها الواضحة، فخلال السبي صيغت ودونت كل ملامح التاريخ اليهودي الذي تلي السبي وحتى يومنا هذا .

وفي تناولنا قسمنا البحث إلى سبعة فصول :

الفصل الأول : ويحوي خلفية تاريخية لأحوال بني إسرائيل منذ إبراهيم – عليه السلام – إلى ما قبل انقسام المملكتين إسرائيل ويهوذا . وذلك لصعوبة الولوج إلى حقبة تاريخية معينة قبل تناول الحقبة التي سبقتها من الناحية الزمنية .

وعليه تم تناول تاريخ بني إسرائيل السابق لفترة الدراسة بصورة مقتضبة من أجل إعطاء الموضوع كيانه العضوي المتكامل . فكان أن تتبع الباحث هذا التاريخ منذ إبراهيم حتى سليمان عليهما السلام .

تناولنا هذه الأدوار بالترتيب فبدأ بسيرة إبراهيم – عليه السلام – وذريته من بعده، وهذه فترة مستقلة من تاريخ بني إسرائيل ثم تناول الحقبة الثانية الخاصة بموسى – عليه السلام – وصراعه مع الفرعون، والخروج من مصر، وهذه حقبة لها أهميتها واستقلاليتها عن حقبة البحث لأن الفترة الزمنية بين موسى – عليه السلام – والانقسام تقرب من ستة قرون .

---

[١] - أكرم زعيتر : مؤرخ فلسطيني معاصر

أما الحقبة الأخيرة والتي نرى أيضاً تقسيمها إلى عهدين عهد القضاة والملوك، والذي ينتهي بملك داوود – عليه السلام – ومن بعده ابنه سليمان آخر الملوك الذي قال على لسان المولى عز وجل : ((قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ))[١] وكان هذا نذير الانقسام بعد وفاته . والعهد الثاني الذي شهد الانقسام إلى مملكتين وهو موضوع هذه الدراسة .

الفصل الثاني : ويحتوي نهاية حكم سليمان وانشقاق القوم بعد الفتنة التي ظهرت في أواخر عهد سليمان – عليه السلام – ثم ظهورها واضحة بعد وفاته والتي تجسدت واقعيا في مملكة إسرائيل في شمال فلسطين وعاصمتها السامرة، ومملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم .

كما قام الباحث بتصنيف حياة المملكتين من خلال ملوك كل منهما وسرد الأحداث التاريخية التي حدثت فيهما مع ذكر الوضع الديني والسياسي، والتحالفات السياسية والحرب والسلم بين المملكتين .

الفصل الثالث : ويحتوي على العلاقة بين المملكتين إسرائيل ويهوذا، والتي لم تكن على ود وسلام إلا لماما وان الصفة السائدة لهذه العلاقة هي الحرب والعداء والدسائس والاغتيالات كما تحالفت كل منها ضد الأخرى . ويضم الفصل أيضاً علاقة المملكتين مع الآراميين في الشام والتي شابها العداء ومصر والفلسطينيين والفينيقيين لأن هذه الكيانات كان لها الأثر الهام في الأحداث التاريخية الخاصة بمملكتي بني إسرائيل سواء بالسلب أو الإيجاب .

الفصل الرابع : ويحتوي نشؤ الإمبراطورية الأشورية وتوسعها وأهم الأحداث التي فعَّلَ بها تاريخ أشور ثم يتناول علاقة مملكة إسرائيل بأشور وكيف انتهت هذه العلاقة نهاية كارثية نتج عنها زوال مملكة إسرائيل إلى الأبد . ولم يعد إلى أرض فلسطين بعدها من أهلها أي فرد حسب المصادر التاريخية .

---

١ - سورة ص : آية ٣٥

الفصل الخامس : ويحتوي على أصل الكلدانيين وظهورهم وأهم الأحداث والتحالفات التي خاضوها حتى استتب لهم الأمر في بابل ليرثوا الإمبراطورية الآشورية ومن ثم تتحرك جيوشهم نحو الشام وفلسطين وتكون نهاية يهوذا على أيديهم .

الفصل السادس : ويحتوي على عرض موجز لتاريخ مصر منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد حتى زوال دولتي إسرائيل ويهوذا . والسبب في اختيار هذا الفصل لما لمصر من دور كلاعب إقليمي مركزي في الأحداث بصورة عامة في منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة فلسطين . وتشير الآثار التي عثر عليها في مصر العليا أن الكثير من اليهود وجدوا في مصر الملاذ الآمن أثناء تدمير مملكة يهوذا [*] من قِبَل الكلدانيين . وبحكم جغرافية فلسطين وقربها من مصر عملت مصر على الدوام أن تكون فلسطين تابعة لها ففلسطين البوابة الاستراتيجية لكل من أراد أن يفرض سطوته على الجناح الآسيوي من منطقة الشرق الأدنى القديم او غزو مصر ذاتها .

الفصل السابع : ويحتوي على قصة السبي البابلي، والعودة وقد تناول فيه الباحث السبي الأول (٧٢١ ق .م) ونهاية مملكة إسرائيل والسبي الثاني (٥٨٧ ق. م) ونهاية مملكة يهوذا . ثم علاقة اليهود بالفرس أثناء السبي وعودتهم على يد قورش أول ملوك الفرس وقد تبين في هذا الفصل أن التوراة التي بين أيدينا اليوم كتبت في بابل أثناء السبي كما كتب البعض من أسفارها بعد العودة وفى هذه الأسفار صورة حياتهم في السبي وأحوالهم بعد العودة، والحديث عن بناء هيكلهم المزعوم في أورشليم .

---

* - رقيم كتب باللغة الآرامية كتبته جماعة عبرانية بمصر إلى حاكم فلسطين الفارسي في القرن الخامس قبل الميلاد . تم اكتشافه في سنة (١٩٠٧م) بين انقاض اخربة مدينة الاليفانتين في مصر العليا، حيث كانت تقيم جماعة مؤلفة من ست مائة إلى سبع مائة عبراني هاجروا إلى مصر أثناء تخريب نبوخذ نصر أورشليم ، وكانت هذه الجماعة قد بنت هيكلا ليهوه على ضفاف النيل وفي هذا الرقيم كلام صريح أن كهنة المصريين الحسودين ألفوا عصابة من الأوباش وأحرقوا هيكل العبرانيين بعد أن سلبوا ما كان فيه من الآنية الذهبية والفضية . ولثلاث سنين متوالية حاولت الجماعة الحصول على رخصة لإعادة البناء ولم تفلح . وفي سنة (٤٠٧ ق.م) قام زعماء الجماعة وكتبوا هذا الرقيم إلى باغواس الحاكم الفارسي على فلسطين والتمسوا منه أن يستعمل نفوذه مع حاكم مصر الفارسي ليسمح بإعادة بناء هيكلهم الخرب . والرقيم مكتوب بالحبر والقلم على ورق البردى [١]

١- جمس هنري برستد (العصور القديمة)، ت داوود قربان، عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ص ٢٣٣

وفي الختام ركز الباحث على نظرة القرآن الكريم للتوراة من خلال الآيات التي تحدثت عن اليهود في معظم أدوارهم التاريخية .

هذا البحث يتناول من الناحية الزمانية (تاريخ بني إسرائيل منذ وفاة سليمان وحتى نهاية السبي البابلي)، حيث كانت وفاة سليمان – عليه السلام – نحو عام (٩٢٣ق.م)، ولما كان اعتبار الفصل الأول من البحث بمثابة مقدمة تاريخية تتناول تاريخ بني إسرائيل منذ ظهور إبراهيم عليه السلام كان لا بد من مد البساط الزمني للبحث نحو القِدَمْ حتى عام (١٩٠٠ق.م) وهذا التاريخ على الأرجح هو تاريخ ظهور إبراهيم – عليه السلام – والذي يعتبر الجد الأول لبني إسرائيل .

أما بخصوص نهاية البحث من الناحية الزمنية فقد تم تحديدها بنهاية سنوات السبي البابلي والذي يبدأ من عام (٧٢١ق.م) نهاية مملكة اسرائيل و (٥٨٦ق.م) نهاية مملكة يهوذا وينتهي بعودة سبي مملكة يهوذا على يد قورش الفارسي الذي حكم بين عامي (٥٥٠ق.م – ٥٢٩ق.م) . وكانت نهاية العودة من السبي عام (٤٣٢ق.م تقريباً وهي السنة التي عاد فيها أنبياء بني إسرائيل المسبيين عزرا ونحميا .

أما بخصوص الحدود المكانية للبحث فتشمل (بلاد كنعان) – فلسطين على وجه الخصوص، ومنطقة الشرق الأدنى القديم عامّة بما فيها بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر.

وفي نهاية هذه المقدمه أجد لزاما علي الوقوف عند مصادر هذا البحث والتنويه لطبيعتها، فالموضوع يعتبر ضمن مواضيع التاريخ القديم أي قبل الميلاد بحوالي الف وثمانمائة عام، لذلك كانت غالبية مصادره تاريخية أثرية وهذه المصادر جلها تعتمد على الكتابات التوراتية باستثناء البعض منها الذي بنى حقائقه التاريخية على بعض النقوش والآثار التي توفرت في بعض مراكز الحضارات القديمة مثل مدينة (العمارنة) والرسائل المشهورة باسمها أو مدينة (رأس شمرة) و (بوغاز كوي) وغيرها من

المناطق التي عثر فيها على مخطوطات كتبت على الصخور أو على بعض أنواع الفخار والرقم ... الخ .

لذلك كان لزاماً على الباحث اتخاذ التوراة أحد مراجعه شاهدا على القوم بالرغم من أنها ملأت بالحشو والمعلومات التي لا أساس لها من الصحة، وأنها كتبت في عهد متأخر أثناء السبي البابلي وبعده لفترات زمنية متفاوتة، ويعتبر الفارق الزمني بين تدوينها وظهور النبي موسى – عليه السلام – كبير حيث يقرب من ستمائة سنة ،وأن الذين كتبوا هذا الكتاب من اليهود كانوا يعانون من الاضطهاد في السبي البابلي وضمنوه كل ما يتناسب وأهوائهم وميولهم ورغباتهم، أو بعبارة أخرى أدق أنهم بثوا في هذا الكتاب كل سمومهم وأحقادهم على جميع الأمم وجعلوا أنفسهم على درجة عالية من النزاهة والنقاء وأنهم الأمة الوحيدة صاحبة الحق في كل تصرف تأتي به وكل ذلك بأمر الرب (يهوه)، فغضبه ورضاه بأيديهم متى شاؤوا ذلك، لذا ما كان من الباحث إلا أن اعتمد القرآن الكريم مصدراً هاماً لدراسته وجعل منه الحكم الفصل على الكثير مما تورده التوراة .

وللحقيقة أن الكثير من المعلومات والمكتشفات الأثرية كانت صادقة ومثبتة أن القرآن الكريم هو القول الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما وجدنا أن كثير من علماء الآثار وخاصة الذين عملوا بأرض فلسطين كانوا موضوعيين في بحوثهم وأظهروا الحقائق دون مراء أو محاباة للتوراة أو لمن يذودون عن حياضها، وأن منهم من نوه إلى كذب وتزوير وتحريف الكثير مما ورد فيها .

حقيقةً أن تاريخنا القديم يحتاج إلى أقلام مخلصة لتكتبه وتبحث فيه بصدق دون الأخذ بما جاء في التوراة بأنه مسلمات واضحة اعتماداً من البعض أنه لا يوجد مصدر غيره للتاريخ القديم .

إن علم الآثار والحفريات قد تطور وبدأ يظهر الكثير من الحقائق بسندها الموثق وبصورة علمية بحتة، وهذا سوف يساعد الباحثين في الحصول على المعلومات من مصادرها الأساسية وتجنب التسليم بكل ما ورد بالتوراة من تشويه للحقائق وقلب الصورة

رأساً على عقب، كما أن الإهتمام بكتابة التاريخ القديم وخاصة تاريخ بني إسرائيل أصبح من الضرورات العالمية لكي يتسنى للباحثين المسلمين أن يصححوا ما أصبح شائعا كأنه حقائق دامغة عند الكثيرين من الأمم عن اليهود ليبددوا ذلك الزعم بأن اليهود شعب الله المختار وأنهم من أنقى الأعراق (نظرية النقاء العرقي)، وأنهم ورثة الأنبياء وأنهم أصحاب الحق الديني والتاريخي بأرض الميعاد (فلسطين)، وأن كل ما يروج له اليهود هو من قبيل الأوهام والأماني التي عششت في عقول اليهود أثناء السبي البابلي جرت به أقلامهم على الورق لتسطر لهم تاريخ وعقيدة ومنهج حياة يقوم على تعاسة الأمم الأخرى وتدميرها، ومن يشك في ذلك فليعد إلى التوراة ويرى ما فيها من أساطير وخرافات وينظر إلى العالم اليوم كيف أصبح بكل أسف يصدق كل ما جاء فيها إلى درجة القداسة .

الفصل الأول

خلفية تاريخية لأحوال بني إسرائيل منذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما قبل انقسام المملكتين إسرائيل ويهوذا

توطئـــة :

- سيرة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
- ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

- ابناء اسرائيل في مصر

- موسى عليه الصلاة والسلام، صراعه مع فرعون وخروجه من مصر.
- بنو إسرائيل منذ يوشع وحتى داوود عليه السلام.

-عهد القضاة

- داوود عليه السلام .
- سليمان عليه السلام.

توطئــة :

يصعب الولوج إلى حقبة تاريخية معينة قبل تناول الحقبة التي سبقتها من الناحية الزمنية .

لذلك كان لزاماً على الباحث أن يتناول في هذا الفصل تاريخ بني إسرائيل الذي سبق فترة الدراسة بصورة مقتضبة من أجل أن يعطي للموضوع كيانه العضوي المتكامل ويضعه في قالبه الزمني السليم، ولهذا اختار الباحث أن يتناول هذا التاريخ منذ إبراهيم عليه السلام وحتى وفاة سليمان عليه السلام لأن في هذا التناول السريع ما يفيد للفصول التي سوف تناقش لب الموضوع ويخدم الغرض من هذه الرسالة .[١]

سيرة إبراهيم عليه السلام :

يرجع بني إسرائيل نسبهم إلى سيدنا إبراهيم، بل ويوغلون في النسب إلى نوح عليهما السلام ويرجع كثير من الباحثين عهد إبراهيم عليه السلام إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد فالمسعودي مثلا في "التنبيه والإشراف" يحدد الفترة الممتدة بين عهد سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وبين عهد خروج موسى عليه السلام من مصر (بخمسمائة وسبع وستين سنة) [٢] ولما كان اغلب المؤرخين يرجّع تاريخ الخروج إلى القرن الثالث

[١] - . لمزيد من التفاصيل راجعنا بحثنا، (الظروف الدولية التي أدت إلى قيام دولة بني إسرائيل الأولى في فلسطين)، رسالة ماجستير غير منشورة للباحث، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٩٩٧ م

[٢] - المسعودي : (التنبيه والاشراف) طبعة مصر، ١٩٣٨، ص ١٧١

عشر قبل الميلاد فيكون هذا مطابقاً تماما لما توصل إليه المؤرخون وعلماء الآثار بأن زمن إبراهيم - عليه السلام – هو القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

وبخصوص أبيه فقد فسر اسمه بعض المفسرين ((أن تارح هو الاسم العلم وآزر اسمه الوصفي)) [١] ويعلق الاستاذ النجار بقوله ((إن صح ذلك فيكون معناه القوي أو الناصر والمعين)) [٢].

أما عن موطنه الأول فقد اختلفت فيه الآراء، فمنهم من يرى ((أن مسقط رأسه مدينة "أور الكلدانيين" في العراق من بلدة " أوروك " (الورقاء) موطنه)) [٣] كما تقول مصادر أخرى ((أن مدينة " كوثا " كانت مسقط رأسه وفيها طرح في النار وأطلال مدينة كوثا مازالت باقية إلى يومنا هذا في العراق وتسمى " تل إبراهيم")) .[٤]

وعن أصله - عليه السلام - فيرجح أنه يرجع إلى ((إحدى القبائل الآرامية، التي نزحت في الأصل من جزيرة العرب واستقرت في منطقة حاران "حرَّان حاليا " قرب منابع رافدي الفرات، والخابور والبلخ ،والتي اضطر بعضها - بسبب هبوط مجرى النهر - إلى الهجرة مجددا باتجاه الجنوب إلى منطقة بابل في الفرات الأسفل، فكان إبراهيم – عليه السلام - من ذريتها)) [٥] وفي بداية القرن التاسع عشر قبل الميلاد - على اقرب التواريخ للصحة - ولد سيدنا إبراهيم - عليه السلام – ((ونشأ في مدينة (أوربابل) الواقعة في القسم الجنوبي من العراق .)) [٦] وليس كما ورد في التوراة انه كان كلدانيا

---

[١] - البيضاوي : (تاج العروس) ج ٣ ص ١١

[٢] - النجار : (قصص الإنبياء) الطبعة الثالثة، ص ٧٠ وانظر العقاد (إبراهيم أبو الأنبياء) مطابع دار الهلال بلا تاريخ

[٣] - أحمد سوسه : (العرب واليهود في التاريخ)، ١٩٩٣ ص ٥٥٥

[٤] - نفس المرجع : ص٥٥٥

[٥] - نفس المرجع :ص٨٦٦

[٦] - عبد الرحمن الخطيب : (الظروف الدولية التي أدت إلى قيام دولة بني إسرائيل الأولى في فلسطين) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم درجان الإسلامية ،١٩٩٧ ،ص ٦٧

حيث تقول: ((وأخذ تارح أبرام ابنه... من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان .))[١] وذلك لأن اسم "كلدية" لم يظهر فعليا إلا في وقت متأخر حيث هاجرت قبيلة كلده إلى جنوب العراق، وأقامت الدولة الثانية في القرن الثامن قبل الميلاد بألف سنة تقريبا ، إلا أنه قد جاء في التوراة نص يوافق الدراسات النقدية وما أثبته علم الآثار، وهو ((أرامياً تائهاً كان أبي .)) [٢] وللعالم الإلماني مورتكات، رأي آخر حول قرابة إبراهيم وذريته بالآراميين فيقول : ((إن الأبحاث الأثرية برهنت على عدم صحة أكثر الأساطير التي وردت في التوراة كما هناك أبحاث تبرهن على عكس هذه الأساطير التي تقول بقرابة الآراميين والعبريين .)) [٣] وبالعودة إلى إبراهيم – عليه السلام – نجد انه ترك بلاده مهاجرا نتيجة كفر قومه برسالته كما وردتنا القصة في القرآن ((فكانت هذه الهجرة فرارا بدينه، وقد سار مع طريق القوافل حتى وصل "حران " شمال سورية... ثم تركها ومن معه مهاجرا إلى أرض كنعان وذلك نحو عام (١٨٠٥ق.م).))[٤] وتورد التوراة بعض الشواهد على غربة إبراهيم – عليه السلام – وترحاله ((وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين.))[٥] وتورد التوراة كذلك ((وأنحدر إبراهيم إلى مصر يتغرب هناك.))[٦] ومن دلائل الغربة التوراتية لإبراهيم – عليه السلام – عندما قام بشراء مغارة المكفليه من الحيثيين في حبرون " الخليل" حيث قال لهم : ((أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي .))[٧]

---

[١] - سفر التكوين :٣١/١١

[٢] - سفر التكوين :٣١/١١

[٣] - انطون مورتكات : (تاريخ الشرق الأدنى القديم) تعريب توفيق سليمان وعلى أبو عساف وقاسم طوير، مطبعة الإنشاء دمشق، ١٩٦٧، ص ٢٧٢

[٤] - عبد الرحمن الخطيب :١٩٩٧ ،ص٦٩، وانظر محمد علي الصابوني (صفوة التفاسير) بيروت ج٩، ١٩٨١، ص ١٧

[٥] -سفر تكوين :٢١/ ٣٤ وأيضا تكوين :٢٢/١٩

[٦] - تكوين :١٢/١٠

[٧] - تكوين :٤/٢٣

وهذا دليل على أن إبراهيم – عليه السلام – جاء أرض كنعان غريبا وحيدا وظل كذلك حتى رزقه الله إسماعيل ومن بعده إسحاق – عليهما السلام – والفترة الزمنية بين الاثنين أثنى عشر عاما . وفى أخريات أيام إبراهيم – عليه السلام – رزق أولادا من زوجته " قطورة "[١] أما عن وفاته – عليه السلام – ((فكانت وقد جاوز مئة وتسعين سنة ودفنه إسماعيل وإسحاق –عليهما السلام – في حبرون " الخليل " في نفس المقبرة التي دفنت فيها امرأته سارة.))[٢]

وبخلاف ما ورد في التوراة، فإن القران الكريم لم يذكر أن سيدنا إبراهيم – عليه السلام – هاجر من بلاده ومعه أبيه كما ذكرت التوراة، لأن أباه لم يكن على دينه الذي دعا إليه قومه، قال تعالى : ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ))[٣] وعندما وجد والده أن لا فائدة من عودته إلى ديانة قومه، قال تعالى : ((أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آَلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا))[٤] ويستمر السياق القرآني في سرد قصة إبراهيم – عليه السلام – إلى قوله تعالى : ((وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ، وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ))[٥] ومكانة إبراهيم في القران عظيمة، ولا يتسع المجال لذكرها، والآيات التي تحدثت عن إبراهيم كثيرة، والتي تناولت ذريته أكثر وفي معظمها تخالف ما جاء في التوراة .

وخلاصة القول حول ما تقدم في شأن إبراهيم أنه نادى بعقيدة التوحيد قبل حوالي أربعة آلاف عام، أي قبل بعث موسى – عليه السلام– بما يقارب ستمائة عام .

---

[١] - تكوين : ٢٥/١
[٢] - تكوين : ٢٥/١
[٣] - الأنعام : آية /٧٤
[٤] - مريم : آية /٤٦
[٥] - الأنبياء : آية /٧٠-٧١

ذرية إبراهيم عليه السلام:

توفي إبراهيم – عليه السلام– تاركاً ابنه إسماعيل في بلاد الحجاز بالجزيرة العربية، أما ابنه الأصغر إسحاق، فقد بقي في بلاد كنعان وهو الأهم بالنسبة لموضوع دراستنا، فقد بقي في المكان الذي هاجر إليه أبيه، وأنجبه فيه، وشب وترعرع بين ظهرانيه.

((وقد تزوج إسحاق ورزق بولدين "عيسو" و"يعقوب" و حسب رواية التوراة، كان إسحاق ابن الأربعين سنة، لما أتخذ لنفسه زوجة وهي رفقة بنت تيوئيل الآرامي أخت لابان الآرامي من فدان آرام..... فحبلت رفقة... وتزاحم الولدان في بطنها..... فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توأمان، فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر، فدعوا أسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدعوا اسمه يعقوب وكان إسحاق ابن ستين في ذلك الوقت.))[1] وقد جاء في القرآن الكريم ((وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلا جَعَلْنَا صَالِحِينَ))[2] وقد أقام إسحاق ويعقوب في أرض كنعان بعد وفاة والديهما – عليهما السلام – وتوفي إسحاق ودفن في أرض كنعان، وتقول التوراة أن يعقوب ذهب إلى "حّران" حيث أقام فيها فترة من الزمن بين أقاربه، وقد عاد إلى أرض كنعان بعدها متزوجا من ابنتي خاله "لؤيه " و" راحيل" ((وكانت للابان ابنتان اسم الكبرى لؤيه واسم الصغرى راحيل))[3] وقد رزق يعقوب منهما باثني عشر ولدا ولدوا جميعا في حران ما عدا بنيامين الذي ولدته أمه "راحيل" وهي في طريق عودتها إلى أرض كنعان، وهي أيضا أم يوسف – عليه السلام - وقد أقام يعقوب مع أولاده في أرض كنعان ((و سكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان .))[4]

---

[1] - تكوين :٢٥/٢٠-٢٦

[2] - الأنبياء : آية ٧١-٧٢

[3] - تكوين : ٢٩/ ٢٧

[4] - تكوين : ٣٧/١

وبهذا يكون إبراهيم – عليه السلام – قد أنجب إسماعيل الذي أسقطته التوراة من ثناياها، وإسحاق الذي اهتمت به وجعلت منه ومن نسله الأرومة الأولى لبني إسرائيل أو اليهود .

وحسب التوراة إسحاق أنجب عيسوا ويعقوب، وأنجب يعقوب أثني عشر ولدا، وهم الذين شكلوا فيما بعد أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر . والقرآن الكريم يؤكد ذلك في سورة يوسف قال الله تعالى ((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ))[١] والمقصود هنا أن الأحد عشر هم أخوة يوسف والثاني عشر هو يوسف نفسه . وهنا يوجد تشابه في السياق القرآني والتوراتي حول يوسف – عليه السلام – .

أبناء إسرائيل في مصر

كان السبب المباشر الذي دفع يعقوب وأبنائه للهجرة إلى مصر، وجود ابنه يوسف هناك، حيث تبدأ قصة يوسف منذ طفولته، وقد كان أحب أبناء أبيه إلى قلبه . وحسب التوراة ((وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته فصنع له قميصا ملوناً، فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر منهم ابغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام))[٢]، أما القرآن فيورد هذا الكلام من خلال قوله تعالى ((لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آَيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ، إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ، اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ))[٣] وعلى أي حال نحن هنا بصدد وجود المدخل للحديث عن ذلك النبي الذي كان سببا في دخول أبيه وأخوته مصر فيما بعد .

---

[١] - يوسف : آية / ٤
[٢] - تكوين : ٣٧/٤ـ ٥
[٣] - يوسف : ٧،٨،٩

وقصة يوسف كاملة معروفة في القرآن وكذلك التوراة مع الفارق، ولكن الذي يمكن الإشارة إليه أن وجود يوسف في مصر مهَّد لقدوم أبيه وأخوته، وكان ذلك بمثابة مرحلة جديدة في تاريخ بني إسرائيل . وبالعودة إلى يوسف –عليه السلام – يذكر إبراهيم الشريقي ((أن القافلة التي أخرجت يوسف من البئر كانت من الإسماعيليين، الذين كانوا يرتادون في تجارتهم بلاد كنعان، ومصر، والجزيرة العربية وهم أبناء إسماعيل ابن إبراهيم – عليهما السلام -، وفي مصر باعه الإسماعيليون إلى "فوطيفار" رئيس الشرطة. وخدم يوسف في بيت سيده، فوكله أمر بيته))[١] وسواء صحة رواية الشريقي أم لا وذلك لعدم توفر الدليل عليها . فهي ليست بالأمر الهام في الموضوع مع أنها ليست مستحيلة، ولكن ربما ساقها الشريقي من باب تجاهل التوراة لذرية إسماعيل وكأنه غير موجود هو وذريته .

ويرى الباحث في تجاهل التوراة لذرية إسماعيل – عليه السلام – انه مقصود ،ومن ورائه هدف . حيث عمد كتاب التوراة إلى إظهار إسحاق كابن شرعي لإبراهيم أما إسماعيل وذريته، فهم أبناء الجارية هاجر .

واقتضت مشيئة الله أن يظل أنبياء بني إسرائيل من نسل إسحاق حتى عيسى – عليه السلام – ثم شاء الله أن يكون خاتم الأنبياء محمد – عليه الصلاة والسلام – من نسل إسماعيل لكي يبطل مزاعمهم وافتراءاتهم إلى تكشف الخلل النفسي والحقد على سائر الأمم من غير اليهود .

استطاع يوسف أن يأخذ أباه وأخوته إلى مصر بعد أن مكنه الله هناك وجعله وزيرا للتموين على مصر، قال الله تعالى : ((فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آَوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ، وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ

[١] - إبراهيم الشريقي : " أورشليم وأرض كنعان " الشرق الأوسط للطباعة : عمان، الأردن، ١٩٨٥، ص٦٩

الْحَكِيمُ))[١] وجاء في التوراة ((فارتحل إسرائيل وكل ما كان له وأتى بئر سبع وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق فكلم الله إسرائيل..... فقال : أنا الله إله أبيك لا تخف من النزول إلى مصر . لأني أجعلك امة عظيمة هناك.....، ويضع يوسف يده على عينيك فتبصر . فقام يعقوب من بئر سبع، وجعل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونسائهم في العجلات التي أرسل فرعون لحملهم..... وجاء يعقوب مصر وكل نسله معه .))[٢]

ويرى الباحث أن من كتب التوراة جانبهم الصواب لذكرهم كلمة فرعون لأن مصر في تلك الحقبة كانت تُحكم من قبل الهكسوس، وملوك الهكسوس لم يسموا أنفسهم فراعنة وإنما أطلق عليهم لقب ملوك . وهذا ورد في القرآن الكريم في سورة يوسف بلفظ ((وقال الملك – ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك)) وكان آل يعقوب " إسرائيل " عندما هاجروا إلى مصر لا يتجاوز عددهم (٦٦) شخصاً ما عدا البنات والنساء وكانوا رعاة مواش وإبل في أرض كنعان، وجميع أولاد يعقوب باستثناء بنيامين قد ولدوا في فدان آرام، منطقة حّران الآمورية))[٣].

ولا يوافق الباحث الرأي القائل بأن يعقوب وبنيه هاجروا من فلسطين (أرض كنعان) لقحط ألمَّ بها ((فبعد وفاة إبراهيم - عليه السلام - بقرنين ونيف أصاب القحط الشديد أرض كنعان لذلك هاجر يعقوب وأولاده إلى مصر تحت وطأة الجوع الرهيب))[٤] متابعة في التفنيد ونقض هذا الرأي فأرض كنعان أرض خير وبركة بشهادة التوراة والقرآن مجتمعين، ونعلم أن مصر كانت في كثير من الأحيان ميراً[*] لأهل أرض كنعان في الغلال أو الحبوب بحكم أن أرض كنعان هي أرض كروم وأشجار مثمرة وفاكهة أكثر منها أرض غلال، وهذا لا يعني الهجرة فما من ضرورة لذلك . ولكنا نعلم أن يعقوب وبنيه

---

[١] - يوسف : آية ٩٩- ١٠٠
[٢] - تكوين :٦ / ١- ٧
[٣] - عبد الرحمن الخطيب : مرجع سابق، ص٧٤
[٤] - إبراهيم الشريقي : مرجع سابق، ١٩٨٥، ص ٨١
* - ميراً : أي مصدر للغذاء والحبوب من حنطة وشعير ومحاصيل تصلح للغذاء طوال العام .

قرروا الهجرة تلبية لدعوة أخيهم يوسف الذي كان وزيراً في بلاط ملك مصر، وهذا هو الرأي الذي يراه الباحث لان ذلك جاء في القرآن الكريم.

تشير بعض المراجع التاريخية إلى أن بني إسرائيل (يعقوب) عاشوا في مصر إبّان حكم الهكسوس، والذي امتد من (١٧٣٠ – ١٥٨٠ ق. م) تقريباً ويبدوا هذا الكلام منسجماً مع منطق الأحداث التي تلت خروج الهكسوس من مصر، وكيف انقلب عليهم الفراعنة الذين ضاقوا ذرعاً بالتوحيد الذي نادى به موسى - عليه السلام – بعد ذلك.

ولم تذكر التوراة الهكسوس بل قالت عن تحرير مصر منهم، وانتقالها إلى عهد جديد في سفر الخروج الإصحاح الأول: ((قام ملك جديد على مصر قال : لشعبه هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منّا . هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدث حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذكوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس))[١] وهذا يقودنا إلى مولد النبي موسى – عليه السلام – الذي جاء مخلصاً لبني إسرائيل، ودعا البلاد إلى عقيدة التوحيد وكان الصراع بينه وبين فرعون إلى أن تم خروج الموسويين من مصر .

موسى وصراعه مع الفرعون والخروج من مصر

حسب التوراة بيت لاوي هو أحد فروع بني إسرائيل في مصر، والذي ولد فيه موسى – عليه السلام – وموسى منذ مولده كان عليه أن يكابد تبعات اختياره لكونه نبياً مرسلاً في ذلك الزمان . وأول شاهد على ما كابده موسى وقومه مع فرعون مصر ما جاء في القرآن الكريم في سورة القصص، قال تعالى: ((إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَى فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ

[١] - سفر الخروج / ١

الْمُفْسِدِينَ))[1] ، وقال تعالى : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ)) [2] ومجمل ما جاء في القرآن عن سيرة موسى أنه نشأ في بيت الفرعون، ((وأن ابنة فرعون أقامت عليه أساتذة من الكهنة يفقهونه في علوم المصريين))[3] وبعد مناصرته لأحد أفراد قومه وقتله للخصم، هاجر إلى مدين ثم جاء إلى مصر بتكليف رباني لتخليص قومه من بطش فرعون ((وأقام في مصر يسانده أخوه لأمه هارون حتى أمره الله بالخروج)) [4] قال تعالى : ((وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى، فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ، وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى)) [5] هذا حسب رواية القرآن الكريم، أما رواية التوراة فتشير ((إلى بقاء الموسويون في بريّة سيناء حوالي السنة ثم ارتحلوا منها في السنة الثانية بأمر الرب))[6] متوجهين نحو قادش الواقعة على بعد (١٥٠) ميلاً من سيناء شمالاً سالكين الطريق الذي يمر ببلدة " حضرموت " على الضفة الغربية على خليج العقبة ((ومن حضرموت نزلوا في برِّيَّة (فاران) .)) [7] ثم توجهوا إلى (عصيون جابر) الواقعة عند آخر نقطة من خليج العقبة مارين بعدد من القرى))[8]

---

١ - القصص : آية ٣

٢ - القصص : آية ٧، ٨

٣ - المطران يوسف الدبس : (تاريخ سورية)، ج١، م ٢، ١٨٩٥، ص ٩١

٤ - عبد الجليل شلبي : (اليهود واليهودية) القاهرة، مطابع أخبار اليوم، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، ص ٢٠

٥ - طه : آية ٧٧- ٧٩

٦ - سفر العدد : ١٠ / ١١ - ١٢

٧ - سفر العدد: ١٠/ ١١- ١٢

٨ - سفر العدد : ١٢/ ١٦

ثم رحلوا من عصيون جابر ونزلوا في ((برِّيَّة (صين) وهي قادش ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل (هود) في طرف أرض " أدوم "))[١] ولما كان عليه السلام وأتباعه في " فاران " أرسل موسى رجالا ليتجسسوا أرض كنعان قال : ((أصعدوا من هنا إلى الجنوب وأطلعوا إلى الجبل وانظروا في الأرض التي هو ساكن فيها جيدة أم رديئة))[٢] وعندما رجعوا إلى موسى قالوا: ((قد رأينا هناك الجبارين (من بني عناق) فكانوا في أعيننا كالجراد)) [٣] وقالوا أيضا للشعب ((أن هذه الأرض التي تجسسناها تأكل سكانها..... تذمر الشعب عند سماعه هذه الأخبار... فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت تبكي وتذمر الناس على موسى وهارون وقالوا : ليتنا متنا في أرض مصر))[٤]. وبعد الذي تقدم من عصيان وخوف وفزع لدى القوم يكلم الرب موسى وهارون قائلاً : ((حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على..... قل لهم في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعدا الذين تذمروا عليّ، لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفنة ويوشع بن نون..... كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض أربعين يوما ... تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي..... ولما تكلم موسى الكلام هذا إلى جميع بني إسرائيل بكى الشعب جدا .))[٥] ولم توضح التوراة ما حصل بعد تلك المرحلة إلا من خلال عبارة واضحة تقول ((فحمى غضب الرب على إسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة حتى فني الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب))[٦]

---

١ - سفر العدد : ٣٣ / ٣٧
٢ - سفر العدد : ١٣ /١٧- ١٨
٣ - سفر العدد : ١٣ /٣٣ – سفر التثنية : ١/ ٢٨
٤ - سفر العدد :١٤ / ١
٥ - سفر العدد : ١٣ /٢ – التثنية : ٧/ ٢
٦ - التثنية : ٧ /٢

وقبل أن تنتهي سنوات التيه الأربعين توفي هارون ولحق به موسى عليه السلام وتشير معظم المصادر التاريخية إلى أن وفاتهم كانت في أواخر سنوات التيه .

أما عن وفاة موسى – عليه السلام – توراتياً فتشير التوراة إلى أن موسى – عليه السلام – قتل بأيدي بني إسرائيل، وهذا ليس مستبعداً ولا مستغرباً على من كتبوا التوراة بأيديهم، ولا من وصفهم القرآن الكريم (ذلك بأنهم كانوا يقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)[١] ولم يدخل موسى – عليه السلام – بلاد كنعان مع باقي بني إسرائيل بل الذي دخل بهم هو يوشع بن نون خليفة موسى – عليه السلام - .

وخلاصة القول أن أتباع موسى قد خرجوا من مصر على أساس التوجه إلى بلاد كنعان، ولكنهم لم يكونوا على قدر هذه المسؤولية، فكان ما كان منهم من عصيان وتمرد وجحود لنعم الله عليهم، فكان التيه لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، واغلب الظن أن الله أراد أن يطهر الصف من الجيل الذي تعود حياة الذل والخنوع في مصر، وان يربي جيل جديد تحت سمع وبصر موسى – عليه السلام – فيكون الإيمان والجهاد في سبيل الله أسمى أمانيه .

وبنهاية سنوات التيه كان موسى - عليه السلام – قد وضع القوم على مشارف بلاد كنعان ليدخلوها من بعده بقيادة الرجل الصالح يوشع بن نون، وتتسائل أبكار السقّاف ((إن كان موسى خائناً وان الرب غضب عليه وأمر بموته، فكيف ينسب هذا الدين اليهودي إلى موسى؟! ..)) [٢] وجملة ما يمكن قوله أن موسى –عليه السلام – توفي وبنو إسرائيل يشكلون قوة لا يستهان بها، ترابط على حدود أرض كنعان، وتعتبر هذه الخطوة الأولى التي ترتب عليها فيما بعد قيام دولتهم في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد .

١ - البقرة : ٦١
٢ - أبكار السقّاف : (إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة)، ص ٣٥٨

بنو إسرائيل منذ يوشع بن نون وحتى داوود عليه السلام

آلت قيادة بني إسرائيل بعد موسى إلى يوشع بن نون، ويوشع حسب التوراة ((هو خادم موسى منذ صغره وكان يصحبه في مختلف مواقعه، وقد خرج ببني إسرائيل من سيناء إلى أرض كنعان وثبّت بها أقدامهم))[1] أما عن كيفية دخوله إلى أرض كنعان وحسب ما جاء في سفر يوشع، ((أن يوشع بعث رسولين أو جاسوسين له ليبيتا عند امرأة زانية تدعى راحاب، فأخفتهما عن جنود الملك (*)، ولم انتصر كافأها وكافأ ذويها))[2] ويستمر كاتب السفر في سرده للأحداث فيبين أنه عندما علم ملوك بلاد كنعان بدخول يوشع بقومه تحالفوا على مقاومته وكانوا جموع شتى ((وهم الحيثيون و الأموريون والكنعانيون والفرزيون والحوِّيّون واليبوسيون ... تحالفوا جميعا بصوت واحد على حربه ومقاومته، ولكن المعجزات أعانته، فجف النهر الذي يريد عبوره وانقطع تدفق ماءه حتى عبرت جنوده ثم تدفق ثانيا))[3] ومن المبالغات التوراتية قولهم : ((وقفت الشمس في الأفق، ووقف القمر يوما كاملا، وبذلك طال الزمن حتى يجهز يوشع على أعدائه))[4] ويرى عبد الجليل شلبي أن يوشع في التوراة يبدو شخصاً ((واسع الدهاء، وقد فتح عدداً من المدن ووطن بها بنو إسرائيل، وظل يحارب منذ دخول أرض كنعان حتى شاخ وأقعده الكبر، ثم مات عن مائة وعشرين عاماً))[5]

ويرى الباحث من خلال دراسته في سفر يوشع وخاصة الإصحاح الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر أنه عند موت يوشع لم تكن الأمة الإسرائيلية قد استقرت استقراراً كافيا في أرض كنعان، ولا أمنت سطو جيرانها، وإن جملة المدن والقرى التي

---

[1]- عبد الجليل شلبي : مرجع سابق، ص ٤١

* - الملك المقصود هنا هو ملك مدينة أريحا والتي كانت تخضع لحكم الكنعانيين في ذلك الوقت

[2] - يوشع : ١/ ٦- ٢٣

[3] - يوشع : ١٠/ ١٣

[4] -يوشع ١٠/ ١٣

[5] - عبد الجليل شلبي : مرجع سابق ،ص٤٢

ذكرها سفر يوشع لم تكن كلها احتلت من قبل بني إسرائيل، والذي يكشف هذا الأمر القسمة التي قسّمها يوشع على الأسباط التسعة، والتي كانت حسب التوراة وحي من الله، فعند القسمة يتضح أن ما كان بحوزة يوشع من أراض كان أقل مما سبق وذكر في السفر وهذا دليل على مدى التضارب في معلومات كاتب السفر والذي كُتبَ بعد يوشع بتسعة قرون على الأقل .

وإذا تركنا المعجزات والخوارق جانباً، نجد أن الظروف الدولية والسياسية في المنطقة كانت في صالح يوشع، فالظرف الإقليمي الذي أحاط بأرض كنعان ساعد يوشع في الخروج من التيه ودخول أرض كنعان دون أن تعيقه أيّة قوة مجاورة، فقد كانت مصر القوة الأساسية في منطقة الشرق الأدنى القديم، قد انكفأت على نفسها، وأخذ الإطراب يسودها ،كما عانى الكنعانيون من الضعف والتفكك في ظل ممالك المدن وأن تحالفهم المؤقت عند مهاجمة يوشع لهم لم يكن ذو فائدة كبيرة، وفي نهاية عهد يوشع كان العهد قد طال بينه وبين الأسباط، ((بحيث تفككت وحدتهم، ولم يعودوا يشعرون شعورا قويا بهذه الرابطة التي تربطهم بيعقوب (إسرائيل) بل إن أبناء السبط الواحد كانوا مفككين أيضا، وكانت شخصية يوشع القوية هي التي تقيم بينهم شيئا من الترابط، فلما مات ساد الجماعة كلها الفوضى والانحلال))[١]، وهذا الانحلال كان مقدمة لخلط الديانة الموسوية بالوثنيات السائدة في بلاد كنعان في تلك الحقبة وهذا الذي مهد لظهور ما يسمى بقضاة بني إسرائيل.

---

١ - عبد الجليل شلبي : ص ٤٣

عهد القضـاة :

بعد يوشع حكم بنو إسرائيل مجموعة من رجال الدين استمر حكمهم حوالي قرن ونصف من الزمان وقد عرفوا بالقضاة .

ويعرف ديورنت القضاة أنهم ((مجموعة من زعماء العشائر، أو رجالات الحرب... وأحيانا من الكهنة وهم ليسوا موظفين عموميين، وجميع قبائل إسرائيل تطيعهم في بعض الحالات))[١] ويرى جارودي ((أن تسمية قضاة فقط لتبين مدى التقيد بالشريعة والقانون الإلهي في الربط بين الأسباط.))[٢] ومن أبرز القضاة الذين ذكرتهم التوراة ((يهوذا من سبط، يهوذا وأهود من سبط بنيامين ،وبارق من سبط منسى، ويفتاح الجلعادي من سبط منسى، شمشون بن ممنوح من سبط دان))[٣].

أما عن الحكمة من اتخاذ بني إسرائيل القضاة، فالأمر حسب التوراة أن بني إسرائيل اختلطوا بالمدنيين من الشعوب التي جاوروها، وأخذوا يحاكونها حتى أنهم عبدوا آلهتهم وأوثانهم وتركوا عبادة (ألهيم) إلههم الذي حارب معهم، ونصرهم . ويوضح سفر يوشع الكثير من المؤاخذات عليهم مثل ((أنهم عبدوا بلعيم وعشتروت آلهة الزراعة التي كانت تعبد في أرض كنعان وما حولها .))[٤] وقد جاء في سفر القضاة ((لم يكن للقوم ملك ولا قائد بعد يوشع، صنع كل واحد منهم وكل قبيلة ما كان يحسن في أعينهم، وتخلى يهوه عنهم فنهبهم أعداؤهم ولم يقو الإسرائيليون عليهم، فأقام الرب لهم قضاة خلصوهم من يد ناهبيهم))[٥] وقد سبق وذكرنا بعض أسماء قضاة بني إسرائيل وأهم هؤلاء آخر القضاة وهو (صموئيل) وقد تميز بأنه زعيم ديني، وعلى عهده تم إخضاع الكنعانيين وجيرانهم، وفي عهده قدم الفلسطينيون وسكنوا سواحل بلاد كنعان .

---

١ - ول ديورنت: (قصة الحضارة)، ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، جامعة الدول العربية، بدون تاريخ، ص ٣٣

٢ - رجاء جارودي : (فلسطين أرض الرسالات الإلهية) ترجمة عبد الصبور شاهين، دار التراث، القاهرة ،بدون تاريخ، ص١١٩

٣ - إبراهيم الشريقي : مرجع سابق، ١٩٨٥، ص١١٠- ١١١

٤ - القضاة :٢/ ١٠- ١٤ و ٦/٣

٥ - القضاة : ٣

وعندما شاخ ولى ولديه القضاء فلم يسيرا سيرة حسنة مما استحث الإسرائيليين أكثر أن يتخذوا لهم ملكا مثل جيرانهم، فمشوا إلى صموئيل بهذه الرغبة، وقد حذرهم كثير وخوفهم استبداد الملك عليهم وإزاء إصرارهم اختار لهم شاؤل لما حباه الله من بسطة في العلم والجسم، وكتب أمام الشعب وثيقة تضمن عدم استبداده، وهي دستور يضمن ديمقراطية حقيقية، ولكنه أوصى شاؤل ألا يرحم العماليق وأن يقتل نسائهم وأطفالهم وما شيتهم .[1] وبذلك يكون شاؤل أول ملك على بني إسرائيل وهو في العربية طالوت كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))[2] صورت الآيات بني إسرائيل في أواخر عهد القضاة والحالة التي وصلوا إليها من الهزيمة والذل والإخراج من الديار والأبناء .

ويرى سيد قطب ((أن القوم لما ضاع ملكهم، ونهبت مقدساتهم، وذلوا لأعدائهم، وذاقوا الويل بسبب انحرافهم عن هدى ربهم، وتعاليم نبيهم ... انتفضت نفوسهم انتفاضة جديدة، واشتاقوا الجهاد في سبيل الله فقالوا لنبي لهم : ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله))[3] .

أما عن اعتراض بني إسرائيل على اختيار الله سبحانه وتعالى لطالوت، يرى سيد قطب ((أنهم يجادلون في اختيار الله لهم كما اخبرهم نبيهم، ويستنكرون أن يكون طالوت – الذي بعثه الله لهم – ملكا عليهم . لماذا ؟ لأنهم أحق بالملك منه بالوراثة، فلم يكن من

[1] - عبد الجليل شلبي : ص٤٥
[2] - البقرة : آية ٢٤٦ - ٢٤٧
[3] -سيد قطب (في ظلال القرآن)، ج١، ١٩٦٧، ص ٢١٩

نسل الملوك فيهم ! ولأنه لم يؤت سعة من المال تبرر التغاضي عن أحقية الوراثة... وكل هذا غبش في التصوير، كما أنه من سمات بني إسرائيل المعروفة .))[١]

أما عن أعمال طالوت ((فقد حارب الفلسطينيين وكانوا أمة تتميز بين جيرانها ببراعتها في صهر الحديد وصنع الآلات الحربية وغير الحربية، وقد هزموا شاؤل، وقتلوا والديه، فلم يحتمل ثكلهما ومات منتحرا بعد حكم سنتين .))[٢] وبذلك يكون انتهى عهد أول ملوك بني إسرائيل بعد سنتين ليظهر نجم شاب هو داوود الذي يتولى الملك على شعب إسرائيل بعد شاؤل، وفي عهده أطلق لقب مملكة على دولته التي استطاع أن يؤسسها قوية راسخة وان ينقل عاصمتها إلى القدس لأول مرة بعد أن فتحها هو وجنوده نحو عام (١٠٠٤ ق.م).

عهد داوود عليه السلام

تولى قيادة بني إسرائيل وكان " داوود "عليه السلام بعد وفاة طالوت "شاؤل " وكان ذلك نحو عام (١٠٠٤ق.م) تقريبا، وداوود كما جاء نسبه في انجيل متى هو ((داوود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن نحشون بن عميناداب بن ادام بن مصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم))[٣] وكلمة داوود ((اسم عبري ومعناه " محبوب " وهو ثاني ملوك بني إسرائيل))[٤] ومن حيث ذيوع سيطه في بني إسرائيل فتشير التوراة ((أن الرب أمر صموئيل بالذهاب إلى بيت لحم، ومعه قرن الدهن لأنه رأى في بيت يسى ملكا، ففعل ومسح داوود بن يسى من وسط يهوذا، وكان أصغر إخوته فحلَّت روح الرب فيه من هذا اليوم .))[٥] ونأتي للحدث العظيم الذي تسيط داوود في بني

---

١ - المرجع السابق، ص٢٢٧

٢ - صموئيل الأول :١٣ / ١

٣ - عبد الوهاب النجار :(قصص الأنبياء)، منشورات دار الهلال، ١٩٩١،ص ٣١٩.

٤ - بطرس عبد الملك وآخرون : (قاموس الكتاب المقدس)، منشورات مكتبة بيروت، بأشراف رابطة الكنائس في الشرق الأوسط، ١٩٨١، ص٣١٦.

٥ - محمد عزة دروزه :(تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم)، بدون تاريخ، الجزء الثاني، ص ١٧٧.

إسرائيل من بعده، والذي خلدته الكتب السماوية حين قتل داوود جالوت قائد الفلسطينيين وقد جاء في القرآن الكريم ((فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ))[1] ومما جاء في التوراة أيضا ((أن جالوت نادى إلى البراز في بني إسرائيل ولم يخرج إليه أحد مدة أربعين يوما صباحا ومساء، فسمع داوود بذلك فخرج إليه بعصاه ومقلاعه، وقد احتقره الفارس جالوت ولكن داوود سارع فرماه بمقلاعه بحجر في جبهته فسقط على وجهه، فسارع داوود وأخذ سيفه وقطع رأسه .))[2] أما عن رواية القرآن الكريم فهي ((وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ))[3] وبهذا أصبح داوود ملكا على بني إسرائيل، واستطاع أن يرفع نير الفلسطينيين عن الشعب الإسرائيلي ثم أخذ يوسع حدود مملكته من كل جانب حتى استطاع آخر الأمر أن يؤسس دولة قوية في فلسطين ((وأنه باستيلائه على طرق التجارة التي كانت تربط آرام (سورية) وفينيقيا بالبلاد العربية وبمصر، ضمن لدولته أسباب الرفاه المادي الذي لم تتمتع به البلاد من قبل .))[4] ويمكن الاشارة إلى نجاحه السياسي والحربي وسببه تلك النزعة الدينية التي جمعت حوله بني إسرائيل ومكّنته من القضاء على آلهة الأمم الوثنية المجاورة فأزالها من مملكته وأخلص العبادة فيها لله وحده))[5] ومن حيث التوسع الجغرافي فقد امتدت حدوده فشملت ((ما بين أراضي فينيقية غرباً والصحراء العربية شرقا، وامتدت إلى رأس خليج العقبة، وهذا أقصى ما وصلت إليه دولته .))[6]

---

[1] ـ البقرة : آية ٢٥١
[2] ـ صموئيل الأول : ٢٧
[3] ـ البقرة : آية ٢٥٠ـ ٢٥١
[4] ـ فليب حتى (خمسة ألاف سنة من تاريخ الشرق الأدبي) المجلد الأول، الدار المتحده للنشر، بيروت ،١٩٧٥،ص ١٢٨
[5] ـ المرجع السابق : ١٩٧٥، ص ١٢٨
[6] ـ عبد الجليل شلبي : مرجع سابق، ص ٤٨

وتـوج داوود كـل هـذه الإنجـازات ((حيـث أزاح اليبوسـيين عـن القـدس وجعلهـا عاصمة ملكه وبنى بها لأول مرة فـي التـاريخ بنـي إسرائيل معبدا لهم . وكـانوا قبل ذلك يجتمعون في خيمة، وفي هذا المعبد حفظ التـابوت ومـا بقـي مـن ألـواح موسـى .))[1] كمـا جعل داوود للعبادة مقدمة موسيقية تؤديها مجموعة مدربة، وبها ينشط الحاضـرون ويثـور حماسهم للعبادة، وأضاف إلى الأناشيد الدينيـة أناشيد حماسية، أطلـق عليهـا اسم المزامير .))[2] ومـع كل هذا الجهد الـديني الـذي بذلـه داوود – عليـه السـلام – إلا أن الوثنيـات فـي دولته لم تنقطع، وقد أكد القران الكريم ما بذله داوود لتخليص القوم من الشرك والوثنية في كثير من الآيات التي تحدثت عن تقواه وورعه بعكس التوراة التـي قدحت فيـه ونالـت منـه كثيرا .

ويـرى الباحـث أن داوود اسـتطاع فعـلا أن يشـيد مملكتـه وأن يحـافظ عليهـا طـوال حياته، وهناك أسباب يمكن استخلاصها من سيرة هذا النبي منها .

أولا : المـدد الربـاني والعـون السـخي الـذي سـخره الله لـداوود وبـه اسـتطاع تثبيـت أركان ملكه.

ثانيا : الظرف الدولي الملائم في تلك الحقبة التاريخية حيث أتاح لداوود ترتيب أمور دولته الصغيرة دون أي إزعاج من الخـارج، فعلـى سبيل المثـال كانـت مصـر قد ضـعفت وكفت يدها العسكرية التـي طالمـا هيمنـت علـى بـلاد كنعـان والشـام وشـغلت بأولوياتهـا الداخليـة . كذلك بلاد الشام والعراق في ذلك الوقت لم يكن لدى أي منها التفكير في مدّ نفوذها خـارج بلادهـا . إلا بعض الكيانـات الشـامية الصـغيرة التـي لا تتجـاوز قوتهـا قوة داوود، فوجـدناهُ يحاربها تارة ويهادنها تارة أخرى.

كـذلك صـغر الكيانـات المجـاورة لـه فـي بـلاد الشـام جعلـه يتبـع سياسـة حكيمـة فـي مهادنتها والتحالف معها أحيانا . وخلاصة القول أن هذه الأوضـاع مجتمعـة أتاحـت لـداوود

[1] - المرجع السابق : ص٤٨
[2] - انظر برستد : (فجر الضمير) وانظر أيضا : سفر المزامير

الإلتفات إلى الأمور الداخلية ورفاهية شعبه أكثر من الإلتفات للحروب . وسيظهر هذا جليا عند الحديث عن خليفته سليمان عليه السلام .

عهد سليمان عليه السلام

سليمان هو ابن داوود، ورث ملك إسرائيل بعد أبيه، وسليمان في العبرية تعني "رجل السلام " وقد مَلَكَ حوالي أربعين سنة بعد أبيه داوود، وتوفي عام (٩٢٣ ق.م.) تقريباً وبذلك تكون فترة حكمه قد امتدت من (٩٦٣ – ٩٢٣ ق.م) تقريبا .

ليس من السهل أن يوفق الباحث بين ما جاء عن سليمان في القرآن من حكمة وما وصفته به التوراة من تبذير وخرق. تورد التوراة أن سليمان سمح بعبادة الآلهة الأخرى وهذا لا يقبله المسلمون وان قبله مؤرخو اليهود فهو عند المسلمين نبي معصوم بينما هو عند اليهود ملك فقط . ومع ما تتضمنته التوراة من غلو وخيال، ففيها على ما نرجح بعض الحقائق من سيرة هذا الملك النبي.

جاء في التوراة عن تنصيب سليمان ملكا، ((أن داوود قال لبني إسرائيل أن الرب أعطاني بنين كثيرين، وأنا اختار سليمان ابني ليجلس على كرسي مملكة الرب، وقال لي أن سليمان ابنك هو يبني بيتي، ودياري . لأني اخترته لي ابنا، وأنا أكون له أبا وأثبت ملكه إذا تشدد للعمل حسب وصاياي .))[١]

وحسب التوراة نزل سليمان عند وصية أبيه داوود فشرع في بناء بيتاً للرب.

يقول عبد الجليل شلبي : ((بنى سليمان في أورشليم معبداً أو هيكلاً فخما صار هو المعبد الرئيسي وألغى ما عداه من المعابد، وكان بناة المعبد من الفينيقين ، مما يدل على أن الدولة كانت لا تزال متخلفة، فلم يكن بين شعب سليمان مصممون

١ ـ الأيام الأول :٢٨/ ٥ـ ٦ـ ٧ـ ٨

ولا بنّاءون، وقد بنى لنفسه قصراً على نفس المعبد وتزوج بنت أحد الفراعنة(*) وقدم مهراً لها قلعة، وكانت مصر في حالة ركود، وكان زواج إسرائيلي من الفراعنة شرفاً لم تحلم به إسرائيل من قبل .))[1]

وأتجه سليمان إلى التجارة، فعقد صلات مع حيرام حليف أبيه داوود وأهم ثمار هذه العلاقة بين سليمان وحيرام الفنيقي، بناء المعبد وبناء سفن لسليمان في عصيون جابر "ايلات ".

كما كان لسليمان علاقة ببلقيس ملكة سبأ حيث جاء في القرآن الكريم ((قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[2] ويمكن القول أن ملك سليمان بلغ ذروته . فهو بالإضافة إلى الموارد المالية التي كان يجنيها من تجارته البحرية بواسطة أسطول من السفن والمراكب التي كان يبنيها له الفينيقيون ويعملون عليها بحاره، ((كان يغذي خزينته بواسطة أعمال التعدين الواسعة التي بدأها الفينيقيون والتي كانوا يجيدون أعمالها . وكانوا يصهرون المعادن في معمل أنشئ في ايلات .كما أن أسطوله البحري كان يقوم برحلات إزاء شواطئ الجزيرة العربية وشواطئ إفريقيا للمقايضة . فكانوا يعطون سكان تلك المناطق سبائك النحاس والحديد مقابل البخور والعاج والذهب والحجارة الكريمة ولكن سليمان كان يقلد ملوك أشور ومصر في أرستقراطيتهم وبذخهم إلى درجة استنزاف احتياطي خزائنه .))[3]

وير الباحث أن هذا كلام غير دقيق بحق سليمان فهو نبي ومنزه عن كل هذه الأعمال التي تتنافى وخلق الأنبياء، ثم إن خزائنه كانت تغص بالذهب بعد وفاته عندما نهبها شيشنق فرعون مصر ودمر بيت المقدس أما عن حياته الخاصة وحسب التوراة

---

* - يرى احمد فخري أن ذلك الفرعون الذي صاهر سليمان هو (يسوسنيس)

[1] - عبد الجليل شلبي : مرجع سابق ،ص ٤٩

[2] - سورة النمل : آية ٤٤

[3] - فليب حتي : مرجع سابق، ص ١٢٩

فيذكر سفر الملوك الأول ((أنه أسرف في الزواج من الأميرات الأجنبيات ،وبنى لهن معابد وثنية .))[1] ويرى شلبي أن هذا الذي زعزع عبادة يهوه حتى صار مجرد إله قومي، ولا يمنع ذلك عبادة الإسرائيليين غيره .

ويرى الباحث أنه لا يمكن التصديق بما جاء عن سليمان في التوراة من أنه كان زوجا لسبعمائة، وله ثلاثمائة جارية وان نسائه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب كقلب أبيه داوود . والجدير بنا كمسلمين أن نأخذ بما جاء في القرآن الكريم بأن سليمان نبي تقي كباقي الأنبياء، وأن أهم رسالة أداها هي رسالة التوحيد لا أكثر .

أما عن اتصال سليمان بالأمم الأخرى فلم يكن كما قالت التوراة بأنه شر كله. ويقول شلبي : ((أن هذا الاتصال جعل الإسرائيليين يتركون الخط المسماري والكتابة على الفخار ويستعملون الورق والمداد وحروف الهجاء الفينيقية .))[2]

وفي عهد سليمان شاع السحر، واشتدت العناية بالأرواح والجن . وجاء ذلك في القرآن الكريم ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ))[3]

أما عن امتداد ملكه فبحسب ما ورد في التوراة إن ملك سليمان لم يتجاوز أرض كنعان خلافاً لأبيه داوود، الا أن عهد سليمان كان أكثر استقرارا من عهد أبيه وإن لم يخلو هو الآخر من الاضطرابات الداخلية .

كذلك بقي الفلسطينيون وممالك الشعوب الأخرى في أرض كنعان وما جاورها محتفظين بكياناتهم وقد كان ارتباك حالة مصر وأشور في دور حكمه الأول مما ساعد

---

[1] ـ الملوك الأول : ٦
[2] ـ عبد الجليل شلبي : مرجع سابق، ص٥٠
[3] ـ سورة البقرة : آية ١٠٢

على استمراره بحرية النشاط والسيادة. وكانت مصاهرته لفرعون مصر سببا لخلق جو من الصداقة بين الطرفين .

وفي أواخر عهد سليمان ثارت منطقة أدوم للتحرر من سيطرة إسرائيل وتلتها حركة تحرير في المناطق السورية الآرامية التي كانت قوات الملك داوود قد استولت استولت عليها. ((حيث قام الملك الآرامي رصين بشن حملات عسكرية على الفلسطينيين وطردهم من منطقة البقاع ودمشق وانه سيطرة الدولة الإسرائيلية عام (٩٢٧ ق.م)))[١].

وبوفاة سليمان بدأت الدولة الإسرائيلية بالتدهور والانحلال . وذلك بسبب الانشقاق الذي وقع بين الاسباط حول من يخلف سليمان في الحكم ولبعض السياسات التي انتهجها سليمان إبان حياته وفي آخر ايام ملكه حيث توفي سليمان تاركا نواة للمعارضة السياسية هاربة من حكمه إلى مصر وقد عادت بعد وفاته.

---

[١] ـ عبد الجليل شلبي : مرجع سابق، ص ٥٠ ،٥١

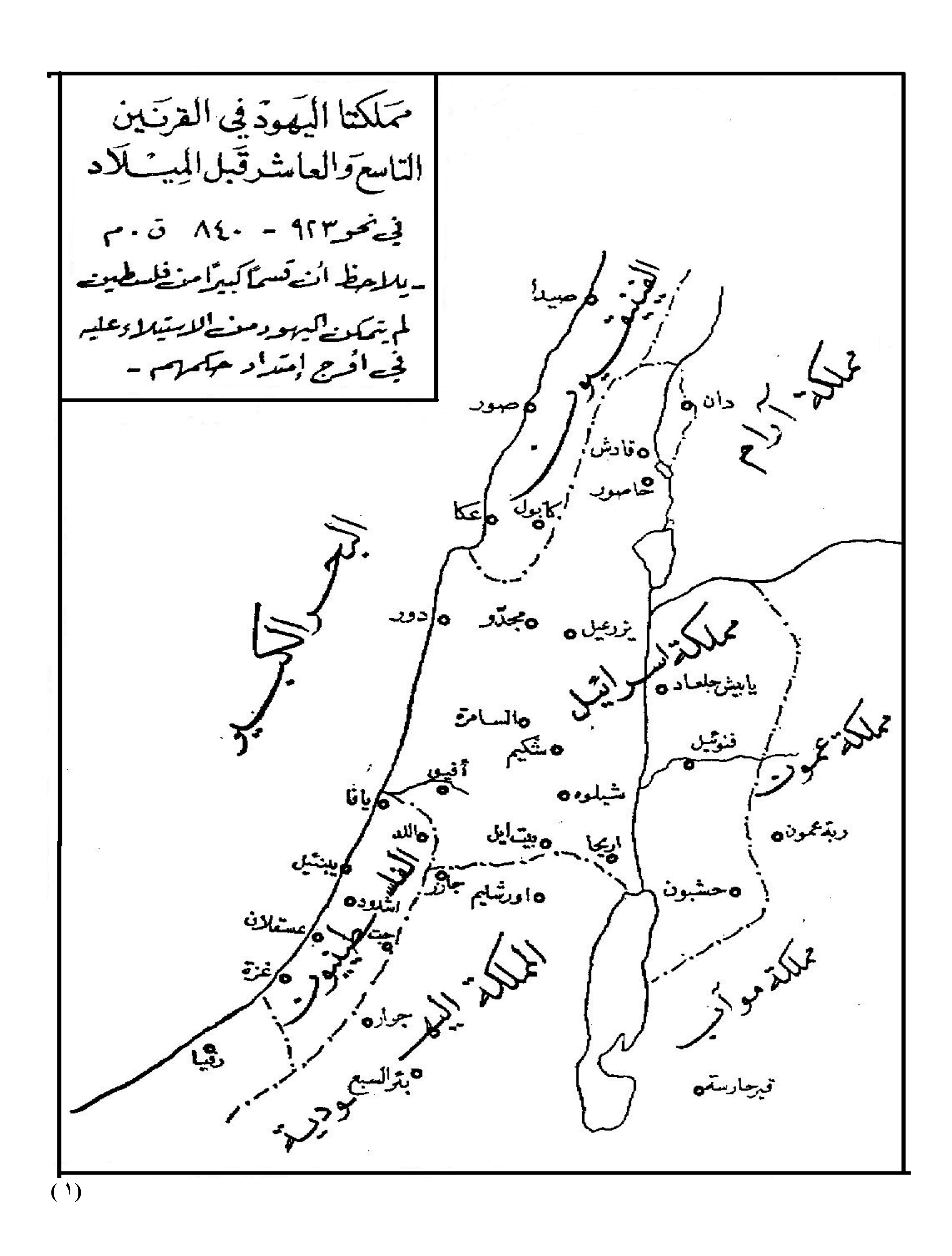
الفصل الثاني

نهاية حكم سليمان وانشقاق بني إسرائيل

المبحث الأول : الأوضاع في أواخر عهد سليمان .

المبحث الثاني : مملكة إسرائيل .

المبحث الثالث : مملكة يهوذا



(١)

١ ـ مأخوذة عن كتاب مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين

كانت حياة بني إسرائيل في فلسطين تشبه حالة رجل يصّر على الإقامة وسط طريق مزدحم فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار ومن الأول إلى الآخر لم تكن (مملكتهم سوى حادث طارئ في تاريخ مصر وسورية وأشور وفينيقيا، ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم) [١]

الأوضاع في أواخر عهد سليمان

في أواخر عهد سليمان كما جاء في التوراة فإن أحداث كثيرة مهدت لانقسام القوم . فالأخبار والذكريات التي دونت فيما بعد موت سليمان أنبئت بالحالة التي صار عليها القوم من فرقة وشتات . ولما لم يعد هناك مصادر يعتد بها غير التوراة لإلقاء الضوء على هذه الفترة، فإننا نعتمد التوراة مصدراً لها، وجاء في الإصحاح الحدي عشر من سفر الملوك الأول: أن الرب غضب على سليمان بقوله :((بما أنك لم تحفظ عهدي فسأشق الملك عنك وأدفعه إلى عبيدك، ولاكني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داوود أبيك بل على يد ابنك ولا أشق الملك كله ولكن أعطي لابنك سبطاً واحداً من أجل داوود عبدي، وأورشليم مدينتي

[١] - هـ ج ويلز، موجز تاريخ العالم

التي اخترتها))[١] وتوحي هذه العبارات إلى ما سيحدث بعد سليمان من انقسام في ملك بني إسرائيل، حيث سيقتصر ملك ابنه على سبطيّ يهوذا وبنيامين .

وقد جاء في نفس الإصحاح السالف الذكر ((أن سليمان لم يحتفظ باستقامته حيث أحب نساءً غريبة كثيرة مع ابنة فرعون ومن المؤابين والعامونين والآدومين والصيدونيين والحيثيين . ومن الأمم التي قال الرب لبني إسرائيل لا تختلطوا بهم فتعلق بهم سليمان، وكان له سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية [*] فأزاغت نساءه قلبه وأملنه إلى اتباع آلهة غريبة في شيخوخته فلم يكن قلبه مخلصاً للرب))[٢] ويظهر في الإصحاح الحادي عشر في سفر الملوك الأول أن نزاعاً سياسياً ظهرت بوادره منذ أيام داوود – عليه السلام – من قِبَل " هدد الأدومي " حيث يذكر الإصحاح ((أن الرب أثار فاتناً متمرداً على سليمان))[٣] والمقصود بالفاتن المتمرد ((هدد لاأدومي من نسل ملوك أدوم الذي هرب هو وبعض عبيد أبيه إلى مصر في أثناء غزوات جيش داوود لأدوم، فآواه فرعون وزوجه أخت امرأته وحظي برعايته، فلما علم بموت داوود طلب من فرعون أن يطلقه إلى بلاده))[٤] .

ويرى الباحث من خلال الذي تقدم أن هذا الهدد المتمرد رجع إلى أرض كنعان على أيام سليمان ووقف له موقف الند المناوئ المزعج، ويدل ما تقدم أيضاً أن هذه المواقف بدأت في وقت مبكر من حكم سليمان لا في أواخر أيامه، مع أن كاتب السفر أراد أن يربط بين التمرد وبين فترة سليمان في شيخوخته.

---

١ - الملوك الأول : ١١/ ٨ - ١٣

* - هنا المبالغة عظيمة في العدد ويبدو من خلال هذه العبارة مدى محاولة التوراة تشويه صورة النبي سليمان - عليه السلام – وأتهامه

٢ - الملوك الأول : ١١/ ١- ٤

٣ - الملوك الأول : ١١ / ١٤

٤ - محمد عزة دروزة : (تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم)، الجزء الثاني، ص ٢١٧

ويورد الإصحاح الحادي عشر أيضاً ((أن الرب أثار فاتناً آخرَ على سليمان وهو "رزون بن اليداع " من رجال هدد عزر ملك صوبة.))[١] وهذا يدل على أن الأراميين تفلتو من سلطان إسرائيل ويظهر من السفر أن الحركة بدأت على أيام داوود وبقيت حتى نهاية سليمان . وهذا يناقض ما جاء في الإصحاح الرابع من سفر الملوك الأول من أن ((سليمان كان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين والى تخوم مصر كانوا يقدمون الهدايا ويخدمون سليمان كل أيام حياته))[٢]

((وهناك خصم آخر لسليمان بل من أشد وأخطر الخصوم لأنه من الداخل ومن أحد أسباط بني إسرائيل وقد تميز بالقوة وسعة النفوذ لذا أعتبر أشد الخصوم، وهذا الخصم هو "يربعام بن نباط " الذي رفع يده على سليمان أي أعلن التمرد على حكمه، وهو من بني أفرايم بن يوسف، ومن سكان مدينة صريدة التي يحتمل أن يكون مكانها اليوم قرية صردة أو سرطة في منطقة نابلس .))[٣]

جاء في التوراة عن تمرد يربعام ((أنه خرج من أورشليم لابساً رداءً جديداً فلقيه أخيا النبي، فقبض على الرداء فمزقه اثنتي عشرة قطعة، وقال ليربعام : خذ لنفسك عشر قطع لأن الرب قال : هأنذا أخرق ملك سليمان وأعطيك عشرة أسباط، ويكون له سبط واحد من أجل داوود، ومن أجل أورشليم لأنهم تركوني وسجدوا لعشتروت آلهة الصيدونيين ولكحوش آله الموآبيين و لملكوم آله بني عمون، ولم يسلكوا في طريقي ويعملون المستقيم في عيني وأنت آخذك فتملك على كل ما تشتهي نفسك، وتكون ملكا على ما هو قويم في عيني أكون معك وأبني لك بيتاً ثانياً .))[٤]

---

١ ـ الملوك الأول :١١/ ٢٣ـ ٢٥
٢ ـ الملوك الأول :٤/ ٢١
٣ ـ محمد عزة دروزة : بدون تاريخ، ص ٢١٨
٤ ـ الملوك الأول : ١١/ ٢٨ـ ٣٨

يقول عبد الجليل شلبي : ((إن سليمان قسم دولته إلى اثنتي عشر قسماً رغبة في ضم شملهم وربطهم جميعاً بسلالة يعقوب . وكانت قبيلتا يهوذا وبنيامين في الجنوب فكان اختلاطهما بالأمم الأخرى والتأثر بعبادتها قليلا فثبتتا على عبادة يهوه بينما مالت الأسباط الأخرى في الشمال إلى آلهة الأمم التي جاورتها، ولم تكن الوحدة بين هذه الأسباط قوية، بل كانت شخصية الحاكم هي الجامع لهم .كما كان الحال في عهد يوشع وداوود إذ خفيت ظواهر التفكك في أيامهما، ولكنها نجحت في عهد سليمان بسبب تذمر الشعب من أعماله وعداء رجال الدين له وكان قد عزل الكاهن ابيتارا، وقتل يؤاب رئيس جيشه وأخاه الأكبر روينا وذلك ما نفَّر منه القوم ، وأظهر الانشقاق عليه.))[١]

وعن تمرد يربعام جاء في التوراة ((وطلب سليمان قتل يربعام وهرب إلى مصر إلى شيشنق ملك مصر وكان في مصر إلى وفاة سليمان))[٢] وبالرجوع إلى تاريخ شيشنق عند الكثير من المؤرخين وجد الباحث أن معظمهم يؤرخ لبداية شيشنق ما بين (٩٥٠ ق.م إلى ٩٤٥ ق.م) تقريباً وهذا يؤكد أنه عاصر سليمان بعقدين أو أكثر بقليل علماً أن سليمان حكم حتى (٩٢٣ق.م) وبهذا سليمان قد عاصر نهاية الأسرة الحادية والعشرين والتي كان آخر ملوكها " بسوسينس "وهو على الارجح صهر سليمان وبداية الأسرة الثانية والعشرين (٩٥٠- ٧٣٠ ق .م) وهي التي كان أول ملوكها " شيشنق" الذي فضل مصلحة مصر العليا في آسيا على علاقة لا طائل من ورائها مع مملكة سليمان الصغيرة . لذا نجده يحتضن أول معارضة لسليمان ويدعمها لتشكل هذه المعارضة فيما بعد تحالف ظاهر . يذكر بريستد ((أن شيشنق أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين المصرية هو الذي حرض يربعام الذي كان لاجئاً عنده استهدافاً لإعادة نفوذ مصر الفعلي إلى فلسطين .))[٣]

---

[١] - عبد الجليل شلبي : ص ٥١

[٢] - الملوك الأول : ١١/ ٤٠- ٤١

[٣] - خميس هنري بريستد : تاريخ مصر من أقدم العصور، ص ٣٥٧

وهذا كلام يمكن الأخذ به إذا ما نظرنا لمكانة مصر السياسية في ذلك الوقت، وفقدانها لسيطرتها على أرض كنعان بعد فترة الضعف والإنحسار التي مرت بها الإمبراطورية المصرية في تلك الحقبة الواهنة من تاريخها .

ويذكر المطران الدبس ((أن شيشنق كان ينوي غزو فلسطين وسوريا . فأرسل يربعام لشق المملكة اليهودية كما دس من اغتال ملك صور تمهيداً لذلك))[١]، وفي نهاية الاصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول ما يؤكد أن رحبعام مَلَكَ مكان أبيه سليمان، وأن بقية أخباره وجميع ما عمل ووصف حكمته مكتوباً في سفر أخبار سليمان، وليس في الأسفار المتداولة سفراً بهذا الاسم كما لا يخفى حيث يصح أن يقال أنما ذكر في الأسفار المتداولة من سيرة سليمان مذكور في هذا السفر الذي عدت عليه العوادي .

وينتهي الإصحاح التاسع من أخبار الأيام الثاني بقوله : ((وبقية أخبار سليمان الأولى والأخيرة مكتوبة في كلام ناثان النبي في نبوءة أخيا الشبلوني وفي رؤى معدو الرائي))[٢] . وليس بين الأسفار المتداولة أسفار بهذه الأسماء وهذا دليل أن كتّاب هذه الأسفار قد استقوا معلوماتهم من أسفار قد انقرضت وليس لها وجود .

ومن خلال السرد السابق يتضح جلياً أن الخلافات السياسية والعقائدية أطلت برأسها بين الأسباط وما كان يمنع انفجارها سوى وجود سليمان . فما أن توفي حتى امتشق القوم سيوفهم وتنادوا لتصفية حساباتهم .

مملكة إسرائيل (٩٢٣ – ٧٢٢ق.م)

قامت دولة إسرائيل عام (٩٢٣ ق . م) تقريباً وكانت تقع إلى الشمال من اختها يهوذا ((وتقدر مساحتها ضعف مساحة اختها، أما سكانها فيقدر عددهم بثلاثة أمثال سكان المملكة اليهودية الجنوبية .))[٣]

---

[١] - المطران يوسف الدبس : (تاريخ سوريا)، الجزء الأول، المجلد الأول، ص ٢٩٩
[٢] - الملوك الثاني : ٩/ ٢٩
[٣] - مصطفى مراد الدباغ : (بلادنا فلسطين)، الجزء الأول، بدون تاريخ، دار الطليعة بيروت، ص ٥٦٦

عاشت مملكة إسرائيل نحو قرنين تولى عرشها خلالها (١٩) ملكاً لقي عشرة منهم حتفهم قتلاً بأيدي بني قومهم كما لقي آخرهم نهايته في الأسر .

وكانت عواصم إسرائيل على التوالي ؛ شكيم وفنوئيل (*) وترصة والسامرة – سبسطية .

أما الأسباب المباشرة لقيام وظهور هذه الدولة : فيرجح بعض المؤرخين أن لمصر يد في قيام مملكة إسرائيل، فهي التي احتضنت المعارضة السياسية التي قامت منذ أواخر عهد سليمان، كما بيّنا سابقا وبعد وفاته اشتدت هذه المعارضة بقيادة يربعام مؤسس المملكة، ويرى البعض أن حدوث ذلك بعد سليمان هو احترام شيشنق فرعون مصر لصهره سليمان، وبعد وفاته التغى هذا السبب، وقد بين الباحث سابقاً أن شيشنق لم يكن صهر سليمان، والذي يعنينا في الأمر أن شيشنق بعد الإنقسام غزا مملكة يهوذا وخرب عاصمتها اورشليم ونهب كنوز الهيكل وكانت فترة وئام بين مصر ومملكة إسرائيل الشمالية .

أما عن ملوك إسرائيل ((فكانوا من أسر مختلفة حيث كان يتمرد متمرد على الملك الجالس فيخلفه ويجلس مكانه ويخلفه بعض أبنائه حيناً ومتمرد آخر حيناً . وقد تقلَّب على عرش هذه المملكة ثماني أسر وأفنيت ثلاث أسر من ملوكها إفناءً تاماً، وعمرت قرابة قرنين من الزمان .)) [١] وفيما يلي قائمة بأسماء ملوك هذه المملكة مقتبسة من أسفار الملوك وأخبار الأيام، تليها سيرة موجزة لكل منهم .

١. يربعام بن نباط الافرائيمي .... وقد حكم (٢٢) سنة وهو المؤسس .

٢. ناداب بن يربعام .... وقد حكم (٢) سنة ثار عليه بعشا .

٣. بعشا بن أخياس .... ومدة حكمه (٢٤) سنة .

---

* - الأرجح موقعها يعرف اليوم باسم (تلول الذهب على نهر الزرقاء على بعد نحو أربعة أميال شرقي نهر الأردن

[١] - محمد عزة دروزة، ج٢، ص ٢٢٩

٤. ايله بن بعشا .... ومدة حكمه (٢) سنة .

٥. زمرى .... وقد حكم (٧) أيام .

٦. عمرى .... وقد حكم (١٢) سنة .

٧. أخاب بن عمرى .... وقد حكم (٢٢) سنة .

٨. أخزيا بن أخاب .... وقد حكم (٢) سنة .

٩. يورام بن أخاب .... وقد حكم (١٢) سنة .

١٠. ياهو بن يهو شفاط .... وقد حكم (٧) سنوات .

١١. يهوا حاز بن ياهو .... وقد حكم (١٧) سنة .

١٢. يهوآش بن يهوا حاز .... وقد حكم (٤١) سنة .

١٣. يربعام بن يهوآش .... وقد حكم (٤١) سنة .

١٤. زكريا بن يربعام .... وقد حكم (٦) أشهر .

١٥. شلوم بن يابيش .... وقد حكم شهراً واحداً .

١٦ . مناحيم بن جاد .... وقد حكم (١٠) سنوات .

١٧. فقحيا بن مناحيم .... وقد حكم (٢) سنة .

١٨ . فقح بن رمليا .... وقد حكم (٢٠) سنة .

١٩ . هوشع بن ايلة .... وقد اعتقله سرجون الثاني ملك أشور ونفاه مع

عدد كبير من أهل مملكته، وجعل المملكة ولاية أشورية (*)

١- يربعام الأول :

جعل يربعام مقره شكيم التي بناها في جبل افرايم واتخذها عاصمة لمملكته، ثم اتخذ من فنوئيل بشرق الأردن مقراً ثانياً له [١]، ولكي يحافظ يربعام على ولاء شعب الأسباط العشرة ((عمل عجلين من الذهب وقال للشعب : لا حاجة لكم بالصعود إلى اورشليم، فهذه الهتكم التي اخرجتكم من مصر وجعل أحدهما في بيت ايل – في منطقة نابلس اليوم – والآخر في دان – في شمال فلسطين – وأمر الناس أن يتعبدوا إليها)) . [٢] وبذلك يكون يربعام قد دشن عهده بانحراف ديني حتى لا يتعلق شعبه بالأماكن المقدسة في اورشليم، ورغم استجابة الأغلبية من شعبه ((إلا القليل الذين رفضوا عبادة الهي يربعام وظلوا يتوجهون إلى بيت المقدس وهم قلة))[٣].

ومما جاء في التوراة أيضاً تقبيحاً لفعلة يربعام هذه أنه أرسل امرأته إلى أخيا النبي لمرض ألم بإبنها وقال لها النبي : ((يقول الرب إني جالب شراً على بيت يربعام حتى يفنى .

من مات ليربعام في المدينة يأكله الكلاب، ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء، لأن الرب تكلم)) [٤] وبالفعل حسب التوراة كانت هذه النهاية .

* - أرسل سرجون وحفيده اسرحرون من بعده جماعات من العراق، فسكنوا مكان المنفيين، وهم الذين عرفوا بالسامريين على الأرجح نسبة للسامرة التي كانت اسم عاصمة الدولة التي سكنوا في أرضهم والغالب أنها تسمية إسرائيلية للتمييز بينهم وبين بني إسرائيل لأنهم هم الآخرون اعتنقوا الشريعة الموسوية، ولكنهم كانوا على خلاف ونزاع مع بني إسرائيل وما زالوا موجودين في فلسطين حتى يومنا هذا .

[١] - ملوك الأول : ١٢/ ٢٦

[٢] - ملوك الأول : ١٢/ ٣٠

[٣] أحبار الأيام الثاني : ١١/ ١٤ – ١٥

[٤] - ملوك الأول : ١٤ / ١١

٢- ناداب بن يربعام :

تقول التوراة أن ناداب هذا قد ((صنع الشر في عيني الرب وسلك طريق أبيه فسلط الرب عليه بعشا وضربه وقتله، وملَّكَ مكانه وقتل كل نسل يربعام لأجل خطاياه التي أثم بها))[١] وبذلك يكون هذا التمرد على ناداب بن يربعام أول تمرد في مملكة إسرائيل بعد تمرد يربعام على رحبعام بن سليمان والذي أدى إلى انقسام الملك إلى مملكتين .

٣- بعشا بن اخيا من بيت يساكر :

واصل بعشا الانحراف الديني على نهج يربعام وأقام الطقوس للعجلين و الاعياد الكبرى عندهما وقد أنذره الرب بلسان النبي ياهو باستئصال ذريته .[٢] ((وتوفي بعشا ودفن في ترصة وملك ايله ابنه عوضا عنه))[٣] .

٤- ايله بن بعشا :

حكم سنتين في ترصة ((ففتن عليه عبده زمرى رئس نصف المركبات وقتله وهو سكران)).[٤]

٥- زمرى :

ملك عوضا عن ايله بن بعشا وعند تملكه وجلوسه على الكرسي ((ضرب كل بيت بعشا ولم يبقي له بائلاً بحائط))[٥] ولكن أيام زمرى لم تطل في الحكم حيث سكن سبعة ايام ثم حاصره القائد عمرى ثم احرق نفسه في القصر وانتحر[١].

---

١ - ملوك الأول : ٢٨ - ٢٩ – ٣٠
٢ - ملوك الأول ١٦ / ٤
٣ - الملوك الأول : ١٦/ ٧
٤ - الملوك الأول : ١٦/ ١٠
٥ - الملوك الأول ١٦ /١١

٦- عمرى :

ملك على إسرائيل اثنتي عشرة سنة، وعمل الشر في عين الرب وحكم في ترصة ست سنين ثم أشترى جبل السامرة وبنى عليه مدينة سماها شامر وأتخذها عاصمته، ومات دون أن يعاقبه الرب حسب التوراة[٢].

٧- أخاب بن عمرى :

ملك على إسرائيل في السامرة اثنتين وعشرين سنة وعمل الشر في عيني الرب أكثر من الذين قبله وقد أتخذ من إيزابل ابنة أثيعل ملك الصيدونيين امرأة له وعبد البعل وسجد له وأقام مذبحا للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة، وزاد في إغاظة الرب أكثر من كل ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله[٣]. ومن الملاحظ أن السمة العامة لعهد أخاب أنه وزوجته انحرفوا عن شرعة إسرائيل وأتبع أوثان زوجته أيزابل وتبعه الشعب في ذلك . وفي نهاية أيامه حسب التوراة أعلن توبته وقد أصيب بسهم في معركة أسترداد رامات جلعاد ولعقت الكلاب دمه .

٨- أخزيه بن آخاب :

صنع الشر في عيني الرب وسار في طريق أبيه آخاب وأمه أيزابل فعبد البعل، وسجد له وأغاظ الرب ((فسقط من كوة عليته فأرسل رسلا إلى بعل زبون إله عفرون لاستشفاء فقابل ايله الرسل وأمرهم بالعودة وإنذار أخزيا بالموت))[٤] ومات بعد ذلك ولم يترك ولدا يرثه فورثه أخوه يورام، ويتضح من خلال سيرة هذا الملك أنه أنسلخ كليا عن شرعة إسرائيل وعبد أوثان وإلهة الشعوب المحيطة .

٩- يورام بن أخاب :

---

[١] - الملوك الأول : ١٦/ ١١

[٢] - أنظر الملوك الأول :١٦ /٢٤- ٢٨

[٣] - الملوك الأول : ١٦/ ٢٩- ٣٠- ٣٤

[٤] - الملوك الثاني : ١/ ٢- ٣

صنع السر في عيني الرب ولكن أقل من أبيه وأمه وأخيه ((فقد أزال تمثال البعل الذي أقامه أبوه وظل مستمراً على خطيئة [*] يربعام))[1] وتقول التوراة أن عقوبة الرب حلت على آل عمرى متمثله في شخص يورام ((حيث ثار عليه ياهو بن يوشافاط، وتمكن من قتله وقتل أمه ايزابل التي ديست تحت سنابك الخيل، وأكلتها الكلاب))[2]. واستمر ياهو بن يوشافاط في القبض على كل من تبقى من ذرية آخاب وقتلهم حتى الغلمان والكهنة . ويمكن القول أن ملك ياهو بن يوشافاط بداية لحقبة جديدة مرت على دولة إسرائيل .

١٠- ياهو بن يوشافاط :

كان عهد ياهو بداية إصلاح ديني إن جاز هذا التعبير ((حيث دعا إلى وليمة جمع إليها أبناء البعل وكهنته وعبّاده وقتلهم وكسر تماثيل البعل وحرَّق بيوته وهذا أسرَّ الرب وجعله يبشر ياهو بأن الملك سوف يستمر في ذريته إلى الجيل الرابع .))[3] مع كل الذي قام به ياهو لم يغير خطيئة يربعام. وربما يعود إصرار ملوك إسرائيل على عدم هدم العجلين وإنهاء تلك البدعة التي ابتدعها يربعام إلى نواحي سياسية حيث لم يُنْفَ السبب السياسي الذي بنى يربعام العجلين من أجله، هو عدم صعود شعب إسرائيل للعبادة في أورشليم، وبذلك ربما يعود الشعب فيصير ولائه لبيت داوود وهذا يعني سياسياً نهاية مملكة إسرائيل التي أسسها يربعام بن نباط . وبعد حكم دام سبع سنوات توفي ياهو وخلفه على الحكم ابنه يوآحاز.

* - يربعام الملك الأول لدولة إسرائيل وخطيئته العجلين الذين اتخذهما للعبادة في بيت إيل ودان

[1] - الملوك الثاني :٣ /٢

[2] - الملوك الثاني :٩ /٢٥- ٢٣- ٢٤- ٢٧

[3] - الملوك الثاني : ١٠/ ٢٦- ٢٧- ٣٠

١١- يوآحاز بن ياهو :

سلك طريق يربعام وصنع الشر في عيني الرب ((فأشتد غضب الرب على إسرائيل وأسلمهم إلى حزائيل ملك أرام واستعطف يوآحاز الرب فخلصهم منه إلا أنهم ظلوا في خطيئة يربعام .))[١]

١٢- يهوآش بن يهوآحاز :

سلك طريق يربعام وملك في السامرة ست عشرة سنة ((وعمل الشر في عيني الرب ولم يحد عن جميع خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل تخطئ بل سار بها ... ثم اضطجع يهوآش مع آبائه ... ودفن في السامرة مع ملوك إسرائيل .))[٢]

١٣- يربعام بن يهوآش :

((ملك يربعام على إسرائيل في السامرة أحدى وأربعين سنة وعمل الشر في عيني الرب، ولم يحد عن شيء من خطايا يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل تخطئ وهو الذي رد تخم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة حسب كلام الرب إله إسرائيل الذي تكلم به عن يد عبده يونان بن أفتاي النبي، لأن الرب رأى ضيق إسرائيل مراً جداً، لانه لم يكن محجوزا ولا مطلقا وليس معين لإسرائيل، ولم يتكلم الرب لمحو أسم إسرائيل من تحت السماء فخلصهم يربعام بن يهوآش .))[٣]

---

[١] - الملوك الثاني : ١٣

[٢] - الملوك الثاني : ١٣ /١١- ١٢- ١٣

[٣] - الملوك الثاني :١٤ / ٢٤- ٢٥- ٢٦- ٢٧

١٤- زكريا بن يربعام :

((ملك زكريا بن يربعام على إسرائيل في السامرة ستة أشهر، وعمل الشر في عيني الرب كما عمل أباه ... ففتن عليه شلوم بن يابيش وضربه أمام الشعب فقتله وملك عوضاً عنه .))[1]

١٥- شلوم بن يابيش :

لم يستمر شلوم بن يابيش لأكثر من شهر واحد ((حيث ثار عليه مناحيم بن جاد من ترصة فقتله وملك مكانه .))[2]

١٦- مناحيم بن جاد :

حكم مناحيم وصنع الشر بين عيني الرب، وظل على طريقة يربعام ((فجاء "فول" ماك أشور[*] فأعطاه مناحيم ألف قنطار فضة حيث جمعها من أغنياء الشعب))[3].

١٧- فقحيا بن مناحيم :

خلف أبيه على الحكم وصنع الشر في عيني الرب وظل على طريقة يربعام

((فأثار عليه الرب فقح بن رمليا فضربه وقتله وحل مكانه.))[4]

---

[1] - الملوك الثاني : ١٥/ ٩ – ١٠- ١٢

[2] - الملوك الثاني : ١٥/ ١٠- ١١

* - لا يوجد ملك أشوري باسم فول بل من المرجح أن يكون نقلت فلاسر وأحيانا ما يلفظ اسمه الثاني بلاسر

[3] - الملوك الثاني : ١٥/ ٢٠

[4] - الملوك الثاني : ١٥/ ٢٥- ٢٦

١٨- فقح بن رمليا :

حكم فقح بن رمليا بعد فقحيا، وصنع الشر ولم يعدل عن خطيئة يربعام ((فجاء تفلت فلاسر ملك أشور وأخذ مدن الجليل ونفى أهلها إلى أشور .))[١] ثم ثار هوشع بن إيله على فقح بن رمليا وقتله، وملك مكانه كما جاء في الإصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الثاني.

١٩- هوشع بن إيله :

جاء إلى الحكم هوشه بن إيله وصنع الشر في عيني الرب، ولكنه لم يتماد في الفساد الديني كسابقيه، ومع ذلك صعد عليه ((ملك أشور شلماناصر فسار عبداً له يؤدي الجزية ثلاث سنين))[٢] حدث ذلك عام (٨٣٣ ق.م) تقريباً بعد موقعة قراقر التي أخذ بعدها الشام .

وبالعودة إلى هوشع بن إيلة بقي في العبودية حتى أنقذه ملك مصر، الذي تحالف معه وذكرت التوراة أنه " سوا " بعد ذلك ((تمكن ملك أشور من القبض على هوشع وسجنه ثم حاصر السامرة ثلاث سنين، وفي السنة التاسعة لحكم هوشع أخذ ملك أشور السامرة وسبا إسرائيل إلى أشور وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مارى))[٣]

ومما جاء في التوراة أيضاً، أن ملك أشور لم يكتفي بنفي إسرائيل إلى أشور بل ((قرر أن يرسل قوماً من بابل وكوث، وعوا، وحماة وسفروائيم، فأسكنهم في مدينة السامرة مكانهم فامتلكوها، واستوطنوا فيها فكان في ذلك نهاية دولة إسرائيل .))[٤]

---

[١] - الملوك الثاني : ١٥ /٢٩- ٣٠

[٢] - الملوك الثاني : ١٧/ ٣ - ٤

[٣] - الملوك الثاني : ١٧ / ٦

[٤] - الملوك الثاني : ١٧/ ٢٤- ٢٥

أما عن المهجرين الجدد فلم يتقوا الرب . وحسب التوراة أرسل الرب عليهم أسوداً كانت تقتل منهم فكلموا ملك أشور بذلك ((فأرسل أحد كهنة بني إسرائيل المنفيين ليقيم عندهم ويعلمهم كيف يتقوا الرب .))[1] والحقيقة فقد أتبع المهاجرون الجدد كل الضلالات والأباطيل والأوثان التي كانت عليها إسرائيل قبل النفي حتى مع وجود الكاهن الذي أُعيد من المنفى لكي يعلمهم أمور الدين .

وقد وردت في التوراة عبارة ((فكانوا يتقون الرب ويعملون لأنفسهم من أطرافهم كهنة مرتفعات كانوا يقربون لأجلهم في بيوت مرتفعات، كانوا يتقون الرب ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين سبوهم من بينهم إلى هذا اليوم .))[2] وهذا يوضح أن الشعب الجديد ساد على نفس الطريق، ولم يجد شريعة نقية يتبعها، وان هذا السفر قد كتب بعد السبي البابلي وعبارة إلى هذا اليوم تعني أي بعد العودة من السبي وخلاصة ما تقدم أن دولة إسرائيل حكاما ومحكومين انحرفوا منذ البدء واستمروا في ذلك وان كثرة الانقلابات أدت إلى سفك دماء كثيرة وإبادة أسر كاملة من أجل الحكم .

وقد نددت التوراة بهذه المملكة وسلوك ملوكها وشعبها وآثامهم التي أفضت إلى السقوط والانحدار وجاء فيها ((وكان بنو إسرائيل قد خطأوا إلى الرب إلههم الذي أخرجهم من أرض مصر من تحت يد فرعون، واتبعوا آلهة أخرى، وجروا على سنن الأمم التي طردها الرب من وجه إسرائيل وعلى ما سنته ملوك إسرائيل، وعمل بنو إسرائيل في الخفاء أموراً غير مستقيمة في حق الرب إلههم، وابتنوا لهم مشارف في جميع مدنهم من برج الحراسة إلى المدينة المحصنة وأقاموا لهم أنصاباً، وغابات على كل أكمة عالية، وتحت كل شجرة خضراء . وقتَّروا(*) هناك مثل الأمم الذين جلاهم الرب من

---

[1] ـ الملوك الثاني :١٧/ ٢٨ـ ٢٩

[2] الملوك الثاني :١٧/ ٣٣ـ ٣٤

* ـ قتروا : ـ أي حرقوا ذبائحهم . وكان بنوا اسرائيل قد أمروا بحرق ذبائحهم في مذبح بيت الرب فقط فخالفوا وابتنوا المذابح في كل مكان وأهملوا بيت الرب، واعتبر ذلك منهم انحراف ووثنية .

وجهه و فعلوا أفعالا سيئة لاسخاط الرب فأشهد الرب، على إسرائيل ويهوذا على ألسنة جميع أنبياءه وكل راءٍ قائلا : توبوا عن طرقكم السيئة، واحفظوا وصاياي ورسومي على حسب جميع الشريعة التي أوصيت بها آبائكم، فلم يسمعوا وصلَّبوا رقابهم مثل رقاب آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم، وصنعوا لهم عجلين من المسبوكات وأقاموا غاباً، وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل، وأجازوا بنيهم وبناتهم في النار، وتعاطوا العرافة، وباعوا انفسهم لعمل الشر في عين الرب لأجل إسخاطه، فغضب الرب جداً على إسرائيل ونفاهم من وجهه ولم يبقي إلا سبط يهوذا فقط (والقصد هنا أن الذين وقع عليهم النفي هم الأسباط التي حملت لواء دولة إسرائيل، أما يهوذا فكانوا في أورشليم ولم يتم نفيهم بعد) وجرى بنو إسرائيل على جميع خطايا يربعام التي صنع ولم يحولوا عنها حتى نفى الرب إسرائيل من وجهه))[١] وهذه تغطية مقتضبة لأوضاع مملكة إسرائيل الدينية منذ بدايتها حتى سقوطها .

حيث أتضح من خلالها أن الفساد الديني في هذه المملكة كان سببا لكل المصائب التي حلت بها من عدم استقرار إلى الدمار والسبي في النهاية .

---

[١] ـ الملوك الثاني : ١٧

مملكة يهوذا (٩٢٣ – ٥٨٧ ق.م)

امتازت هذه المملكة عن أختها إسرائيل بأنها أقل عدداً والأضيق رقعتاً والأقل خصوبة، كما كانت الأشد صلة بميراث داوود – عليه السلام - فعاصمتها أورشليم هي عاصمة داوود، وبها المعبد الذي أوصى داوود ابنه سليمان ببنائه ((حكمها تسعة عشر ملكاً وامتد عهدها من عام (٩٢٣ حتى ٥٨٧ ق.م) تقريباً . أي ثلاثة قرون وثلث عكس نظيرتها إسرائيل التي انتهت بسرعة وقد عاشت يهوذا قرابة قرن في هدوء شامل بعيدة عن الانحرافات التي تورطت فيها أختها الشمالية إسرائيل، ولكنها لم تسلم نهائيا من أخطائها ولا من عبادة آلهة الأمم الأخرى))[١] .

وأهم ما ميز مملكة يهوذا عن أختها أيضاً ((سلسلة ملوكها التي استمرت دون انقطاع في ذرية سليمان . خلافا لسلسة ملوك دولة إسرائيل التي كانت من أسر وأسباط مختلفة))[٢] .

وتاريخ هذه الدولة وملوكها في التوراة ورد من خلال إصحاحات سفر الملوك الأول والثاني ثم إصحاحات سفري أخبار الأيام الأول والثاني .

قامت دويلة يهوذا عام (٩٢٣ ق.م) تقريبا . وهذا نفس العام الذي انتهى فيه ملك سليمان بوفاته .

وكانت سلسلة ملوكها على النحو التالي :

١- رحبعام بن سليمان..... وحكم (١٧) سنة.

---

١ - عبد الجليل شبلي : ص ٦٠
٢ - محمد عزة دروزه : مرجع سابق ، ص٢٢٧

٢- ابعيام بن رحبعام..... وحكم (٣) سنوات .

٣- أسابن رحبعام..... وحكم (٤١) سنة

٤- يهوشافاط بن أسا..... وحكم (٢٥) سنة .

٥- يهو رام بن يهوشافاط..... وحكم (٨) سنوات .

٦- اخزيا بن يهورام..... وحكم (١) سنة .

٧- عتليا أم أخزيا اغتصبت الحكم بعد مقتل ابنها وحكمت (٦) سنوات

٨- يواش بن أخزيا..... وحكم (٤٠) سنة .

٩- أمصيا بن يواش..... وحكم (٢٩) سنة .

١٠- عزيا بن أمصيا..... وحكم (٥٢) سنة .

١١- يوثام بن عزيا..... وحكم (١٦) سنة .

١٢- احاز بن بوثام..... وحكم (١٦) سنة .

١٣- حزقيا بن أحاز..... وحكم (٢٩) سنة .

١٤- منسى بن حزقيا..... وحكم (٥٥) سنة .

١٥- أمون بن منسى..... وحكم (٢) سنة .

١٦- يوشيا بن أمون..... وحكم (٣١) سنة .

١٧- يهواحاز بن يوشيا..... وحكم ثلاثة أشهر .

١٨- يواقيم بن يوشيا..... وحكم (١١) سنة .

١٩- يهواكين بن يواقيم..... وحكم ثلاثة أشهر .

٢٠- صدقيا بن يواقيم..... قتل على يد نبوخذ نصر .

ومن الملاحظ أن عدد ملوك يهوذا الذين ماتوا مقتولين أقل بكثير من ملوك إسرائيل الذين كان مصيرهم القتل . وهذا دليل استتباب الوضع السياسي في يهوذا أكثر من جارتها اللدودة إسرائيل .

أما عن سير هؤلاء الملوك فنوردها بالتسلسل فيما يلي :

١- رحبعام بن سليمان (الأول) :

حكم سبع عشرة سنة في أورشليم، قضاها في حروب دارت بينه وبين يربعام بن نباط ملك إسرائيل (الأول)، والتي انتصر فيها رحبعام واستتب له الأمر .

جاء في التوراة ((أن مملكة يهوذا صنعت الشر في عيني الرب، وكانت إغاظتهم له أشد من جميع ما عمل آبائهم بما ارتكبوه من الخطايا)) [١] وبهذا تكون التوراة قد سجلت على يهوذا الإنحراف الديني والخلقي منذ بدئها .

ويؤيد سفر أخبار الأيام الثاني ما تقدم حيث يدخل رحبعام في الفساد فيقول: ((وكان لما استتب ملك رحبعام وتقوى أنه ترك شريعة الرب هو وجميع إسرائيل معه))[٢].

٢- ابيعام بن رحبعام :

خلف رحبعام ابنه ابيعام بن معكة ابنة ابشلوم وحكم ثلاث سنوات وسار على نمط أبيه في إغاظة الرب، وفعل الخطايا، ولم يكن قلبه مخلصاً للرب ((وكانت الحرب بينه وبين يربعام حتى نهاية حكمه الذي استمر ثلاث سنوات .))[٣]

---

[١] - الملوك الأول : ١٤

[٢] - أخبار الأيام الثاني : ٢

[٣] - نجيب ميخائيل : ص ٣٨٨

٣- آسا بن أبيعام :

حكم إحدى وأربعين سنة وحسب التوراة فإن سيرة آسا بن أبيعام تختلف عن أبيه وجده من حيث السلوك الديني والخلقي .((حيث صنع ما هو قويم في عيني الرب . فنفى المخنثين وأزال أقذار الأصنام التي صنعها آباؤه ونزع من أمه لقب المُلْك لأنها صنعت تمثالا لعشتروت وكسره وأحرقه.))[١]

وهناك تناقض حول أعمال أسا الخيرة فبينما يشير الإصحاح الخامس عشر من سفر أخبار الأيام الثاني إلى أن أسا لم يقض على المشارف وأن الشعب كان يقتر عليها أي يذهب إليها لحرق القرابين والعبادة يأتي نفس السفر من الإصحاح الثاني ليقول : ((أن آسا أمر الشعب بإتباع وصايا الرب وأزال من جميع مدن يهوذا المشارف وتماثيل الشمس فاستراحت المملكة في عهده .))[٢] وهذا هو غريب التناقض التوراتي كما يرى الباحث . وجاء أيضاً ((أن آسا أدخل أقداس أبيه وأقداسه إلى بيت الرب من الفضة والذهب والآنية))[٣].

وعلى أية حال فالتناقض لا يخفى أن هذا الملك كان يعمل ما يرضي الرب والرعية.

٤- يهواشافاط بن آسا :

حكم خمساً وعشرين سنة وحسب التوراة أنه سار على نهج أبيه وصنع ما هو قويم في عيني الرب ولكن المشارف لم تزل وظل الشعب يتوجه إليها .

---

[١] - أخبار الأيام الثاني : ١٥
[٢] - أخبار الأيام الثاني : ٢
[٣] - الملوك الأول : ١٥/ ١٢- ١٥

ومن أهم أخباره أنه صنع سفننا لتذهب إلى أوميز وتجلب الذهب، ولكنها انكسرت في عصيون جابر))[1]. ولكن الإصحاح العشرين من أخبار الأيام الثاني ينفي صيغة الخبر ويوردها بالشكل التالي حيث يقول: ((أن يوشفاط صادق أخزيا لعمل سفن تذهب إلى " ترشيش " فعملا السفن في عصيون جابر . ولكنها انكسرت، وهذا عقوبة لأن يوشفاط صادق أخزيا السيئ النية والعمل .))[2]

ويرى الباحث أن هذا الخبر يعني أول تقارب في العلاقات بين المملكتين، فأخزيا هذا هو ملك إسرائيل ويبدو أن كتبة التوراة وخاصة السفر المذكور أنفا هم من سبط يهوذا لذا يظهر رفضهم لهذا التحالف والتقارب بين المملكتين لبناء السفن وجاء في سياق أفعاله لرد الشعب إلى طريق الرب ((أنه خرج إلى الشعب بين بئر السبع إلى جبل افرائيم وردهم إلى الرب، وأقام قضاة في جميع المدن ووصّاهم بتقوى الرب، وعدم المحاباة والرشوة والجور .))[3] ومن معجزاته التي وردت أيصاً : ((الحلف الذي زحف على مملكته والمكون من بني مؤاب وبني عمون ومعهم اللآدوميون وهاجموا عين جدى وقد استعطف الرب واستغاثه، فجعل الرب الأعداء يقتل بعضهم بعضاً، وغنم يوشفاط غنائمهم دون حرب .))[4]

٥- يهورام بن يهوشفاط :

حكم ثماني سنوات حسب التوراة ((وصنع الشر في عيني الرب، وتزوج من ابنة آخاب ملك إسرائيل، وسار على طريق ملوك إسرائيل .))[5]

[1] - الملوك الأول :٢
[2] - أخبار الأيام : ٢٠
[3] - أخبار الأيام : ١٩
[4] - أخبار الأيام : ٢٠
[5] - الملوك الثاني : ٨

ونلاحظ بعد هذا الخبر أن العلاقة باتت حميمة بين المملكتين بهذه المصاهرة على مستوى الملوك، ولكن يبدو أنها انعكست على الوضع الديني نحو السوء في مملكة يهوذا حيث جاء في التوراة ((أن يهورام قتل إخوته جميعاً وجماعة من رؤساء إسرائيل، وحمل سكان أورشليم على الفجور .))[١]

أما عن نهايته وحسب التوراة ((أن النبي إيليا أنذره برسالة عن لسان الرب وتفتقت عليه الفتوق من من كل ناحية، فخرجت عليه أدوم وغزاه الفلسطينيون والعرب، ودخلوا أورشليم وسبوا بنيه ونساءه ونهبوا ما وقع بأيديهم ثم ضربه الرب بمرض في أمعائه فمات ولم يحرق كأبيه .))[٢]

٦- اخزيا بن يهورام :

سار على نمط أبيه في التقرب من بيت أخاب ملك إسرائيل فقد صاهرهم . وكانت أمه أيضاً بنت أخاب وحسب التوراة ((صنع الشر في عيني الرب، وتحالف مع يورام بن أخاب في حرب راموت جلعاد ضد الآراميين ولم ينجحا.))[٣] وكانت نهايته عند يورام الذي ثار عليه ياهو وقتله ففر اخزيا فلحق به ياهو وقتله هو الآخر.

٧- عتليا أم اخزيا :

عندما علمت بقتل ابنها اخزيا في ديار أخيها ((أهلكت جميع النسل الملكي وفرضت حكمها . وأتبعت طريقة ياهو في معاملة منافسيها وأعدائها أي قتل الذكور ولم يفلت سوى حفيذها يوآش بن أخزيا البالغ من العمر سنة واحدة، والذي أخذته يهوشبع بنت الملك يورام أخت اخزيا من بين القتلى وظل معها مختبئاً في بيت الرب ست سنين، وعتليا

---

١ - أخبار الأيام : ٢١
٢ - أخبار الأيام : ٢١
٣ - الملوك الأول : ٤

مالكة على الأرض))[1]. وفي السنة السابعة من حكم عتليا أرسل ((يهوياداع زوج يهوشبع، وهو كاهن فأخذ رؤساء مئات الجلادين والسعاة، وأدخلهم إليه في بيت الرب وقطع معهم عهداً واستحلفهم في بيت الرب وأراهم ابن الملك .))[2]

وهذا يظهر مدى الشعبية والمحبة التي كان يحظى بها الملك السابق ومن ثم ابنه الصغير من بعده أما عن وفاة عتليا الملكة دخلت إلى المكان ووجدت الملك الصغير قد نصِّبَ العرش فشقت ثيابها، وصرخت خيانة ثم قتلت. [3]

٨- يوآش بن أخزيا :

هو يوآش بن أخزيا وأمه ((ظبية من بئر سبع))[4] عمل ما هو مستقيم في عيني الرب كل أيامه ولكن المرتفعات لم تنتزع بل كان الشعب لا يزالون يذبحون ويوقدون على المرتفعات [5] هذا وقد قام بإصلاح المعبد، وكان لا يزال معبداً مليكاً . واضطر إلى تسليم الكنوزإلى " حزائيل الدمشقي "، الذي وقعت إسرائيل واليهودية في الفترة تحت رحمته، وقد يكون أحد الأمرين مما مهد لتدبير مؤامرة لذبحه.[6]

الأول : الخلاف الذي كان بينه وبين الكهنة بسبب أنه لم يعمل لبيت الرب أدوات فضية من الفضة الداخلة إلى بيت الرب [7] .

---

[1] - نجيب ميخائيل : ج٣، ص٣٩٠
[2] - المرجع السابق ص ٣٩١
[3] - الملوك الثاني : ١١
[4] - نجيب ميخائيل : ج ٣، ص ٣٩١
[5] - الملوك الثاني : ١١/ ٣
[6] - الملوك الأول ١٢/ ١
[7] - الملوك الثاني : ١٢/ ٤- ٦

الثاني : حسب ما جاء في أخبار الأيام الثاني ((إحياء عبادةبعل التي حدثت بعد موت " يهوباداغ " وهي عبادة ذكَّاها وساعد عليها النبلاء والملك .))[1]

وكانت نهايته عندما ((تحالف عليه عبيده من أجل دم بني " يوياداع " الذي ربّاه وحافظ عليه، وقتلوه على سريره .)) [2] ومن المرجح أن هناك سبباً آخر ساهم في قتله وهو ضعفه السياسي .

٩- امصيا بن يوآش :

حكم تسعة وعشرين سنة وحسب ما جاء في التوراة ((أنه انتقم لأبيه فقتل المتآمرين عليه وصنع ما هو قويم في عيني الرب ولكن المشارف ظلت وظل الشعب يذبح ويتقرب إليها .))[3] وأهم الأحداث في عهده والتي كانت فيها نهايته ما ذكر عن ((حربه مع يوآش ملك إسرائيل والتي انكسر فيها وزحف يؤاش على أورشليم فهدم أسوارها ونهب ما في بيت الرب وبيت الملك من ذهب وفضة وأسر الملك .))[4]

ومن الثابت من خلال التوراة أن ملك إسرائيل أطلق سراحه بدليل ما ذكره سفر الملوك الثاني ((أنه عاش بعد وفاة يؤاش ملك إسرائيل خمسة عشر عاما ثم قامت عليه فتنة في أورشليم فهرب إلى لخيش فتبعوه هناك وقتلوه.))[5]

---

[1] - أخبار الأيام الثاني : ٢٤/ ١٧
[2] - أخبار الأيام الثاني : ٢٤
[3] - الملوك الثاني : ١٤
[4] - الملوك الثاني : ١٤/ ٢
[5] - الملوك الثاني : ١٤

١٠- عزريا بن امصيا :

وقد حكم أثنين وخمسين عاماً . وقد نصَّبَ عزريا " وهو ابن ست عشرة سنة " عوضاً عن أبيه والعلامة الظاهرة في حكم هذا الرجل ما كان من رأب الصدع السياسي بين يهوذا وإسرائيل وقد عاش " أبرص " حتى وفاته، وقد مكث في بيت المرض وكان ابنه يوشام يحكم نيابة عنه .

ومن خلال النظرة الفاحصة لما جاء في التوراة أن الأحوال أخذت في التحسن في المملكتين معاً، وحل الرخاء بدل القحط والفقر، وذلك بفضل انشغال شعبي المملكتين بالتجارة .[١] وربما كان هذا هو الدافع لاستمرار فترة السلام أطول وقت ممكن.

ومما يجدر ذكره أن عزريا ((استعاد ايلة على خليج العقبة من الأدوميين وكان تحت يده جيش قوي عدته " ثلاثمائة وسبعة آلاف وخمسمائة من المقاتلين .))[٢] وبلا شك أن الرقم مبالغ فيه كما عودنا كتاب التوراة.

١١- يوشام واخاب :

كان يوشام ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، وقد استمر ملكه ست عشرة سنة في أورشليم وقد حارب بني عمون، وانتصر عليهم .[٣]

وقد ورد في سفر الملوك الثاني : ((أن المشارق لم تزل وظل الشعب يذبح ويقتر عليها .))[٤] وقد ورد في سفر أخبار الأيام الثاني أيضا ((أنه صنع ما صنع أبوه إلا أنه لم يدخل الهيكل، وكان الشعب لا يزال يعمل الفساد .))[٥]

---

١ - أخبار الأيام الثاني :٢٦ / ٣
٢ - أخبار الأيام الثاني : ٢٦/ ٢
٣ - نجيب ميخائيل : ج ٣، ص ٣٩٣
٤ - الملوك الثاني : ١٥
٥ - الملوك الثاني :١٧

١٢ـ ثم خلفه ابنه أخاب :

في العشرين من عمره، وملك كذلك ست عشرة سنة في أورشليم ولكنه لم يكن في صلاح أبيه بالنسبة لرب إسرائيل .

أما عن خبره التوراتي ((فصنع تماثيل مسبوكة للبعليم وأوقد على وادي ابن هنوم وأحرق بيته بالنار وذبح، وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء))[١].

ولا يرى الباحث اختلافا ذا بال في ملوك هذه الدولة من خلال ما سطرته التوراة لعهود حكمهم فالمشارف والتلال والطقوس الوثنية صفة سائدة في كل العهود، وإن قلت عند بعضهم.

١٣ـ حزقيا :

توفي أخاب وخلفه حزقيا ابن الخامسة والعشرين وملك تسعة وعشرين سنة في أورشليم ((عرف بالمصلح، فقد أصلح بيت الرب، وأخرج منه النجاسة وقدم الذبائح والقرابين، وأطلق النداء من بئر سبع إلى دان ليتقدم جميع إسرائيل لعمل نصح لرب إسرلئيل في أورشليم وقد قام شعب إسرائيل بعد ذلك بكسر الأنصاب وقطعوا السواري وهدموا المذابح وأفنوها في كل مدن يهوذا))[٢].

يمكن القول أنه في عهد هذا الملك حدثت انتفاضة حقيقية ضد كل مظاهر الخروج على الدين وتورد التوراة قصة صعود سنحريب الأشوري على دولة يهوذا بعد قضائه على دولة إسرائيل في عهد حزقيا والرواية فيها تضارب فيجد الباحث أن ما جاء في سفر الأيام الثاني من صعود سنحريب نحو يهوذا يتناقض مع رواية سفر الملوك، وهذا ديدن التوراة نتيجة تعدد الكتَّاب، وتباعد الأزمان في كتابة أسفارهم .

---

١ ـ أخبار الأيام الثاني : ٢٨/ ١ـ ٥

٢ ـ أخبار الأيام الثاني : ٢٩ ـ ٣٢

١٤- منسى :

خلف حزقيا منسى ابنه وكان في الثانية عشر وملك خمسة وخمسين سنة في أورشليم أما عن سيرته في القوم. ((فقد عمل الشر، وتنكر لكل ما هو مقدس، وخالف خط أبيه، وأعاد بناء المرتفعات للبعليم وعمل سواري، وسجد لكل جند السماء، وعبدها وأجاز بنيه في النار، واستخدم أصحاب جان وعرافين .))[١]

وقد ورد في التوراة أن الرب جلب عليه قوّاد أشور، وأخذوه موثقاً بالسلاسل إلى بابل " نينوى "وهو في منفاه صلى للرب فاستجاب إليه ورده إلى ملكه ولما عاد أزال كل ما يغضب الرب .))[٢] وظل على هذا الحال حتى مات .

١٥- آمون :

خلف منسى ابنه آمون في الثانية والعشرين من عمره، وقد حكم عامين، وعمل الشر في عيني الرب وزاد على ما فعله أبيه ففتن عليه عبيده وقتلوه، ولكن الشعب قام على القتلة وتخلص منهم ونصب يوشيا بن آمون مكانه.[٣]

١٦- يوشيا :

ملك الشعب مكان آمون ابنه يوشيا ابن الثامنة من عمره، وملك إحدى وثلاثين سنة في أورشليم .((لم يكن في جور أبيه بل عرف بالصلاح وطهر أورشليم من النجاسات وعمل فصحاً للرب .))[١]

---

[١] - نجيب ميخائيل : ج٣، ص ٣٩٥ وأنظر ردروزة : ج ٢، ص ٣٠٩
[٢] - أخبار الأيام الثاني : ٣٣
[٣] - الملوك الثاني : ٢١

وقد ورد شرح مطول لأعمال هذا الملك، وكيف سار على نهج داوود، ولم يحد عنه يمنة أو يسرى وأن وجد في عهده سفر الشريعة الذي فقد من قبل . وأنه تلاه على كهنة إسرائيل، وتعاهد معهم على العمل بما فيه . ويرى الباحث أن هذا الشرح لأعمال وإصلاحات هذا الملك الدينية يدل على مدى الانحراف الذي كان عليه بنو إسرائيل على مدى فترة الانتكاس الديني وتأثير الشعوب المجاورة فيهم دينيا واجتماعيا .

وكانت نهاية يوشيا القتل في مجدّو أثناء المعركة التي دارت بينه وبين " نخو " ملك مصر وحمل إلى أورشليم ودفن هناك، وقد رثاه النبي أرميا .[٢]

١٧- يهواحاز :

كان في الثالثة والعشرين من عمره، وملك ثلاثة شهور ثم عزله ملك مصر، وحسب التوراة صنع الشر في عيني الرب وهذا يعني أن التوبة التي مرت في عهد يوشيا كانت وقتية وزالت بزوال المؤثر، وهذا يدل على قوة الفساد الذي تأصل في نفوس بني إسرائيل . وبالعودة للتوراة تقول ((فكتفه فرعون مصر نخو في " دبلة " من أرض حماة وغَرَّمَ الأرض { والمقصود أرض مملكة يهوذا } مائة قنطار فضة وقنطار ذهب وأقام "يهوياقيم " ابنه وأخذ الأب معه أسيرا حيث مات في مصر.))[٣]

وهذا حديث يوضح أن مصر في تلك الحقبة كانت تحاول استعادة مكانتها في بلاد الشام، وأنها أخذت تخرج من الحصار الذي ضربته على نفسها داخل أسوارها منذ الغزو الدوري في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد .

---

[١] - الملوك الثاني : ٢٢

[٢] - أخبار الأيام الثاني : ٣٥/ ٢٠ إلى ٢٥

[٣] - سفر الملوك الثاني : ٢٣

١٨- يهوياقيم :

ملك أحدى عشرة سنة وصعد عليه نبوخذ نصر البابلي وقيده بسلاسل نحاس ليذهب به إلى بابل، وملك " يهوياكين" ابنه عوضاً عنه.[١]

١٩- يهوياكين :

كان في الثامنة من عمره وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام وأمر نبوحذ نصر أن يؤتى به إلى بابل مع آنية بيت الرب، وملك عمه مينا باسم صدقيا مكانه.[٢]

٢٠- صدقيا :

ملك صدقيا إحدى عشرة سنة في أورشليم ولم يتواضع أمام إرميا، النبي من فم الرب، وتمرد كذلك على نبوخذ نصر وقد تبارى الجميع في عصره في عصيان الرب حتى غضب الرب، فأصعد عليهم الكلندنيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم وهدم سور أورشليم وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له عبيداً ولبنيه إلى أن ملكت مملكة فارس لإكمال كلام الرب بفم إرميا حتى استوفت الأرض سبوتها لأنها سبتت في كل أيام خرابها لإكمالسبعين سنة[٣]. ويرى الباحث من خلال هذا العرض المختصر أن المملكة الجنوبية نالها ما نال المملكة الشمالية في نهاية الأمر وإن طال عمرها بعد أختها قرابة القرنين من الزمان.

---

١ - أخبار الأيام الثاني : ٣٤- ٣٥
٢ -الملوك الثاني : ٢٣- ٢٤
٣ - أخبار الأيام الثاني : ٣٦

أما ما أعطى لمملكة يهوذا الشخصية المميزة، والديمومة الوجودية بالمقارنة مع أختها إسرائيل أسباب عدة .((أنها عمرت مدى قرنين تقريبا بعد أختها الشمالية لبعدها عن الطريق الطبيعي من الشرق إلى الغرب و كذلك مناعة أورشليم والسبب الأهم هو فصل الدين عن السياسة وتسامي الدين من خلال المعتقد الشخصي لدى أشعياء وأرمياء ثم الأصلاح الديني عند حزقيال ويوشع))[١] . ويرى الباحث أن الدين لا ينفصل عن السياسة بحال من الأخوال ورأي نجيب ميخائيل هو مجرد تحليل لأحداث تاريخية.

وهناك سبب آخر ((أن سبى أشور انتهى إلى تشريد الأسباط العشرة في أنحاء العالم، ولم يسمح لهم بالعودة إلى أرض فلسطين . بينما أهل يهوذا فقد سمح لهم البابليون بالاحتفاظ بوحدتهم الوطنية وممارسة عقيدتهم وآدابهم والتطور بهما مما أنتج أهم الآثار.))[٢]

ويرى الباحث أنه ليس لهم من آثار أو آداب سوى أسفار التوراة التي كتبت أثناء السبي وبعد السبي هذا إن كان ينظر إليها البعض على أنها آداب أو تراث أو آثار.

---

١ - نجيب ميخائيل ابراهيم : (مصر والشرق الأدبي القديم) الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٦٤، ص ٣٨٧

٢ - نجيب ميخائيل إبراهيم : ج٣، ١٩٦٤، ص٣٨٧

الفصل الثالث

العـلاقـة بـيـن الـمـمـلـكـتـيـن ودول الــجــوار

في الشام و بلاد الرافدين

توطئه:

نتنـاول فـي هـذا الفصـل العلاقـات بـين المملكتـين وعلاقـات كـل منها بدول الجوار في الشام وبلاد الرافدين . وسنجد في طبيعة تلـك العلاقـات عوامـل عـدم اسـتقرار المملكتـين وفنائهمـا فـي النهاية. و قد افردنا للعلاقه مع مصر فصل مستقل لدور مصر الكبير في استقرار المنطقه في تلك الازمنه وأن بني اسرائيل تكاثروا في مصر أولا ومنها خرجوا الى ارض كنعان.

العلاقـة بين المملكتين :

من البديهي أن تبدأ العلاقة بين المملكتين يهوذا وإسرائيل، عدائية لأن انفصالهما لم يكن بالتراضي، وإنما كان انقساما خلافياً سواء أكان السبب في ذلك رحبعام بن سليمان أم يربعام بن نباط .

ومنـذ بـروز المملكتـين للوجـود تعارضـت ميولهمـا، وتنـافرت مصـالحهما، فشـبت بينهما الحروب الدامية مما دفع كل منهـا الاستعانة بالدول المجاورة ضد بعضـها البعض فأدى ذلك في النهاية لتلاشيهما وزوالهما تماماً .

ويـرى برسـتد ((أن سـكان هـاتين المملكتـين لـم يكونـوا علـى شـيء مـن التضـامن والتصافي والتواد .فكانت مملكة إسرائيل فـي شمال فلسطين غنيـة متقدمـة تغص أسواقها بسلع الصناعة والتجارة، وتتدفق أراضيها بـالنعم والبركـات، وكـان أهلهـا علـى جانـب مـن التمدن يعشون فـي سعة ورخـاء، أمـا مملكـة يهوذا فـي جنـوب الـبلاد، فكانـت عكـس ذلـك،

فقيرة متأخرة، وأراضيها جديبة، ولم تكن ذات مدن كبيرة، لأن سكانها كانوا ما يزالون في مرحلة البداوة وقد أدّى هذا التباين بينهم إلى النزاع في كثير من الشؤون ولاسيما الدينة منها .))[١]

أما عن حالة العداء بين المملكتين، فلم يرد فيها شيء عن وقائع حربية فعلية على أيام رحبعام ويربعام، حيث يرجح أن ما ورد في التوراة يعني حالة الحرب، والعداء، والكراهية التي قامت نتيجة الانقسام، وقد ورد في التوراة ((أن رحبعام حشد قواته لمحاربة يربعام ثم كف عن ذلك واكتفى بتحصين مدنه، وهذا وذاك من مظاهر هذه الحالة بطبيعة الحال .))[٢] والظاهر هنا في علاقة رحبعام ويربعام هو التوجس والخوف كل من الآخر حيث ((كان يربعام يخشى دعاية رحبعام على شعبه فيثوروا عليه ويقتلوه))[٣] وقد استمر العداء والقطيعة في زمن أبيا بن رحبعام الذي تقول التوراة أنه ((حشد أربعمائة ألف مقاتل، وزحف بهم إلى إسرائيل وخرج إليه يربعام بثمانمائة ألف ورتبهم من أمام جيش أبيا وورائه، ولكن الدائرة دارت عليه لصراخ يهوذا إلى الرب، وغضب الرب على يربعام لانحرافه عنه حتى قتل يهوذا من جيش إسرائيل خمسمائة ألف رجل،

واستولى أبيا نتيجة لذلك على مدن إيل، وبشانة، وعفرون وتوابعها – وهي بين أورشليم وشكيم العاصمتين- وأقرب إلى شكيم (نابلس)))[٤][*]، وبالعودة إلى حالة العداء بين المملكتين حيث أن الحرب اشتعلت بين آسا وبن أبيا وبين بعشا الذي قتل ناداب بن يربعام واستولى على عرش إسرائيل كل أيامهاوحسب التوراة ((فقد صعد بعشا

---

١ - جمس هنري برستد : (العصور القديمة)، ترجمة دار قربان، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٦، ص ١٨٠
٢ - محمد عزة دروزة : ج٢، ص ٢٣٢
٣ - الملوك الأول : ١٢
٤ - أخبار الأيام الثاني : ١٣
* - يرى الباحث أن الأرقام المتقدمة فيها مبالغة واضحة فلا يعقل أن يقتل في هذه المعركة نصف مليون في ذلك الوقت وهي معركة صغيرة إذا ما قورنت بالمعارك بين الإمبراطوريات في ذلك الزمان ولكن هذا هو رأى التوراة.

على يهوذا وضرب عليها الحصار، وتوقفت حركته عند هذا الحد لأن آسا أرسل ما في بيت الرب وما في خزائنه من ذهب وفضة إلى بنهدد ملك دمشق الآرامي، وطلب منه نقض العهد الذي بينه وبين أبيه عهدا، حتى ينصرف))[١].

وقد استجاب بنهدد ملك دمشق ((..وسير جيوشه على إسرائيل، وضرب مدن عيون ودان وأيل وكناروت مع كل أرض نفتالي فكف بعشا عن حركته وأرسل آسا جيشه فهزم الرامة وحصونها.))[٢]

وهنا يبدوا واضحا دور الكيانات السياسية المجاورة، وأثره في العلاقة بين الجارتين اللدودتين، وقد أفلح آسا بن إيبا في فض الحلف بين مملكة إسرائيل وملك دمشق بما أرسله إليه من هدايا، وكانت تلك بداية الاستعانة بالكيانات المجاورة في تأجيج الحرب بين المملكتين .

ومن خلال ما تقدم يمكن القول أن حالة العداء والحرب كانت الصفة السائدة في العلاقة بين المملكتين خاصة في بداية نشأتهما. ولكن سنلاحظ تغيرا في تلك العلاقة بعد القضاء على الأسرتين المؤسستين للمملكتين.

وجاءت مبادرة السلام والتعايش من مملكة يهوذا حسبما جاء في الأسفار ((أن يهوشافاط ملك يهوذا انحدر إلى ملك إسرائيل، وعرض عليه الذهاب معه لقتال ملك آرام وتحرير راموت جلعاد والتي كانت تابعة ليهوذا سابقاً فلباه وزحفا معا .))[٣] ومما عزز حالة الود بين المملكتين تلك المصاهرة التي تمت بين يهورام بن يوشفاط ملك يهوذا وبين ابنة أخاب ملك إسرائيل .))[٤]

---

[١] ـ الملوك الأول : ١٥ وأخبار الأيام الثاني : ١٦
[٢] ـ الأسفار السابقة نفس الإصحاحات
[٣] ـ الملوك الأول : ٢٢
[٤] ـ أخبار الأيام الثاني : ١٨

وكون أخاب بن عمرى رأس أسرة ملكية جديدة على إسرائيل بعد إبادة نسل أسرتي يربعام وبعشا التين تصدرتا الحرب بين المملكتين . وبذهاب الأسرتين المتخاصمتين ذهبت حالة الحرب، وحل السلام والصفاء وظل الود بين المملكتين بعد أخاب أيضاً وما يدل على ذلك ((اشتراك يوشافاط ملك يهوذا مع يورام بي أخاب في الزحف على مؤاب التي تمردت على إسرائيل .))[1]

كان تمرد مؤاب عندما ثار ملك مؤاب " ميشع " على إسرائيل، ورفض دفع الجزئية لها، وحارب إسرائيل وانتصر عليها في عدة مواقع[2]. وقد شاركت دويلة يهوذا في الحرب ضد ملك مؤاب الذي ((سجل انتصاراته على النصب التذكاري الحجري الأسود المعروف " بحجر مؤاب " والموجود في متحف اللوفر، وهذا النقش يعد من أقدم النقوش العربية .))[3] ويعتبر هذا النقش وثيقة أقوى من نص سفر العهد القديم ... ((حيث يفيد أن عمرى ملك إسرائيل هو الذي فرض سلطانه على مؤاب في زمن الملك "لكموس " واستمر هذا السلطان أربعين سنة وأن ميشع لم يكتف بإسقاط سيادة إسرائيل

وإنما استولى على بلاد تابعة لإسرائيل في شرق الأردن بعد أن أهلك، أسر الكثير من أهلها الإسرائيليين .))[4]

ومن صور التحالف العسكري بين الدولتين أيضاً ما جاء في سفر الملوك الثاني ((حيث اشترك اخزيا بن يهورام بن يوشفاط ملك يهوذا مع يورام بن أخاب ملك إسرائيل في قتال حزائيل ملك آرام .))[5]

---

[1] ـ الملوك الثاني : ٣
[2] ـعبد الحميد زايد (الشرق الخالد)، ص ٣٩٢
[3] ـ المرجع السابق : ص ٣٩٢
[4] ـ محمد عزة دروزة : (تاريخ الجنس العربي)، ج ٤، ص ١٧٨
[5] ـ الملوك الثاني : ٨

وبعد أن دام الود بين المملكتين طيلة عهد يوشفاط ملك يهوذا، وأخاب ملك إسرائيل ثم انقلب القوم مرة أخرى لحالة العداء الأولى ((ففي زمن أمصيا بن أخزيا ملك يهوذا، ويهوآش بن يوآحاز ملك إسرائيل اشتبكت قوات الدولتين بقيادة الملكين في بيت شمس التي هي في مملكة يهوذا وانهزمت ووقع أمصيا أسيراً، وزحف يهواش على أروشليم فهدم أسوارها، ونهب جميع الذهب والفضة والآنية التي كانت في بيت الرب، وقصر الملك، وعاد إلى السامرة ويده ملأى بالغنائم والسبايا))[١] .

وتفاصيل ذلك في التوراة ((أن أمصيا استأجر من إسرائيل مائة ألف جبار بائس . لكي يحاربوا إلى جانب الدولة يهوذا، ويتم الزحف بهم مع جيش دولة يهوذا على بني سعير – الأدوميين – ولكن أحد أنبياء بني إسرائيل نهى ملك يهوذا عن اشراك هؤلاء المائة ألف من دولة إسرائيل فسمع كلام النبي، وأعادهم إلى مملكة إسرائيل وخاض المعركة مع الأدوميين بجيشه فقط مما أغضب مملكة إسرائيل، فراحوا يعيثون في مدن يهوذا قتلاً ونهباً حتى قتلوا ثلاثة آلاف .))[٢] وقد دفع هذا أمصيا إلى عقد مجلس الحرب للمشورة فأرسل إلى يهواش يطلب منه المواجهة، وقد أنذره يهواش بالسقوط إن أصرَّ فلم يستمع الإنذار فصعد يهواش بجيشه والتقى بإمصيا في بيت شمس كما تقدم آنفاً .

واستمرت حالة الحرب في عهد خلفاء الملكين ايضاً ((حيث أن فقح بن رمليا ملك إسرائيل زحف مع رصين ملك دمشق الأرامي على أورشليم لقتال آحاز ملك يهوذا وحاصراه. و استعان أحاز بملك أشور ثغلت فلاسر، وأرسل إليه ما عنده من ذهب وفضة فزحف ملك أشور على دمشق وقتل ملكها .))[٣]

وجاء في السفر أيضاً أن الرب ((أسلم أحاز إلى يد ملك إسرائيل فضربه ضربة عظيمة، وقد قتل هذا الملك وهو فقح بن رمليا من يهوذا مائة وعشرين ألف رجل في يوم

---

[١] - الملوك الثاني : ١٤ وأخبار الأيام الثاني : ٢٥
[٢] - أخبار الأيام الثاني : ٢٥
[٣]- الملوك الثاني : ١٦

واحد وسبى مائتي ألف من النساء والأطفال، وأخذ سلباً كثيراً .)) [1] وبذلك تكون حالة العداء بين دولتي يهوذا وإسرائيل قائمة من زمن امصيا ملك يهوذا ويهواش بن يواحاز ملك إسرائيل إلى النهاية .

ناهيك عن حالة الحرب التي كانت بين الدولتين قبل أمصيا ويهواش والتي لم تتبدل إلى حالة سلم وحلف إلاّ لفترة قصيرة أي في زمن حكم أسرة عمرى لدولة إسرائيل وحكم أسرة ياهو بن يهوشافاط لدولة يهوذا .

علاقة المملكتين بالآراميين :

تجاور مملكة آرام مملكة إسرائيل من الجهتين الشرقية والشمالية، وبحكم الجوار تراوحت العلاقات بينهما سلباً وايجاباً .

١- إسرائيل والآراميين :

في عهد عمري ملك إسرائيل (٨٨٥ – ٨٧٤ ق . م) استطاع الآراميون أن يستقلوا بزعامة دمشق حيث كان الخطر الأشوري في ذلك الوقت بعيداً عنها، مستغلين حالة الخصومة والعداء بين مملكتي بني إسرائيل يهوذا وإسرائيل مما ساعدهم على الإستقرار وإنجاز مشروعاتهم العمرانية الكثيرة ليصبحوا القوة الرئيسية في سوريا وكان ذلك على أيام ملكهم " بن هدد " [2] وفي حوالي عام (٨٧٥ ق. م) استطاع الأراميون في دمشق أن يبسطوا سيطرتهم وحمايتهم على دولة إسرائيل . [3]

---

[1] - أخبار الأيام الثاني : ٢٨

[2] - عبد الحميد زايد : (الشرق الخالد)، ص ٣٥٤

[3] - المرجع السابق، ٣٥٤

وقد خلف عمرى ابنه آخاب (٨٧٤ – ٨٥٢ ق.م) الذي عاش في ود مع جيرانه حتى وصف بأنه حليفاً لدمشق الأرامية ضد آشور، وتجلى هذا التحالف الإسرائيلي الأرامي في موقعة" قراقر " عام (٨٥٣ ق . م) [١]، والتي لم تسفر عن نتيجة حاسمة، وذلك نتيجة تضارب الرواية الأشورية والرواية الآرامية فالكل يدعي النصر، وكل ما يعنينا في معركة قراقر أن نصوص سلمنصر الأشوري أشارت إلى اشتراك أخاب ملك إسرائيل في المعركة بجانب الأراميين، وقد جاء في النص ((والفى عربة وعشرة آلاف من مشاة آخاب وأرض إسرائيل .)) [٢] أما التوراة فتورد خبر زحف بن هدد على إسرائيل وحصاره للسامرة ومحاربته لها .

ويفهم من عبارة التوراة أن هذا الزحف ليس الأول، وأن بن هدد هو غير بن هدد الأول الذي زحف تلبية لاستنجاد آسا والعبارة التوراتية تفيد أنه ابنه . [٣] وفي حوالي عام (٨٧٥ ق. م) ((جاء ملك آرام ومعه اثنان وثلاثون ملكاً وخيل ومراكب وأنه أرسل إلى آخاب ملك إسرائيل يقول له : فضتك وذهبك هما لي وأزواجك وبنوك الحسان هم لي فأجابه أخاب كما قلت سيدي أنا وجميع ما هو لي هو لك، فأرسل بن هدد يقول أنه سيرسل عبيده للتفتيش وأخذ كل ما هو شهي في عيني الملك، وأن أخاب دعا شيوخ إسرائيل

وأخبرهم بما يريده ملك دمشق فرفضوا، فأرسل أخاب يؤكد استعداده لإعطائه ذهبه وفضته ولكنه لن يسمح له بالتفتيش، فغضب بن هدد وزحف نحو إسرائيل .)) [٤] وجاء النبي إلى أخاب وأعلمه ((أن الرب قد وعده بالنصر واشتبك الطرفان فانهزم الآراميون فضربهم ملك إسرائيل ضربة شديدة .)) [٥]

وحسب ما كان من نتائج هذه المعركة أن بن هدد نجا من القتل وكان هذا سبباً بإعادة تجميع صفوفه، والإنقضاض على إسرائيل مرة أخرى . فدارت الدائرة على

---

[١] - سليم حسن (مصر القديمة)، ج ٩، ص ٥٢١
[٢] - أحمد فخري : (دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم)، ص ١٠٣
[٣] - محمد عزة دروزة : (بني اسرائيل من أسفارهم)، ج ٢، ص ٢٣٩
[٤] - الملوك الأول : ٢٠ / ١ – ٩
[٥] - الملوك الأول : ٢٠/ ٣ – ١٤ – ٢٠ -٢١

الآراميين، وقتل منهم مائة ألف وهرب من بقي إلى أفيق والملك بصحبتهم، ثم أرسل إلى آخاب يطلب الصلح ويرد المدن التي أخذها أبوه من أبيه ويتعهد بأن يكون لإسرائيل سوقاً في دمشق كما فعل أبوه في السامرة، وبموافقة آخاب على هذه الشروط انعقد الصلح.))[١]

وعن أرام وإسرائيل جاء أيضاً ((إن ملكي يهوذا وإسرائيل يوشافاط وأخاب اشتركا في الهجوم على راموت جلعاد لتخليصها من يد ملك آرام .))[٢] ويكون يوشافاط ملك يهوذا بفعله هذا، وتحالفه مع ملك إسرائيل أخاب قد تنكر للحلف والخدمات التي قدمها ملك آرام لأبيه أسا وإنجاده من أخاب ملك إسرائيل كما سبق وذكرنا .

أما عن الهجوم على ملك آرام فقد فشل . جاء في السفر ((أن أخاب قال ليوشافاط أنا أتنكر وأتقدم إلى الحرب، وأما أنت فالبس ثيابك . فتنكر ملك إسرائيل ودخل الحرب وأصيب بجرح ومات عند الماء .)) [٣] وتورد الأسفار الكثير من الدلائل على أن غارات أرام على مملكة إسرائيل لم تتوقف . فقد جاء ((أن قوم آرام خرجوا غازين، فسبوا من أرض إسرائيل فتاة صغيرة .))[٤] وجملة في سفر الملوك الثاني ((وكان ملك آرام يحارب إسرائيل .)) [٥] ومع أن السفر لم يوضح التفاصيل والأسباب إلا أن هذا يشير إلى استمرار حالة الحرب بين الطرفين .

ومن الأحداث الهامة بين إسرائيل وآرام حملة بن هدد ملك آرام ((حيث جمع بن هدد عسكره وصعد إلى السامرة وحاصرها، فأصابها جوع شديد حتي صار رأس الحمار بثمانين من الفضة وربع القب من زبل الحمام بخمسين من الفضة وأكل الناس أبنائهم))[٦]

---

١ ـ الملوك الأول : ٢٠ / ٤٢ ـ ٤٣
٢ ـ الملوك الأول : ٢٢، وأخبار الأيام الثاني : ١٨
٣ ـ الملوك الأول : ٢٢/ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٥
٤ ـ الملوك الثاني : ٣/٥
٥ ـ الملوك الثاني : ٤/٥
٦ ـ الملوك الثاني : ٦/ ٢٤ـ ٢٥ـ ٢٦

وعن كيفية فك الحصار دون قتال من قِبَل إسرائيل جاء في السفر ((أن الآراميين فكوا الحصار وانهزموا تاركين خيامهم وأثقالهم ومؤنهم لأنهم سمعوا أصوات خيل ومركبات وجيش عظيم فظنوا أن الإسرائيليين استنصروا بالحيثيين والمصريين .))[١]

وترجع التوراة هذا الأمر إلى الرب والأنبياء . ويضاف هذا إلى جملة الخوارق التوراتية وما أكثرها ويكون الإسرائيليون بذلك قد غنموا ما تركه الآراميون دون حرب، ولكن الذي لا يفهم من كلام التوراة الاستنصار بالحيثيين في ذلك الزمان هل كان للحيثيين كيان سياسي وجيوش تستنصر في تلك الحقبة !؟ أم يقصد كاتب السفر بعض الحيثيين الذين علقوا بأرض كنعان وهم قلة، وكان حالهم حال معظم الشعوب التي سكنت أرض فلسطين .

فمن المعروف أن الإمبراطورية قد إنتهت ابّان الغزو الدوري بالمنطقة، وهذا نفس السبب الذي يجعل هبّت مصر لنجدة إسرائيل مشكوك فيها .[٢] ولكن إذا كان الكلام للتوراة، فحدث ولا حرج . مع العلم أن الكلام جاء من باب الظن عند الآراميين .

يهوذا وإسرائيل والآراميين :

مثلما واجه الإسرائيليون مطامع الآراميين منفردين كذلك، واجهت إسرائيل متحدة مع يهوذا الآراميين، وتورد التوراة عن ذلك ((خروج أخزيا ملك يهوذا مع يورام ملك إسرائيل لقتال حزائيل ملك آرام في راموت جلعاد، وقد أصيب يورام بجرح في المعركة ورجع ليبرأ في يزرعيل من الجرح .))[٣] ولكن هجوم أخزيا ويورام على جلعاد لم يحقق لهم نصراً . فكر حزائيل الآرامي على دولة إسرائيل وسيطر على قسم كبير من مشارقها .

---

[١] - الملوك الثاني : ٧/ ٦- ٧ - ٨

[٢] - أنظر : عبد الرحمن الخطيب : (ظروف قيام دولة بني إسرائيل الأولى) رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٩٧، ص ٦٢

[٣] - الملوك الثاني : ٨/ ٢٨- ٢٩

وتقول التوراة : ((في تلك الأيام ابتدأ الرب يقتطع من إسرائيل فضربهم حزائيل في جميع التخوم من الأردن بجهة مشرق الشمس جميع أرض جلعاد الجاديين والراوبينيين والمنسيين (*) من عروعير التي على وادي أرنون وجلعاد وباشان .))[١] وذلك في زمن ياهو ملك إسرائيل الذي قتل يورام، وجلس مكانه .

وورد في سفر الملوك الثاني أيضاً أن حزائيل الآرامي ((صعد إلى جت واستولى عليها ثم توجه نحو أورشليم في عهد ملكها يواش فما كان من يواش إلا أن يسترضي حزائيل فجمع الأقداس التي قدسها ملوك يهوذا، وكل الذهب الموجود في خزائن بيت الرب وبيت الملك، وأرسلها إلى حزائيل حتى يرتد عنه .))[٢]

ويتضح جليا أن المملكتين في هذه الحقبة كانتا تحت رحمة ملوك آرام . وهذه اشارة واضحة إلى الخلل الإقليمي الذي قد أصاب الدول الكبرى فجعل كيانا صغيراً كالكيان الآرامى يملي شروطه على دويلتين صغيرتين في وقت كانت الدول الكبرى أمثال مصر وأشور كل منشغل بظروفه الداخلية ولكن إلى حين .

وبالعودة إلى التوراة للوقوف على حال المملكتين مع الآراميين نجد أن سفر الملوك

الثاني يذكر في إصحاحه الثالث عشر ((أن الرب غضب على إسرائيل وذلك على أيام يواحاز بن ياهو فجعلهم تحت رحمة حزائيل ملك آرام ثم تحت رحمة ابنه وخليفته في الملك بنهدد ... وأن ما كان يملكه يواحاز خمسبن فارسا وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل . نتيجة لما فعله ملك آرام من ابادة لإسرائيل .))[٣] ولكن الإصحاح السالف الذكر ودون مقدمات أو أسباب يقلب الصورة بعبارة واحدة فيقول : ((أن يواحاز استعطف وجه الرب فنزل الرب عند استعطافه لأنه كان يرى الظلم الذي لحق بإسرائيل من ملك آرام

---

* ـ هؤلاء أبناء جاد وروبين ومنسي وقد سكنوا أرض جلعاد

[١] ـ الملوك الثاني : ١٠ /٣٢- ٣٣- ٣٤

[٢] ـ الملوك الثاني : ١٢

[٣] ـ الملوك الثاني : ١٣/ ٧- ٨

فخلصهم الرب وخرجوا من تحت نير ملك آرام))[1] وفي نفس الإصحاح ((مات حزئيل ملك آرام وملَّك بنهدد ابنه عوضاً عنه . فعاد يهواش بن يهواحاز وأخذ المدن من يد بن هدد بن حزئيل التى أخذها من يد يهواحاز أبيه بالحرب .ضربه يواش ثلاث مرات وأسترد مدن إسرائيل .))[2] ويذكر الإصحاح أيضا ((أن يربعام بن يواش ملك إسرائيل رد تخوم إسرائيل من مدخل حماة إلى بحر العربة))[3] وهذا الكلام مع ما يحمله من علامات استفهام إلا أنه يوضح خلاص دولة إسرائيل من هيمنة دمشق، ثم تمخض عن ذلك حلف بين إسرائيل والآراميين ضد يهوذا . وتورد التوراة ((فقد صعد رصين ملك آرام وفقح بن رمليا ملك إسرائيل إلى أورشليم وحاصروها على أيام ملكها يواحاز، ولم يقدروا أن يغلبوه .))[4] وخلال الحصار استنجد يواحاز بملك أشور وطلب منه المدد . وحسب السفر ((أرسل يواحاز رسلاً إلى تغلث بلاسر ملك أشور قائلاً .أنا عبدك وابنك . أصعد وخلصني من يد ملك آرام، ومن يد ملك إسرائيل القائمين عليّ .))[5] ويورد السفر ((أن يواحاز أخذ الذهب والفضة الموجودة لديه وأرسلها هدية إلى تغلت بلاسر ملك أشور، فسمع له ملك أشور وصعد إلى دمشق وأخذها وسباها وقتل رصين، وسار يواحاز للقاء تفلت بلاسر في دمشق .))[6] وبدخول تغلت بلاسر الأشوري دمشق انتهى الحكم الآرامي إلى عير رجعة . ولم نسمع بعودة الآراميين أو أي أخبار عنهم في المنطقة .

وتذكر المصادر التاريخية الاشورية أن ((تجلات بلسر الثالث (٧٤٥- ٧٢٧ ق.م) استغل فرصة النزاع بين ممالك دمشق وإسرائيل ويهوذا واستطاع ذلك الملك الأشوري أن يهزم الآراميين وصب غضبه ونقمته على دمشق فخربها وأحالها إلى حطام وحرق بساتينها وأجلا عنها أهلها، وكان سقوطها عام (٧٢٢ ق.م) .))[7]

---

[1] ـ الملوك الثاني : ١٣ / ٤- ٥
[2] ـ الملوك الثاني : ١٣/ ٢٤- ٢٥
[3] ـ الملوك الثاني : ١٤/ ٢٥
[4] ـ الملوك الثاني : ١٦/ ٥
[5] ـ الملوك الثاني : ١٦/ ٧- ٥
[6] ـ الملوك الثاني : ١٦/ ٩- ١٠
[7] ـ أحمد فخري : (دراسات في تاريخ الشرق القديم)، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣، ص ١٠٤

ونخلص أن الدور الآرامي في بلاد الشام، كان ثمرة لظروف الدولية التي ألمت بالمنطقة من جهة أصاب الوهن والارتباك الإمبراطورية المصرية في أوائل القرن التاسع، ومن جهة أخرى لم يكن لأشور اهتمام بما كان يجري في المنطقة واستمر ذلك في مصر وأشور قرابة القرن ونصف، مما أعطى الفرصة لمملكة آرام أن تظهر كقوة لا يضاهيها احد في المشرق العربي، ومكنها ذلك من مد سلطانها إلى فلسطين والأردن، وإرهاق مملكتي اليهود الصغيرتين في فلسطين .

علاقة الفلسطينيين بالمملكتين :

بداية لابد من تعريف مصطلح فلسطيني حيث ترجع التسمية إلى كلمة "بلست " وتعريفها : قبائل من شعوب البحر عرفوا بالفلستين أو الفلسطينيين ، الذين سميت البلاد باسمهم، وهم آخر من هاجر إلى أرض كنعان قبل دخول بني إسرائيل إليها ويعتبر قدومهم إلى سواحل مصر وفلسطين ضمن هجمة شعوب البحر، وذلك في عهد رمسيس الثاني (١٢٩٠ – ١٢٢٣ ق.م) وحاول ابنه مرنبتاح تحصين البلاد أمام شعوب البحر والذي حكم (١٢٢٢ – ١٢١١ ق.م)، وبقى الخطر يهدد مصر إلى عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ – ١١٦٦ ق.م) الذي استطاع دحرهم في معركة بحرية نشبت بينهما حوالي سنة (١١٩١ ق.م) [١]، وبعد فشلهم في الدخول إلى مصر اتجهوا نحو الساحل الفلسطيني، وهو القسم الذي يمتد من غزة في الجنوب حتى يافا شمالا، وشكلوا قوة ذات ممالك قوية، وذلك قبل زحف بني إسرائيل إلى أرض كنعان بقيادة يوشع بن نون الذي وفد وقومه في القرن الحادي عشر قبل الميلاد . [٢]

---

١ - سليم حسن : ١٩٥٠، ج ٧، ص ٢٩٣ - ٢٩٤
٢ - أحمد سوسة : (العرب واليهود في التاريخ) ص ٢٣٢

ويعتبر المؤرخ هيرودوت أول من ذكر اسم فلسطين بقوله : ((ذلك الجزء من سوريا المعروف بفلسطين))[١] وقد استوطن الفلسطينيون الساحل الغربي لبلاد كنعان من رفح حتى يافا، وكان لهم صولات مع بني إسرائيل سوف نتعرف عليها في الصفحات التالية .

تذكر التوراة ((أن قوم موسى تمكنوا بعد عهد يوشع بن نون من الاستيلاء على غزة وأشكلون وعقرون وتخومها))[٢] وفي سفر صموئيل الأول ((أن الفلسطينيين عادوا فأوقعوا في أواخر عهد القضاة ببني إسرائيل هزائم شديدة حتى أنهم استولوا على تابوت العهد .))[٣] وبذلك ((خضع بنو إسرائيل لحكم الفلسطينيين أربعين سنة)).[٤] ولم يتم تحريرهم إلا عند ظهور شمشون في أواخر عهد القضاة .

وتورد التوراة خبر((هجوم شاؤل الملك على الفلسطينيين، وقتله في المعركة مع أولاده الثلاثة .))[٥] ومن بعد شاؤل داوود الذي استطاع إخضاع أكثر المدن الفلسطينية لحكمه .

ويلاحظ أن التوراة أكثرت من ذكر الفلسطينيين لأنهم كانوا مصدر خطر دائم على بني إسرائيل في جميع أدوارهم كما ظلت كذلك بعد قيام دولتي يهوذا وإسرائيل كما سنرى.

الفلسطينيون ومملكة إسرائيل :

بعيد سليمان ونشأت إسرائيل كمملكة بقيت العلاقة متوترة مع الفلسطينيين حيث جاء في التوراة ((أن ناداب بن يربعام ملك إسرائيل كان محاصرا لجبشون مدينة الفلسطينيين ففتن الرب عليه بعشا بن أخيا من بيت يساكر وضربه بعشا في جبشون التي

---

[١] ـ محمد عزة دروزة : (تاريخ الجنس العربي)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا بيروت، ١٩٦٤، ج ٢، ص ١٩٥
[٢] ـ القضاة : ١/ ١٨
[٣] ـ صموئيل الأول : ١/ ٥
[٤] ـ القضاة : ١٠/ ٧
[٥] ـ صموئيل الأول : ٣١/ ١ـ ١٣

للفلسطينيين وأماته بعشا، ولما ملك ضرب كل بيت يربعام))[١] وهذه إشارة واضحة لإعلان الفلسطينيين التمرد بعد وفاة سليمان وحدوث الانقسام .

ولم يكن الحال مع مملكة يهوذا أحسن منه مع مملكة إسرائيل فعلاقة يهوذا بالفلسطينيين كان يسودها التربص والعداء حيث تورد التوراة ((أن مدينة لبنة تمردت على يورام بن يوشفاط ملك يهوذا وخرجت من يده، وهي احدى المدن الفلسطينية))[٢] وتورد التوراة أيضا ((أن الفلسطينيين صعدوا إلى يهوذا وفتحوها وسلبوا كل الأموال الموجودة في بيت الرب مع أبناء الملك يورام ونسائه ما عدا ابنه الأصغر يهواحاز))[٣] وهناك خبر توراتي يثأر فيه عزيا ملك يهوذا من الفلسطينيين ((حيث خرج وحارب الفلسطينيين، وهدم صور جت وصور يبنه وصور اشدود، وبنى مدنا في أرض اشدود والفلسطينيين .))[٤] وهناك إشارة توراتية يظهر من خلالها قوة الفلسطينيين وتطاولهم على دولة يهوذا حيث جاء فيها ((وأقتحم الفلسطينيون مدن الساحل وجنوب يهوذا، وأخذوا بيت سمش وأيلون وجديروت وسكو وقراها وتمنه وقراها وحمزو وقراها وسكنوا هناك))[٥] وهناك تبدو انتفاضة فلسطينية واسعة شملت العديد من الناطق التابعة لدولة يهوذا واحتلالها .

وهذه الحادثة الأخيرة بين الطرفين ويقدر وقوعها في أوائل القرن السابع قبل الميلاد، ورغم العداء بين شعبي يهوذا وفلسطين فقد كان ملوك يهوذا يجلون آلهة الفلسطينيين . والشاهد على ذلك ((أرسل الملك أخزيا ملك إسرائيل إلى بعل زيون إله بلدة عقرون الفلسطينية سائلا عن شفاء من المرض الذي ألم به .))[٦] وهذا يعتبر دليل على مدى تخلي القوم في يهوذا وإسرائيل عن شريعة موسى – عليه السلام – .

---

[١] ـ الملوك الأول : ٢٥/ ٢٧ـ ٢٨
[٢] ـ أخبار الأيام الثاني : ٢١ /١٠
[٣] ـ أخبار الأيام الثاني : ٢١/ ١٦ـ ١٧
[٤] ـ أخبار الأيام الثاني :٢٦ / ٦ـ ٧
[٥] ـ أخبار الأيام الثاني : ٢٨ /١٨
[٦] ـ الملوك الثاني : ١/ ١ـ٢ ـ ٣ـ ٤

علاقة المملكتين بالفينيقيين :

علاقة بني إسرائيل بالفينيقيين قديمة حيث ترجع إلى عصر داوود وسليمان ـ عليهما السلام ـ وتدخل العلاقة طورها الفاعل في عهد سليمان عليه السلام وقد حدثنا التاريخ أن بني إسرائيل في عهد سليمان ((راحو يتوجهون بنشاطهم التجاري نحو البحر، بغية الاتجار مع البلاد الواقعة على الأبحر، فضلا عن استيراد ما يحتاجون إليه من خارج فلسطين.))[١]

ومن البديهي أن بني إسرائيل لم يعرفوا ركوب البحر من قبل ولم يكونوا على دراية ببناء السفن وملاحتها، وعليه قام سليمان ((بتأمين الطرق عبر وادي عربة، ثم اتفق مع " حيرام " (٩٦٩ – ٩٣٦ ق.م) ملك صور على إنشاء أسطول من السفن في ميناء " عصيون جابر " تستغل فيه المهارة الفينيقية، فضلا عن أخشاب الأرز الملائمة لبناء السفن .)) [٢] وهكذا أنشئ هذا الأسطول بالخبرة والأخشاب الفينيقية، وقد جاء في التوراة ((وعمل سليمان سفناً في عصيون جابر، التي بجانب إيله على شاطئ بحر سوف في أرض أدوم .))[٣] وجاء أيضا أن حيرام ((أرسل في السفن عبيده العارفين بالبحر، مع عبيد سليمان .))[٤] وجاء أيضا أن حيرام ((ارسل أسطولا منفصلا أبحر مع أسطول سليمان إلى " اوفير "[*] وأتى من هناك بالذهب والأخشاب النادرة، والأحجار النفيسة، وكل ما هو نادر وغريب .))[٥]

---

[١] ـ مجمد بيومي مهران : (المدن الفينيقية)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٣٧
[٢] ـ محمد بيومي مهران، ١٩٩٤، ص ٢٣٧
[٣] ـالملوك الأول : ٩ / ٢٦
[٤] ـ الملوك الأول : ٩ /٢٧
[*] ـ أوفير مدينة تقع جنوب البحر الأحمر وعلى الأغلب في أرض الحبشة أو بلاد نبت
[٥] ـ الملوك الأول : ١٠ /١١ـ ١٢

ولم تقتصر علاقة الفينيقيين مع بني إسرائيل على النشاط التجاري فحسب وإنما امتدت كذلك إلى النشاط المعماري، وقد توج هذا النشاط المشترك بأعمار بيت الرب الذي أمر داوود – عليه السلام – ابنه سليمان ببنائه تنفيذا لأوامر الرب .[١]

أما بعد سليمان وحدوث الانقسام فلم تنقطع تلك العلاقة بالفينيقيين .

ولعل أول الصلات التي توردها التوراة هو زواج " أخاب " ملك إسرائيل من "أيزابيل " ابنة "ايشبعل " ملك صور التي استطاعت أن تسيطر على زوجها تماما، وقد أثار هذا الزواج معارضة في إسرائيل تزعمها النبي "إلياء " وذلك لأن إيزابيل حاولت إحلال آلهة الفينيقيين الوثنية شيئا فشيئا محل عبادة الله في مملكة إسرائيل .[٢]

وعلى أي حال لم تصبح الديانات الوثنية الدين الرسمي للدولة إذ بقي " يهوه " رب إسرائيل الإله الرسمي بالنسبة للملك أخاب، وكذلك مملكة إسرائيل، وإن كان الملك نفسه، فيما تروي التوراة ((وقد عبد البعل، وسجد له .))[٣]

ومن الملفت للنظر تجذر عبادة البعل الفينيقي في إسرائيل وانتقالها إلى دويلة يهوذا وذلك بعد زواج يورام ملك يهوذا من " عثليا " ابنة أخاب[*] وايزابل والتي أثبتت أنها ابنة أمها حقا، فقد استطاعت التأثير على زوجها يورام بحيث احتضن عبادة بعل صور، وعقد العزم على تثبيتها كديانة رسمية للبلاد ولكي ينفذ ما ينويه، قَتَلَ أخوته الستة وبعض كبار القوم .))[٤] ويرى سيسل روث ((أن هذه المرأة القوية إنما كانت تخطط لإقامة أسرة ملكية جديدة في أورشليم من موطنها صور، أو بالأحرى من موطن أمها " ايزابل "، ذلك

---

[١] - محمد بيومي مهران : (دراسات تاريخية من القرآن الكريم) الجزء الثالث، في بلاد الشام، بيروت، ١٩٨٨، ص ١١٥-١٢٧

[٢] - محمد بيومي مهران : ١٩٩٤، ص٢٤٢

[٣] - الملوك الأول : ١٦/ ٣١

[*] - أخاب ملك إسرائيل الذي تزوج من إزابيل الفينيقية ثم تزوج يورام ملك يهوذا ابنتها عثليا وهذا يعني أن الأم وابنتها قد استطاعتا توصيل ديانتهما " عبادة البعل " إلى مملكتي بني إسرائيل

[٤] - الملوك الثاني : ٨/ ١٨- ١٩ وأخبار الأيام الثاني : ١٢/ ١- ٧

لأن " عثليا " إنما هي ابنة أخاب ملك إسرائيل .))[1] وبذلك تكون علاقة بني إسرائيل بالفينيقيين علاقة ذات شقين الأول النافع والذي من خلاله تحضَّرَ بنو إسرائيل وعرفوا البحار والتجارة وفنون العمارة . والثاني الضار والذي من خلاله تسربت الديانة الوثنية وعبادة البعل إلى المملكتين .

وخلاصة القول حول ما تقدم في هذا الفصل يرى الباحث أن علاقة المملكتين بدول الجوار كانت علاقة صدام متواصل وإن شابها بعض التحالفات التي في معظمها كانت غير موفقة، فالتحالف مع مصر ضد أشور في معظم الأحيان كان له الأثر المدمر على المملكتين، كذلك التحالف مع الآراميين من قبل مملكة إسرائيل كان السبب في نهايتها، فقط العلاقة التي يمكن أن يشار إليها أنها علاقة طبيعية ومثمرة هي علاقتهم بالفينيقيين وإن كان تأثيرها الديني الوثني يعتبر أثر سلبي لأنها تؤخذ في صعيد التلاقح الفكري لا أكثر .

لذا يمكن القول أن كيانين صغيرين عاشا في حالة عداء مع جيرانهم الضعفاء مثلهم على صعيد أرض كنعان، وحالات تحالف فاشلة مع الجيران الكبار أمثال مصر وآرام وأشور . كان لابد أن تكون النتيجة الحتمية زوال الكيانين إن عاجلا أو آجلاً .

[1] - رأي روث نقل عن، محمد بيومي مهران : ١٩٩٤، ص٢٤٤

الفصل الرابع

الآشوريون والقضاء على دولة إسرائيل

تمهيد

المبحث الأول : نشوء الإمبراطورية الآشورية وتوسعها.

مطلب : مرحلة الأمجاد في العصر الآشوري الحديث.

المبحث الثاني : علاقات دولة إسرائيل بأشور والقضاء عليها .

تمهيد

لعبت الظروف الدولية في منطقة الشرق الأدنى القديم دورا هاما في استقرار بعض الكيانات الصغيرة وخاصة في بلاد الشام، وذلك في القرن الأول والثاني من الألف الأخيرة قبل الميلاد.

ففي تلك الفترة انحسرت كل القوى العظمى التي كانت تهيمن على بلاد الشام وأهمها مصر وبلاد الرافدين، وأتاحت هذه الظروف الملائمة بالنسبة لبني إسرائيل أن يبنوا دولة فتية مع نهاية الألف الثاني قبل الميلاد . وهي الدولة التي بلغت عظمتها وسطوتها في عهدي داوود وسليمان – عليهما السلام – ، وانقسمت إلى دويلتين بعد موت الأخير كذلك شيد الآراميون المدن وكونوا إمارة قوية في بلاد الشام وانطلق الفينيقيون براحة كاملة نحو التجارة والبحار، وظل الوضع كذلك حتى الهجمة الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد التي اجتاحت المنطقة وقضت على معظم هذه الكيانات الصغيرة ولم يكن بمقدور مصر حمايتها لأنها لم تسلم هي الأخرى من الزحف الآشوري فسقطت تحت سيطرتهم .

وكانت دويلة إسرائيل من ضمن هذه الكيانات الصغيرة التي عصفت بها رياح أشور عند أول هبة نحو الشام .

نشوء الإمبراطورية الآشورية وتوسعها

بدأت أشور في أقدم عصورها الأولى فيما يمتد بين نهري الزاب الأكبر والزاب الأصغر، وأطلت على نهر دجلة بضفتيه، وتكونت أرضها من تلال وهضاب جيرية وفَّرت لها أحجار البناء، كما قلل ارتفاعها من حرارة المناخ، ولم تعدم أمطارا مناسبة، وانتفعت بسهول خصبة متفرقة على ضفتي دجلة، وحول أربيل وكركوك وبالتالى يكون الموطن ((هو الجزء الشمالي الشرقي من العراق حيث يخترقه دجلة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي والأرض الكائنة على جانبيه من خط العرض السابع والثلاثين شمالا . أما في الجنوب فلا توجد لأشور حدود طبيعية واضحة .))[1] أما اسم أشور فقد ((اشترك فيه كل من أرضها، وعاصمتها، ومعبودها الأكبر وسكانها الأوائل، مع تحويره في التشكيل والنطق بين كل حالة وأخرى، مثل آشور وأشوّر، وذكرت الألواح المسمارية أرضها باسم " مات آشور " وهذه قد تكون ذات صلة بالتسمية السومرية " ايشر " كما ذكرت أهلها باسم أشوريو . وغلبت على آشور الصبغة السامية في أغلب عهودها، ... ووردت تسمية آشور في بعض النصوص الآرامية بلفظ " آشور " . وذكرتها النصوص المصرية باسم " أسر" و " أسور "))[2] ولا يعرف حتى الآن أي هذه التسميات هي الأصل . وللتعبير عن أشور ((كانت الكلمة تصدر بالعلامة المسمارية الدالة " مات " أي بلاد، فيقال " مات آشوركي " ... أما في المصادر العربية والآرامية فجاء الاسم " أثور " و " آفور "..... ويوجد اسم آخر لموطن الآشوريين ويرجح أن يكون الأقدم وهو "سوبارتو " أو " شوبارتو " وهذا يعود إلى ما قبل قدوم الآشوريين الساميين إلى المنطقة))[3] أما عن أصلهم " فهم من الأقوام السامية المتكلمين بإحدى لغات عائلة

---

[1] ـ طه باقر(تاريخ الحضارات القديمة)، ج١، دار البيان، مطبعة الحوادث، بغداد، ١٩٧٣، ص ٤٧٤
[2] ـ عبد العزيز صالح : ج١، ١٩٩٥، ص ٥٧١
[3] ـ طه باقر : ج١، ١٩٧٣، ص ٤٧٣ـ ٤٧٤

اللغات السامية، وهي السامية الشرقية وهي " كدية" والفرع الثاني اللغة البابلية حيث تفرعت الإكدية " الأم " إلى هذين الفرعين في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد .))[١] وفي الغالب أن الآشوريين والأموريين لم يأتوا رأسا من الجزيرة العربية إلى شمال العراق وإنما المرجح أنهم استوطنوا من بعد هجرتهم البعيدة في موطن آخر ((في بوادي الشام وبادية العراق وما بين النهرين . ثم تحول الآشوريون في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد في الموطن الذي تم التعارف عليه .))[٢]

أما عن الأدوار التاريخية في بلاد أشور فيمكن عنونتها بما يأتي :

١. عصور ما قبل التاريخ .
٢. دور سيطرة الدول إلى نهاية سلالة " اور" الثالثة (٢٥٠٠- إلى حدود ٢٠٠٠ ق.م)
٣. العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠ – ١٥٠٠ ق.م)
٤. العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠- ٩١١ ق.م)
٥. العصر الآشوري الحديث (٩١١ -٦١٢ ق.م)
٦. الإمبراطورية الآشورية الأولى (٩١١ – ٧٤٤ ق.م)
أ- الإمبراطورية الثانية (٧٤٤ – ٦١٢ ق.م)
ب- وبضمنها السلالة السرجونية (٧٢١- ٦١٢ ق.م)

والذي يعنينا في الدراسة هو العصر الآشوري الحديث، وعلى سبيل الخصوص في هذا العصر الإمبراطورية الثانية (٧٤٤ – ٦١٢ ق.م) لما لها من أثر ودور في تدمير دولة بني إسرائيل الشمالية وحاضرتها السامرة، وهذا لا يمنع من المرور السريع بالتاريخ

---
[١] - طه باقر : ج ١ ،١٩٧٣، ص ٤٧٣
[٢] - المرجع السابق : ص ٤٧٣

الآشوري العام . فمنذ القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد اتضحت أسماء ملوك أشور الموحدة وقد امتاز منهم ((بوذور أشور الأول، وشوركين (سرجون) الأول ويسمى عصر أولئك الملوك اصطلاحا باسم العصر الأشوري العتيق، وقد امتدت فيه اتصالات أشور بجاراتها شيئا فشيئا حتى بلغت آسيا الصغرى .))[1] وفي أواخر القرن التاسع عشر قبل الميلاد بدأ الأشوريون وجها آخر من تاريخهم بظهور أسر جديدة سمي عصرها اصطلاحا باسم العصر الأشوري القديم، ومن أشهر ملوكها ((إيلوشوما، وشمس اداد، ويشمع اداد .))[2] في تلك الحقبة من تاريخ آشور فرضت عليها الظروف السياسية أن تهادن ظاهريا الكيانات القوية في بلاد الرافدين، كالبابليين والكاسيين والميتانيين على التعاقب، وبقي الحال كذلك ((إلى أن تعرضت دولة الميتان لهجمات جيرانها الحيثيين خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد وخسرت سلطانها، فقامت أشور إلى نفسها بظهور أسرة حاكمة جديدة في الربع الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد . والتي سمي عصرها اصطلاحا بالعصر الأشوري الوسيط..... وقد انفسح السبيل أمام الآشوريين بعد انهيار دولة ميتاني (١٣٦٥ ق.م)... فبرزت بينهم أسماء ضخمة لم يحتفظ التاريخ منها للأسف بغير أسماء الملوك كعادته، ومن أوائلهم آشور أو بالليط الأول (١٣٦٣ - ١٣٢٨ ق .م).))[3] سميت هذه الفترة بالمرحلة الأولى للنهضة الوسيطة حيث استمرت خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد وفيها أدركت أشور أنها لن تكون نداً مناسباً للحيثيين فاكتفت بالتوسع في منطقة الجزيرة، وتدعيم حدودها القريبة، وفي نفس الوقت راحت تشاغل بابل عبر بعض المناوشات وذهبت آمال بعض ملوك هذه الفترة إلى توحيد بلاد النهرين تحت سلطانهم، فتلقبوا باللقب القديم ((لقب ملك سومر وأكد وكان أشهرهم " شلمانصر الأول " (١٢٦٦- ١٢٤٣ ق.م) وولده " توكلتي نينورتا الأول " (١٢٤٣ –

[1] - عبد العزيز صالح : ص ٥٧١
[2] - حسن بيرنيا :(تاريخ ايران القديم)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩ ،ص ٤١
[3] - طه باقر : ج١، ١٩٧٣، ص ٤٨٧

١٢١٠ ق.م) وأهم عمل لهما يمكن الإشارة إليه عدائهم لبابل ومهاجمة جيوشها وتخريب أرضها أكثر من مرة ومنعهم الهجرات الآرامية البدوية على حدود أشور .))[١]

يقول ديوارنت : ((فبينا كانت بلاد بابل تتخبط في ظلمات حكم الكاشيين ضم شلما نصر الأول دويلات المدن الشمالية تحت حكمه، وقد اتخذ الكلْخ عاصمة له .))[٢]

أما المرحلة الثانية من النهضة الآشورية الوسيطة فبدأت بعهد تيجلات بيليسر الأول (١١١٢ – ١٠٧٦ق.م) ذلك الذي وصف نفسه بأنه الملك الحق " لوجال كالاجا" ويرى ديوارنت أن هذا الملك هو أول الأسماء العظيمة في تاريخ أشور ((حيث كان صيادا ماهرا، وأنه كان يصيد الأمم والحيوانات على السواء، وقد ساق هذا الملك جيوشه في كل اتجاه، فأخضع الحيثيين و الأرمن وأربعين أمة غيرها واستولى على بابل، وأرهب مصر فأرسلت له الهدايا وهي قَلِقَةٌ وجله . ثم خرجت عليه بابل وهزمت جيوشه))[٣] ويرى عبد العزيز صالح أن المجال أنفسح أمام هذا الملك لسببين . ((الأول: انكماش القوة المصرية الضاربة بعد كفاحها العنيف مع شعوب البحر، ونتيجة لمشاكلها الداخلية، وانكماش نفوذها بالتالي في بلاد الشام، والثاني : خمود حمية شعوب البحر خلفاء الحيثيين في آسيا الصغرى وزوال رهبتهم من نفوس جيرانهم .))[٤] هاتين الظاهرتين ترتب عليهما ما روته حوليات تيجلات بيليسر الآشوري ((أن آشور وبقية أربابه العظام منحوه البأس والسلطان، وأوحوا إليه بأن يعمل على توسيع حدود أرضهم وتذكر الحوليات أنه أخضع اثنين وأربعين شعبا وحارب ستين ملكا وانتصر عليهم .))[٥] ويرى الباحث عدم الخوض في تفاصيل ما ورد في الحوليات ويكتفي بذكر ((وصول تيجلات بيليسر الآشوري بجيوشه إلى أرمينيا وجبال لبنان وأرض أمورو وصيدا وأرض الأخلامو

---

[١] - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ص ٥٧٤

[٢] - ول ديورانت: (قصة حضارة)، ج٢- م١، ترجمة محمد بدران، دار الجيل بيروت، ١٩٧١، ص ٢٦٦

[٣] - المرجع السابق : ص ٢٦٦- ٢٦٧

[٤] - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ج١، ص ٥٧٩

[٥] - حسن بيرنيا : ١٩٧٩، ص ٤٣

والأراميين)) [1] ومع كل هذه الانتصارات التي حوتها الحوليات إلا أن بابل ظلت تشكل نقطة الضعف في سياسة التوسع الآشوري .

ويذكر ديلابورت ((أن تيجلات بيليسر حاول أن يجرب قوته مع قوة بابل فانهزمت جيوشه أمام جيوشها بقيادة ملكها " مردوك نادين آخي " حينا وانتصر عليه حينا آخر ودخلتها جيوشه لأمد قصير .))[2] ومع هذا وذاك يمكن القول أن هذا التوسع السريع في عهد تيجلات بيليسر والبداية المشرقة كانت طفره سابقة لأوانها فالدولة التي لا تستطيع الحفاظ على فتوحاتها والتمسك بها تكون قد مرت بفترة من القوة ثم تلاها ضعف عام افقدها كل مكاسبها، وهذا ما حدث بعد وفاة تيجلات بيليسر الملك الأول بحيث راحت الدولة تفقد أطرافها البعيدة وتنفصل عنها ولاياتها الواحدة بعد الأخرى .

تمخض عن هذا الضعف مهادنة أشور لبابل فترة طويلة وتفرغت للآراميين الذين استمروا في مناوأتها على فترات متقطعة خلال القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد.

العصر الأشوري الحديث (٩١١ – ٦١٢ ق.م)

حتى بزوغ شمس العصر الأشوري الحديث، لم توجد دولة أو إما رة فيما بين الفرات والبحر المتوسط، استطاعت أن تهيمن على جاراتها إلا هيمنة وقتية، أو أن تضم بعضها إلى بعض بحيث تكون منها دولة متحدة .

في بداية هذا العصر اكتفت أشور بحدودها الضيقة تحت ضغط الآراميين حتى تزعمها " آشور دان " (٩٣٢- ٩١٢ ق.م) فنهضت في عهده، وتأهبت لمكافحة الآراميين شرقا وغربا . ((ثم خلف أشور دان ولده " أداد نيراي " الثاني الذي يعتبر عهده عصر جديد طويل عرف اصطلاحا باسم العصر الآشوري الحديث ،أو عصر

[1] - المرجع السابق : ص ٤٧
[2] - ديلابورت : (بلاد ما بين النهرين – الحضارتان البابلية والأشورية)، ترجمة محرم كمال، باشراف إدارة الثقافة العامة، من مجموعة الألف كتاب، ١٩٢٥، ص ٣٠٠- ٣٠١

الاتساع الآشوري الكبير أو " الإمبراطورية الآشورية " .))[١] وقد استمر نحو ثلاثة قرون من (٩١١ –٦١٢ ق.م)، وشهد مرحلتين عظيمتين من مراحل القوة والازدهار والتوسع وقد ساعد آشور في المرحلتين ((أن أغلب شعوب الشرق القديمة في مصر وبابل وإلآم كانت قد بلغت أدوار شيخوختها، وأن الجماعات المستحدثة في الشرق بقيت على تفرقها ولم تلم شملها، فانفسح السبيل أمام آشور لتصول وتجول فيه حيث شاءت))[٢] هذا وتشير معظم المراجع التاريخية إلى أن اداد نيراي لم يتجه إلى فتوح بعيدة، وإنما عمل على تثبيت قواعد حكمه، واسترجاع الإشراف الفعلي لدولته على تخومها الغربية حول نهري الفرات، والخابور، فأرهب الآراميين وحجم بابل، واعترفت بسيادته على أرض السواد من الخابور في الغرب إلى ما يجاور بغداد الحالية في الجنوب الشرقي . ويرى جون هامرتن ((أن اداد نيراي كان يوجه اشد الحملات إلى الشمال باستمرار وانتهى إخضاعه بالطريقة الآشورية المألوفة، وذلك بإبعاد من تبقى من السكان إلى أصقاع نائية ومع هذالم تكن تهدف حملات اداد نيراي في بلاد السواد إلى ضم ممالك جديدة بل كانت مظاهرات يقصد بها إشعار رعاياه الخاضعين له بالاسم بحقيقة سلطانه .)) [٣] وسار خلفه " نينورتا الثاني " (٨٩٠ – ٨٨٤ ق. م) على سياسته في إرهاب الآراميين في شرق سوريا، وامتد نفوذه إلى موانيها البحرية . ثم توج هذا الجهد الآشوري في مرحلة النهوض الأول بالملك " آشور ناصربال الثاني " (٨٨٣ -٨٥٩ ق.م) الذي كان شعاره ((اضرب قبل أن تضرب، وهاجم قبل أن تهاجم، واجعل تنكيلك بأقرب خصومك عبرة يخشاها بقية أعدائك .))[٤] وقد جمع هذا الملك الآشوري الصفات النموذجية للملك الآشوري العسكري .((فهو الفاتح القاسي والإداري المنظم، والبناء الكبير . وتشير ملامحه المعبرة عنها في تماثيله التي وجدت في " نمرود " (كالح القديمة) إلى شخصية قوية حازمه وقاسية .))[٥] ومما جاء في نصوص آشور ناصر بال بمعبد نينورنا في كالخ ((أنه سيطر

---

١ - أحمد سوسة : بدون تاريخ، ص ٢٠٩
٢ - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ص ٥٨٦
٣ - جون هامرتن :١٦٨
٤ - جون هامرتن : ص ١٦٨
٥ - طه باقر : ص٤٩٩

على المرتفعات الشرقية والشمالية الشرقية وأنه تلقى جزي الخاتيين، وأنه ضرب في الشام حتى غمس أسلحته في بحر أمورو العميق . [والمقصود هنا البحر الأبيض المتوسط].))[1] وإن ما يلفت الانتباه في سياسة هذا الملك أنه كان يعمل على توطين الآشوريين في البلاد التي يفتحها ((يصبحوا سادتها المنتفعين بخيراتها ،وليخمدوا نشاط زعمائها، ويكونوا عيونا عليهم لدولتهم .))[2] وهذا سوف يعطينا سببا عند الحديث عن السبي البابلي الذي حدث لليهود في مملكة إسرائيل من قبل الآشوريين .

خلف أشور ناصر بال الثاني في الحكم ابنه شلمانصر الثالث (٨٥٩ – ٨٢٤ ق.م) ومماجاء في النصوص هذا الملك ((أنه سار غرب آسيا من الخليج العربي حتى جبال أرمينيا، ومن الحدود الميدية حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط .))[3] وأهم ما يمكن أن يشار إليه من نصوص هذا العاهل البارز ما نقشه عن ذلك الحلف الشامي الذي تقابل معه، فقد ورد على لسان شلمانصر الثالث ((...حينما اقتربت من حلب خشي أهلها الحرب، فتلقيت جزاهم فضة وذهبا، ثم توجهت إلى حماة وتلقيت جزاها ثم واصلت المسير إلى قرقرة .... فدمرتها، وكان أميرها قد جمع أحلاف عدة إداد إدري الأموري، وأدهوليني الحموي، وألفي عربة وعشرة آلاف من مشاة أخابو وأرض إسرائيل وخمسمائة جندي من قرى، وألف جندي من مصرى [*] ...، وألف راكب جمل من جنديبو الأريبي (أي جندب أو جندبة العربي) وألف من بأسا بن لوهوبي العموني ...، وكلهم اثنا عشر ملكا..... أوقعت بهم هزيمة بين مدينتي قرقرة وجيلزاو..... وجعلت جثثهم معبرا لي على نهر الآرانتو (الأورنت) [العاصي] .))[4] ومن المرجح حدوث هذه المعركة عام (٨٣٣ ق.م) . ولكن كانت هذه من المرات النادرة التي سجل فيها الآراميون وجهة نظرهم في مواجهة أشور وقد أكدوا أنهم أحرزوا فيها نصرا كبيرا ولا يملك معظم

---

[1] - جون هامرتن : بدون تاريخ، ص ١٦٩

[2] - ديلابورت : ١٩٢٥، ص ٤١٨ - ٤١٩

[3] - عبد العزيز صالح : ص ٥٨٩ وأنظر طه باقر، ص٥٠٠

* - مصرى ليس المقصود بها مصر فلا يعقل أن تدعم مصر حلف كهذا بألف جندي وهي الدولة العظمى في ذلك الوقت والمرجح أن مصرى هو أمير لإحدى الكيانات الصغيرة مثل حبذيبو العريبي الذي ورد ذكره في النص .

[4] - انظر عبد العزيز صالح : ص ٥٩٠ وكذلك طه باقر : ص ٥٠٠

الباحثين في ظل تضارب المصدرين إلا الافتراض بعدم حسم أي من الطرفين للمعركة والدليل على هذا عودة أشور للحرب مرة أخرى .

وبعد كل هذا النجاح و التوسع والانتصارات لهذا الملك الذي استمر عهده خمسة وثلاثين عاما كانت في نهاية فترة ضعف ((بدأت بخروج ولده " أشور – دانن- ابلى "، وانحازت إلى جانبه سبع وعشرون مدينة من بينها مدينة " أشور "..... وقد دامت هذه الثورة والحرب الأهلية التي نجمت عنها أربع سنوات مات الملك الشيخ في أثنائها . فاعتلى العرش الآشوري " شمس – ادد" في عام (٨٢٤ ق.م) .))[١] ومنذ تلك الفتنة ظلت أشور ((نحو ثلاثة أرباع القرن من الزمان (٨٢٤ – ٧٤٥ ق.م) تتلقى ضربات جيرانها الآراميين والبابليين وثورات السوريين والفلسطينيين والعبرانيين حينا، وتضربهم حينا آخر، ولكن دون نتائج حاسمة .))[٢]

هذا ما كان عليه عهد شمسي أداد الخامس وابنه من بعده (اداد نيراي الثالث) (٨١٠ – ٧٨٣ ق.م) والذي لم يحكم منذ البداية ((فقد كانت تقاليد الحكم في الواقع بيد أمه " سمورامات " أو " سميراميس" الشهيرة وقد كان أداد نيراي هذا آخر الحكام الأكفياء من هذه الأسرة، ولم تفلت أية إيالة في عهده، وثبت دعائم سلطانه في طول الولايات المتحدة وعرضها، كما كان يقتضي الجزية ممن لم يفتح ولاياتهم من أمراء سوريا حتى ايدوم في أقصى الجنوب .)) [٣] وقد هوت أشور عن أفقها السامي بعد موته سنة (٧٨٢ ق.م) ذلك في عهود خلفائه الثلاثة الذين امتد حكمهم طوال السبع والثلاثين سنة التي تلت وبهذا طويت صفحة المرحلة الاولى من العصر الأشوري الحديث .

---

١ ـ طه باقر : ١٩٧٣، ص ٥٠٤
٢ ـ عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ص ٥٩٢
٣ ـ جون هامرتن : م ٢ ج ٣، ص ١٧٢

مرحلة الأمجاد في العصر الآشوري الحديث

بدأت هذه المرحلة للتوسع الآشوري الحديث في ((عام (٧٤٥ ق.م) بولاية نيجلات بيليسر الثالث .))[١] والذي تذكره بعض النصوص البابلية باسم " بولو " [٢]

وهو الذي يعتبر منقذ أشور من وهدتها ((حيث وقعت المملكة العظيمة في حال من الفوضى لم تنته إلا سنة (٧٤٥ ق.م)، حينما أستأصل ضابط يدعى بول [*] شأفة الأسرة الملكية، واستأثر من دونها بالتاج لنفسه، باسم طجلاط بيلزر الثالث – ذلك الاسم الذي يعيد إلى الأذهان ألوانا من العظمة القديمة التي مرت بها أشور .))[٣] وقد أراد هذا الحاكم انتشال أشور من التردي الذي وصلت إليه، فسار على خط الملوك العظام، وبدأ ببابل فهيمن عليها وبعد مشقة وعهد بها إلى صنيعته (نابو نصر)، ثم وجه أنظاره إلى سوريا واستعاد أغلبها للنفوذ الآشوري، وحدث ما لم يتوقعه، حيث أعلنت دمشق ثورة عنيفة ضده عام (٧٣٩ ق.م) وجاء في نصوصه ((أسماء عسقلان، ومؤاب، وغزة التي لجأ حاكمها إلى مصر . ثم تدخل في المشكلات العبرانيين وعين عليهم هوشع ملكا وجعله مواليا له .))[٤] وفي خلال هذه الفترة ساد الاضطراب في جنوب بابل من جديد وتنازع تاجها مدعوه – بحق أو بغير حق– عقب موت نابو نصر صنيعة ملك أشور عام (٧٣٤ق.م) ((وكان من بين الأمراء الكلدانيين مردوك ابال الدين الثاني (ورد ذكره في التوراة باسم مرداك بلادان) في تلك اللحظة قبض طجلات بيلزر على زمام الأمور، فأخمد أنفاس العصاة بلا تحيز، وأرضى بذلك عامة الشعب الذين لم يساهموا في الشغب وأبعد أكثر من مائة ألف من سكان الإقليم إلى أصقاع نائية، كما ترك بابل بلا ملك ردحا من الزمن .))[٥]

---

[١] - فليب حتى : ١٩٨٢، ص ٦٨

[٢] - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ص ٥٩٤

* - بولو أو بول ذكر في النصوص البابلية وذكره الكثير من المؤرخين وكذلك التوراة والأرجح أنه اسم بابلي وليس أشوري لأنه الاسم الذي أطلق على تيجلات بيليسر في النصوص البابلية

[٣] - جون هامرتن : ج ٣، ص ١٧٣

[٤] - طه باقر : ١٩٧٣، ص ٥١٠

[٥] - جون هامرتن : م ٢، ج ٣، ص ١٧٧

وقبل أن يدنو أجله بعام واحد يعود إلى بابل ((ويخلع على نفسه لقب ملك سومر وأكد، وفي عام (٧٢٨ ق. م) .))[١] ويذكر هامرتن ((أنه تسمى باسم بول pul ومات بعد ذلك بسنة واحدة .))[٢]

من خلال النظر في تاريخ هذا العاهل الآشوري يلحظ تميزه بسياسة خاصة في البلاد المفتوحة يستلخص منها تعيينه لحكام أشوريين في البلاد الكبيرة دون الاكتفاء بولاء الحكام المحليين . وفرضه كذلك لعبادة الأرباب الآشوريين على بعض أهل المدن العنيدة (مثل غزة)، وتشريد أغلب الخطرين من أهل المناطق المفتوحة، وتهجير الكثير من الناس إلى أشور نفسها . وقد ورد في نصوصه أسماء وأعداد لأناس تم تهجيرهم من الشام وفلسطين وبابل وغيرها .

ومن الملاحظ أن بلاد الشام عامة لم تخضع الخضوع التام بل قامت فيها الثورات من حين لآخر وكانت مصر ملجأ الفارين مثل خانو أمير غزة " خانونو الخزاني " وبعد وفاة تجلات يليزسر زادت الثورة ((حيث ثارت صور ضد ولده شلمانصر الخامس (٧٢٧ – ٧٢٢ ق.م) وتطلع العبرانيون حينذاك إلى عون مصر، فأعانتهم، ولهذا طال حصاره لعاصمتهم ثلاث سنين دون جدوى .))[٣]

وبنهاية هذه الأحداث انتقل الحكم عام (٧٢١ ق.م) إلى أسرة سرجون الثاني أو كما يحلو لفليب حتي تسمية هذه الفترة ((بالسلالة السرجونية التي اغتصبت الحكم اغتصابا .))[٤] ومن أول المشكلات التي واجهت هذا العاهل الجديد استغلال بابل للبلبلة التي صاحبت تغير الحكم في أشور ((فاسترجع مردوك أباك إدين كبير بيت ياكين الكلداني الحكم في بابل، وهزيمته للجيش الآشوري وإعلانه لنفسه ملكا في نفس العام الذي تولى فيه سرجون الثاني الحكم .))[٥] والمشكلة الثانية التي واجهت سرجون الثاني رفع

---

١ -عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ص ٥٩٥
٢ - جون هامرتن : م٢، ج٣، ص ١٧٧
٣ - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥ ،ص ٥٩٥
٤ - فليب حتى : ١٩٨٢، ص ٦٩
٥ - طه باقر : ١٩٧٣، ص ٥١٢

الحصار عن السامرة عاصمة إسرائيل واندلاع الثورة في بقية بلاد الشام ((إبتداء من غزة حتى حماة وأرواد وأعانتها مصر هنا وهناك .))[1]

وبالعودة إلى سرجون الثاني فقد أجل أمر ما حدث في بابل، وبدأ بفلسطين فأخضعها بجيوشه وفتح السامرة العاصمة الشمالية لليهود، وسبي أهلها وأنهى استقلالها وهذا سوف يعود إليه الباحث بالتفصيل عند الحديث عن تدمير الآشوريين لمملكة إسرائيل. وبهذا يكون انشغال سرجون بالشام وفلسطين قد أطال العهد بينه وبين العودة لحرب بابل فهي قرابة اثني عشر عاما . ولكن عند عودته إليها كان الوقت ملائم لما حل ببابل من ظروف سياسية كانت في صالح سرجون الثاني ((فأنفرد بالكلدانيين الذين انفض عنهم خلفائهم إلا لاميين واسترجع التاج وعادت السيادة لأشور عام (٧١٠ ق .م).)) [2]

إذن لم تكن غيبة سرجون عن بابل من قبيل النسيان بقدر ما كانت انتظار حتى يضعف الخصم، وتكون الفرصة مواتية، ولم يستمر الصراع الآشوري البابلي بعد هذا بكثير ((فسرجون ينتصر على باكين الحاكم الفار إلى جنوب العراق، ويعفو عنه ويعتبره حاكما محليا في أرض الجنوب .))[3] ومن الملفت للنظر في سياسة هذا العاهل الآشوري أنه اتبع سياسة تيجلات بيليسر في معاملة المدن المغلوبة، وهي تهجير عتاة أهلها وإحلال غيرهم محلهم، وكان هذا الإجراء سمة من سمات عهده ((حيث يختار المهجرين الجدد من مناطق متباعدة حتى لا تتحد كلمتهم عليه .))[4] والمثال على ذلك ما فعله بأهل السامرة ((حيث قام بتهجير (سبعة وعشرين ألف ومائتين وتسعين من أهلها إلى مناطق أخرى بعيدة مثل حران وضفاف الخابور وأطراف ماذي، وعمل على إسكان قوم آخرين مكانهم بعد أن أعاد بناء السامرة دون أن يعيد إليها استقلالها وعين حاكم مواليا له عليها

---

[1] ـ عبد العزيز صالح : ١٩٩٥ ،ص ٥٩٧
[2] ـ المرجع السابق : ص ٥٩٧
[3] ـ طه باقر : ص ٥١٢
[4] ـ عبد العزيز صالح : ص ٥٩٧

يـدفع لـه الجزيـة .))[1] بـذلك يكـون الباحـث قـد اسـتعرض مرحلـة الأمجـاد فـي العصـر الآشوري الحديث.

علاقات دولة إسرائيل بأشور والقضاء عليها .

ذكرت الأسفار والمأثورات الآشورية والنصوص التاريخية أحداثا عديدة بين دولـة إسرائيل وأشور انتهت بقضاء الآشوريين على دولة إسرائيل . ونبدأ بما ورد في التوراة.

جاء في السفر ((أن منحيم بن جادى مَلَكَ علـى إسـرائيل فـي السـامرة عشـر سنين، وعمل الشر في عينـي الـرب . ولـم يحـد عـن خطايـا يربعـام بـن نبـاط الـذي جعـل إسـرائيل تخطئ كل أيامه . فجاء فول ملك أشور على الأرض، وأعطى منحيم لفول ألـف وزنـة مـن الفضة لتكون يداه معه ليثبت المملكـة في يده، ووضـع منحيم الفضـة علـى إسـرائيل علـى جميع جبابرة البأس ليدفع لملك أشور خمسين شاقل فضة على كل رجل فرجـع ملـك آشـور ولم يقم هناك في الأرض .))[2] ومن خلال النظر في النصوص التي أوردها عبد العزيـز صالح وجد الباحث أن ((تيجلات بيليسر الثالث يذكر باسم " بولو " وبولو فول كمـا جـاء في التوراة لا فرق بينهما كذلك وجد فـي النصـوص أن منـاحيم ملـك إسـرائيل قد حكم عـام (٧٤٦ – ٧٣٧ ق.م) وهي نفس الفترة الزمنية التي حكم فيها تيجلات بليسر الثالـث أو بولـو أشـور .))[3] كمـا أن ((ظـروف حكمـه مصـادفة لظـروف بـروز وحكـم تغلـت فلاسر الثالث الذي سجل له نشاط كبير وسلطان على بلاد الشام، حيث يمكـن أن يكـون هـو

---

[1] ـ نفس المرجع ص ٥٩٧

[2] ـ الملوك الثاني : ١٥/ ١٨ـ ١٩ـ ٢٠ـ ٢١

[3] ـ عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ص ٦٢٦

الملك المعني توراتيا .))[١] وفي مرة أخرى جاء خبر قدوم تيجلات بيليسر الثالث (٧٣٩ق.م) إلى دولة إسرائيل على أيام " فقح بن رمليا " الذي أخذ الملك عنوة من "فقيحا بن مناحيم " ((ففي أيام فقح ملك إسرائيل جاء تغلث فلاسر ملك أشور وأخذ عيون، وآيل، وبيت معكة، ويانوح، وقادش، وحاصور، وجلعاد، والجليل وكل أرض نفتالي، وسباهم إلى أشور وفتن هوشع بن أيلة على فقح بن رمليا وضربه فقتله وملك عوضا عنه .))[٢]

وبالرجوع إلى النصوص الآشورية تحدثت عن سبي لليهود قبل وبعد سقوط السامرة عاصمة دولة إسرائيل وتحدث كذلك عن أقوام وبلدان تم سبي أهلها في بلاد الشام، وقد جاء في النص أن تجلات بيلسر في عامه الثالث ((قام بتهجير ثلاثين ألفا وثلاثمائة شخصا من سكان المنطقة السورية إلى تمتد بين حماة وبين البحر إلى منطقة تسمى كو ...، وتهجير (١٢٢٣) آخرين إلى منطقة تدعى الأبا..... وهجر بأمره في عام آخر عددا كبيرا من أهل " بيت خومريا "، أي أرض عمري في منطقة العبرانيين، إلى أشور.))[٣]

وهذه السياسة تعتبر خط سار عليه معظم حكام أشور منذ عهد حمورابي .

وبالعودة إلى النص التوراتي سالف الذكر يمكن أن يفهم منه أن زحف تجلات بيليسر كان للانتقام من فقح الذي أخذ الملك عنوة من ابن مناحيم الذي ربما اعتبره تجلات بيليسر في حمايته منذ عهد أبيه مناحيم .

وفي جولة أخرى لأشور مع مملكة إسرائيل جاء في التوراة ((أن هوشع بن أيلة ملك في السامرة على إسرائيل تسع سنين . وعمل الشر في عيني الرب ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كانوا قبله، وصعد عليه شلمنأسر ملك أشور فصار له هوشع عبدا ودفع له الجزية . ووجد ملك آشور في هوشع خيانة، لأنه أرسل رسلا إلى سوا ملك مصر ولم يؤد

---

[١] - محمد عزة دروزة : (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) ج٢، بدون تاريخ، ص ٢٦٦

[٢] - الملوك الثاني : ١٥/ ٢٩- ٣٠- ٣١

[٣] - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ص ٥٩٥

جزية إلى ملك أشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك أشور وأوثقه في السجن . وصعد ملك أشور على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين . وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور السامرة، وسبى إسرائيل إلى أشور وأسكنهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن ماري .))[١]

ونأتي إلى علاقة مملكة إسرائيل بأشور حسب ما ورد في النصوص الآشورية . وهنا لابد من التنويه إلى أن أحداثا عديدة منها لم يرد في التوراة، ومنها ورد متطابقا معها قليلا، ومنها ما ورد مغايرا البتة .

فنجد أن أول من سجل نشاط وغزوات نحو بلاد الشام من حكام آشور هو "ناصربال الثاني " (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) والذي ذكر في نقوشه بمعبد نينورنا في كالخ. ((أنه سيطر على المرتفعات الشرقية والشمالية الشرقية وأنه تلقى جزى الخاتيين، وأنه في ضرب الشام حتى وصل إلى البحر المتوسط وتلقي الجزية من الموانئ والجزر الفينيقية الكبيرة : صور وصيدا وجبيل ،ومحلاتا، ومايزا ،أمور ، وإمارات الآراميين، وارواد التي في البحر، وأنه صعد جبال لبنان .))[٢]

ومع أن النقش لم يذكر دولتي بني إسرائيل إلا أنه لا يعقل أن تكون ظلتا في نجوة من هذه الهجمة .

وعلى أي حال سواء كان قد وصل إلى فلسطين أم لم يصل فقد كانت بداية تخوف مملكتي بني إسرائيل من الخطر الآشوري، والذي جعل فيما بعد مملكة إسرائيل تتحالف مع بنهدد ملك دمشق ضد أشور كما سيأتي بعد قليل .

بوفاة تجلات بيليسر حكم ابنه شلمانصر الثالث (٨٥٩ -٨٢٤ ق.م) والذي أورد الباحث نصه كاملا عند سرده المختصر لتاريخ دولة أشور، ويكتفي هنا بإيراد الجزء الخاص بمملكة إسرائيل فقد جاء في النص ((..... وألفي عربة وعشرة آلاف من مشاة

---

[١] - الملوك الثاني : ١٧/ ١- ٢- ٣- ٤- ٥- ٦

[٢] - عبد العزيز صالح : ج ١، ١٩٩٥، ص ٥٨٧- ٥٨٨

أخـابو(*) وأرض إسـرائيل...))[1] ويعنـي هـذا أن مملكـة إسـرائيل أعلنـت العداء لآشـور رسميا بوقوفها في هذا الحلف، والذي من المرجح أنه كـان فـي عـام (٨٣٣ ق.م)، والـذي سميت معركته بمعركة " قرقر " وقد سبق الحديث عنها .

ومما ورد في النصوص الآشورية أيضا أن الحلف الذي استشهدنا به لم يكن الأخير فقد جـاء ((أن أداد أدري تحـالف مـع أميـر حمـاة و اثنـي عشـر ملكـا رغـم انسـلاخ أخـاب الإسرائيلي وقومه عنهم .))[2] ولجون هـامرتن رأي فـي انسـلاخ أخـاب عن الحلـف حيث يرى ((أن أخاب عندما انضم إلى رامات جلعاد ضد ابن حداد، كـان كالسـاعي إلـى حتفـه بظلفة، فلم يمض غير سنين قلائل بعد هذا، حتى قضى على بيته " بيت عمـري " علـى يد جيحـو))[3] ويـرى الباحـث أنـه بـرغم أهميـة رأي جـون هـامرتن إلا أن كلامـه يحتـاج إلـى توضيح فتخلى أخاب عن تحالفه مع بنحدد وأحلاف الشام وتحالفه مع خصمهم الصغير في رمات جلعاد كانت البداية لثورة جيحو في مملكة إسرائيل، وسيطرته علـى الحكم، وبـذلك انتهت أسرة عمري التي حكمت إسرائيل بسلسة من الملوك وفي نفس الوقت فقدت مملكـة إسرائيل القوة الشامية التي طالما أعاقت انقضاض أشور عليها وعلى غيرها من الكيانـات الصغيرة التي لا حياة لها إلا بتحالفها .

ومن ضمن تسجيل تجلات بيلسر لانتصـاراته صـوَّرَ فنـانوه حـاكم إسـرائيل ((يـاهو بن يوشفاط ساجدا بين يدي الملك يشرف عليه من علٍ رمز المعبود أشـور ورمـز المعبـود شمشـي، وكـأن خضـوعه لـم يكـن للملـك وحـده وإنمـا لأربابـه أيضـا .))[4] ويبـدو فـي هـذه الصورة مبالغة من قبل الفنانين حيث لم يثبت أن اليهود قد عبدوا آلهة أشور في فلسطين .

ومما خلد على الآثار الآشورية أيضا ((أن سورية وفينيقية تمردت على أشـور فـي عهـد أداد نيـري (٨١٠ ـ ٧٨٣ ق.م) فتمكن مـن إخضـاعها وقـد قـرئ فـي نقـش لـه خبـر

---

* ـ أخابور : حكم بعد عمرى في مملكة إسرائيل من عام (٨٧١ – ٨٥٢ ق.م)

[1] ـ عبد العزيز صالح : ج١، ١٩٩٥، ص٥٩٠

[2] ـ عبد العزيز صالح : ج ١،١٩٥٥، ص ٥٩١

[3] ـ جون هامرتن : م٢ : ج٣، بدون تاريخ، ص ١٧٠

[4] ـ عبد العزيز صالح : ج١ ،١٩٩٥، ص ٥٩٢

خضـوع أرض عمـري وبـلاد فلسـطين لـه بصـراحة، وأرض عمـري هـي أرض دولـه إسرائيل نسبة للأسرة الحاكمة في تلك الظروف .))[١]

وفي نصوص تغلت بلاسر الثـاني ورد ((أنـه وطـد سيطرته علـى بـلاد الشـام ومـن جملتها دولتـي اليهود .))[٢] وقد ورد فـي نقش لـه أيضـا ((أنـه أخضـع الكثير مـن البـلاد وهجَّر الكثير من الشعوب، وهجَّر بأمره في عام آخر عددا كبيرا من أهل بيت خومريا، أي أرض عمري في منطقة العبرانيين، إلـى أشـور .))[٣] وفـي نقش آخر لتجلات بلاسر ((أنه أخضع لسلطانه اثنين وأربعين شعبا ومـن جملـتهم فلسطين وسـورية وفينيقيـة وبـلاد العـرب . وأنـه استولـى علـى جلعـاد وآيل ومعكـه، وأخضـع حنـون ملـك غـزة وأرض بيت عمري، وإجلاء وجهاء قومها إلى أشور، وقتل فقح ملكهـا، وأقـام هوشـع مكانـه، وأخـذ مـن هذا عشر وزنـات مـن الـذهب وألـف وزنـة مـن الفضـة .))[٤] وتبـدو الروايـة الآشـورية هنـا قريبة من الرواية التوراتية مع الاختلاف بعض الشيء ففي التوراة الذي دفـع الألـف وزنـة من الفضة هو مناحيم وكذلك لم تذكر التوراة الذهب، وهل نقل كتَّـاب التـوراة عن النـص الآشوري بحكم أن النصوص الآشورية كتبت قبل التوراة وكـان بالإمكـان الوقـوف عليهـا من بعد أن عاشوا في العراق بعد السبي وانهيار أشور وسند الباحث هنا أن التوراة قد ثبت أنها عبارة عن نقل من مصادر سومرية ومصرية وأشورية وبابلية وسورية قديمة .

وبـالعودة إلـى الأحـداث خلـف تجـلات بلاسـر علـى عـرش أشـور شلمناصـر الثـالـث (٧٢٧ – ٧٢٢ ق.م) ففي عهده ((حركـت مصـر إسـرائيل علـى سلطان أشـور فتمـردت، فزحف هذا الملك عليها، فقدم له هوشع ملكها هدايا كثيـرة، ولكنـه لـم يكـد يعـود إلـى نينـوى حتى تمرد ثانية، فزحف ثانية وضرب الحصار على السامرة ومات قبل فتحها .))[٥]

---

[١] ـ محمد عزة دروزة : ج٢، بدون تاريخ، ص ٢٧٤
[٢] ـ المرجع السابق : ص ٢٧٤
[٣] ـ عبد العزيز صالح : ج١،١٩٩٥، ص ٥٩٥
[٤] ـ محمد عزة دروزة : ج٢، بدون تاريخ، ص٢٧٥
[٥] محمد عزة دروزة : ج٢، بدون تاريخ، ص ٢٧٤

وخلفه سرجون (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) الذي قضى على دولة إسرائيل ((حيث سبى من أهلها (٢٧٢٨٠) إلى بلاده وأرسل مكانهم خلقا من مملكته، وأقام على البلاد واليا آشوريا))[١].

ويرى جون هامرتن ((أن الشواهد قليلة على نظام الحكم الذي أقامه أشور في السامرة، ولكن يغلب الظن أن بتل وغيرها من المواضع أقطعت لآحاز ملك يهوذا مكافأة له على ولائه لأشور .))[٢]

ولكن قبل أن نطوي صفحة دولة إسرائيل لابد من وقفة مع النصوص الآشورية فيها بعض التأمل والتحليل. جاء في كتابات تجلات بلاسر ما هذا نصه ((قمت بضم مدن بيت عومري في حملاتي السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة ... أخذت نفتالى بأسرها وضممتها إلى أشور، وعهدت برجالى حكّاماً عليها، وجميع سكان بيت عومري وممتلكاتهم حملت إلى أشور .))[٣] وجاء في التوراة كلاما مشابه لهذا . وعَثَر الخبير في علم الآثار " بوتا " سنة (١٨٤٣) بين أطلال مدينة " سمال " " زنجرلي " عاصمة الآراميين في شمال غربي سورية على مسلة سرجون الثاني نقشت عليها باللغة الآشورية وبالخط المسماري تفاصيل الحملة الآشورية على دولة إسرائيل التي انتهت بالقضاء عليها، وحمل اليهود إلى الأسر . وسواء في النصوص الآشورية كافة أو في المسلة السوداء لم تَذْكر كلمة إسرائيل عند حديثها عن هذه الدولة بل سمتها بيت عمري .

وخلاصة الحديث عن سقوط هذا الكيان المسمى دولة إسرائيل تتلخص في سببين.

---

١ - المرجع السابق : ص ٢٧٤
٢ - جون هامرتن : الفصل السابع والعشرون، م٢، ص ١٢٢
٣ احمد سوسة : (العرب واليهود في التاريخ)، ١٩٩٣، ص ٦٤١

الأول : عندما شلمناصر الثالث يحارب ضد تحالف مكون من أمراء سورية وفلسطين انضم إليهم أخاب ملك إسرائيل، وهذا لفت أنظار أشور إلى هذا الكيان الصغير على أنه معاد للإمبراطورية الأشورية

والسبب الثاني : عندما تولى الحكم في أشور تجلات بلاسر الثالث ((فتطلع إلى استعادة الطرق الموصِّلة بين الهلال الخصيب والبحر المتوسط .))[١] وقد جاءته الفرصة عندما ((امتنع ملك إسرائيل عن دفع الجزية، وعقد روابط وثيقة مع مصر على أمل أن تدعمه، فما كان من الجيش الأشوري إلا أن قبض على ملك إسرائيل، وأوثقه في السجن، وصعد ملك أشور على كل الأرض . واما العاصمة السامرة فقد سقطت عام

(٧٢٢ ق.م)))[٢].

لميكتفي سرجون بما فعله هو وسلفه من تدمير وسبي بل ((غمر البلاد بسكان مجلوبين من القرى الآشورية والعيلامية والبابلية، فأقاموا على أرض فلسطين وامتزجوا ببقايا الإسرائيليين بها، ولكن الشعب الجديد الناشئ، عن هذا الإمتزاج كان وثنيا، وقد يكون منهم السامريون .))[٣]

وبهذا تكون مملكة إسرائيل قد انتهت إلى غير رجعة، وتم شتات الأسباط العشرة الذين مثلوا أقوام شعبها، ولم تثبت عودة هؤلاء إلى فلسطين مرة أخرى لأنهم لم يجدوا من يتبنى قضيتهم مثلما فعل قورش الفارسي مع سبي مملكة يهوذا فيما بعد .

ولكن هذه الأسباط العشرة التي كانت تشكل قوام دولة إسرائيل لم تنقرض بل عاشت في عدة أماكن من منطقة الشرق الأدنى، فالسواد الأعظم منهم عاش في شمال العراق وقد تمثل كيانهم السياسي في إمارة (حدياب) اليهودية وكان ملكها الأول (ايزاط) اسرائيلياً وكانت عاصمته (أربيل) وقد حكم عرش الإمارة سنة (٣٦ ب.م) حتى وفاته

---

[١] - رجاء جارودي : (فلسطين أرض السلالات الآلهية)، بدون تاريخ، ص ١٣٧
[٢] - نفس المرجع : ص ١٣٧
[٣] - نفس المرجع ص ١٣٧

سنة (٦٠ م) وقد استمر حكم الإمارة (٧٥) سنة وكان لها دور سياسي ((فقد ساندت ثورة اليهود في فلسطين ضد الرومان بين عامي (٦٦ و ٧٠) للميلاد))[١] وفي عام ١٩٠١ عثر في مصر على وثائق تشير ((إلى وجود مستوطنة يهودية جنوب مصر تسمى (الفانتين) وساكنيها من الأسباط العشرة))[٢] .

وقد اختلفت الآراء حول أصل هذه المستوطنة اليهودية وأسباب وجودها هناك في تلك الأزمان فيرى بعض المؤرخين أن آشور بانيبال عندما قام بحملته على مصر جند جيشاً من الأسباط العشرة التي سباها الأشوريين إلى العراق وأسس منهم حامية لحماية الحدود الجنوبية لمصر بعض انفصال الحبشة عنها، في حين يرى سبنر أن أصل الحامية هم من اليهود الذين سباهم الأشوريين إلى طوروس .

وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك حول انتشار الأسباط العشرة ولكل سنده في زعمه أنهم عاشوا في منطقة الخزر في روسيا، ورأي آخر أن أحد الأسباط العشرة وهو سبط (دان) هو المؤسس لدولة الدانمارك الحالية نسبة إلى دان . وهذا رأي يحتاج إلى سند موثق تاريخياً .

---

[١] - انظر (نيوزنر) (تاريخ اليهود في بابل – العهد الفرثي) ص ٦٤ – ٥٤، وايضا (تاريخ كلدة وآشور) وأيضاً، سليمكان صائغ (تاريخ الموصل) ج١، ص ١٩

[٢] - أحمد سوسة : ص ٦٦١

الفصل الخامس

الكلدانيون والقضاء على مملكة يهوذا

١-الكلدانيون أصلهم وظهورهم .

٢-ظهور بابل كقوة عظمى بعد سيطرة الكلدانيين عليها .

٣-تدمير الكلدانيين لدولة يهوذا .

الكلدانيون أصلهم وظهورهم .

يرجع علماء الآثار أصل الكلدانيين إلى ((شواطئ الخليج العربي في جنوب العراق . حيث أسست هناك منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد أو ربما قبل ذلك سلالة الأمراء التي عرفت عند المؤرخين بسلالة القطر البحري أو " سلالة بابل الثانية " التي كانت من بقايا السومريين .))[١] وقد تمكن ملوك هذه السلالة من السيطرة على سواحل الخليج العربي وأكثر المدن السومرية و الأكدية في جنوب العراق .

والكلندنيون ((من القبائل البدوية العربية، وقد اشتق اسمهم من قبيلة " كلدي " ويعدهم المؤرخون فرعا من الأراميين نزحوا من سورية إلى جنوب العراق .))[٢]

أما عن ظهورهم لأول مرة فكان في عهد " شمسوإيلونا " خليفة حمورابي، وكان أول ملوكهم يدعى " إيلوما إيلو " الذي بدأ حكمه سنة (١٧٤٢ ق.م) . وقد مارست سلالتهم سلطة غير ثابتة على إقليم سومر وأكد حوالى قرن ونصف . ثم صارت تتحدى سلطة الدولة البابلية القديمة (١٨٩٤ – ١٥٩٥ ق.م)، كما ظلت تتحدى ملوك بابل وأشور مدة ألف عام تلت ذلك العصر .))[٣] ومنذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد ((جعلوا ضفاف العراق قبالتهم وهذا جعل بابل تشعر بخطرهم على اقتصادها منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد))[٤] وفي المكاتبات التي عثر عليها بين الملكين البابلي " كادشمار" والملك الحيثي " خاتوسيلى " ((أن الكلدانيين يعكرون صفو الأمن على طرق التجارة الواصلة بين الدولتين .))[٥] وظلت القبائل الآرامية تحاول التغلغل في بلاد الرافدين حتى ((تسللوا إلى أرض بابل في أواخر عصرها الكاسي ثم تجدد نشاطهم في دولة بابل في أواخر عصر أسرتها الرابعة وقد بلغوا غايتهم عندما اغتصب زعيمهم " أداد أبالدين "

---

١ - احمد سوسة : (العرب واليهود في التاريخ)، ص ٢١٦
٢ - المرجع السابق : ص ٢١٦
٣ - احمد سوسة : ٢١٦
٤ - ديلابورت : (بلاد مابين النهرين)، ص٥٩
٥ - المرجع السابق :٥٩

عرش بابل عام (١٠٨٣ ق.م) واحتفظ به زهاء عشرين عاما ثم تحالف مع ملك أشور "أشوربعل " وزوجة ابنته .))[١] والذي زاد من سطوه الكلدانيين في تلك الحقبة ((انضمام ((انضمام حشود من الآراميين نزحت من سورية في فترة ضعف الدولة الآشورية ما بين سنتي (١٠٧٧ و ٩١١ ق.م) وتأسست منهم دولة في جنوب العراق في منطقة الخليج عرفت باسم " بيت ياكيني " .))[٢] وصاروا يتحينون الفرص لاحتلال بابل والقضاء على الحكم الآشوري فيها ،((فقد جرد أحد ملوكهم " مردوخ بلادان " حملة على بابل وفتحها وحكم فيها أكثر من عشر سنوات بين سنة (٧٢١ إلى ٧١١ ق.م) وكان ذلك على أيام حكم سرجون الثاني الذي حاربهم واستولى على بابل فهرب " مردوخ بلادان " إلى الجنوب .))[٣] ومن بعده حارب سنحاريب الآشوري الكلدانيين واكتسح مدن الجنوب حتى أقصى بلاد البحر والخليج وخرب بابل ودك حصونها سنة (٦٨٩ ق. م)، وفي عهد "أشور بانيبال " ((سار بحملة تأديبية على بابل وبلاد القطر البحري، وأخضع التمرد الكلداني وتوجه نحو عيلام التي كانت تحرضهم، فاحتل عاصمتها " السوس " وخربها.))[٤] وبرغم هذه الحملات الآشورية إلا أن كل الأحداث كانت توحي إلى ضعف أشور . وان الكلدانيين وتقاربهم مع الميديين كان يعطي مؤشرا خطرا اتجاه أشور. وفي نهاية المطاف حوصرت نينوى من قبل جيش مختلط من ميديا ومن الكلدانيين .

وهؤلاء الكلدانيون كانوا أصلا طليعة هجرة سامية إلى الجزء الأسفل من العراق القديم، ويقودهم حاكم بابل الثائر " نابو بلاسر : الذي حاصر نينوى وثار على أسياده الآشوريين .))[٥] أما قائد جموع الميديين ((وهم ينتمون إلى الشعوب " الهندو – إيرانية" التي كانت تقتن شمال غربي بلاد فارس – فقد كان الملك " سياكسار" ومما قوى روابط الحلف بين الكلدانيين والميديين زواج نابو بلاسر بن نبوخذ نصر من ابنة سياكسار.))[٦]

---

[١] - عبد العزيز صالح : ج ١، ص ٦٢٣
[٢] - احمد سوسة : ٢١٦
[٣] - احمد سوسة : ٢١٧
[٤] - أحمد سوسة : ٢١٧
[٥] - فليب حتى : ص ٦٩- ٧٠
[٦] - فليب حتى : ص ٧٠

وبعد مقاومة ضاربة سقطت نينوى عاصمة أشور في يد الجيش المحاصر فخربها وأزال معالمها .و بذلك تكون آخر سلالة من سلالات بابل الحادية عشر أي سلالة الكلدانيين قد تمكنت من استرداد مكانتها كسيدة للعالم المتمدن آنذاك، وقد عادت إلى مركزها السابق بفضل ملكها نبوخذ نصر الثاني الذي حكم (٦٠٥ – ٥٦٤ ق.م)، وبذلك تكون الظروف المحيطة بأشور وبابل على السواء قد خدمت الكلدانيين بطريق غير مباشر ((ففي عام (٦٢٦ ق.م) أسست سلالة بابل الحادية عشرة دولتها التي سمي عهدها بالعصر البابلي الحديث، والذي دام زهاء القرن الواحد (٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م) وكان آخر عهود بلاد بابل وهي دولة مستقلة .))[١] وبهذا تكون الظروف الدولية في المنطقة قد أعطت قبائل كلدو ما لم تكن تتوقع، وأوصلتهم في نهاية المطاف إلى عرش بلاد الرافدين.

ظهور بابل كقوة عظمى بعد سيطرة الكلدانيين عليها :

لم يكن لبابل أن تظهر كقوة عظمى في وجود الإمبراطورية الأشورية القوية، كذلك شكلت مصائر علاقات بابل بآشور في أواخر عهد أشوربانيبال وعقب وفاته عدة عوامل منها ((أهتزاز الحدود الآشورية تحت ضغط القبائل هند اوروبية، واهتزاز العرش الأشوري نتيجة لكثرة الخلافات الأسرية في البيت الحاكم، وازدياد حقد البابليين والكلدانيين بعد الانتقامات العنيفة التي أنزلها الاشوريون بهم مرة بعد مرة، وآخر هذه العوامل انتقال الحكم في بابل إلى أسرة كلدانية قوية استطاعت أن تستغل الظروف المحيطة بهم وهي الأسرة الحادية عشرة والأخيرة .))[٢]

أما عن العهد البابلي الجديد فقد تأسس ((على يد كلداني يدعى نابوبلاسر (٦٢٦-٦٠٤ ق.م)، وحسب عبد العزيز صالح يحتمل أنه ولد لأمير يدعى " كاندالونو" عينه أشور بانيبال على بابل بعد مقتل أخيه، وعمل قائداً في الجيش الأشوري، وحاكماً على

١ - طه باقر : (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) ج١، بغداد، مطبعة الحوادث، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، ص ٥٤٥
٢ - عبد العزيز صالح : ج١، ص ٦٢٧

الأقاليم الجنوبية، ثم عمل لحسابه فزحف على بابل ووَلِّيَ عرشها بعد تفكك أواصر البيت الأشوري الحاكم، ولكن لم يتعد سلطانه في بداية أمره ما حولها))[١] والجدير بالذكر هنا أن هذا الملك السالف الذكر لم يقف مكتوف الأيدي أمام الأحداث الإقليمية المجاورة . ففي ظل احتدام الصراعات بين أشور وجيرانها من ماذيين والآميين وليديين تقدم نابو بلاسر الكلداني بجيوشه وخاض عدة معارك مع الأشوريين ((حيث اشتبكت جيوشه منذ العام العاشر من حكمه على أقل تقدير، في مواقع عدة منها " قابلينو ومادانو " على نهر الزاب، وحول العاصمة أشور نفسها، وفي تكريت " تاكريتيين " ولكن دون نتائج حاسمة لأحد الجانبين .))[٢] ويرى الباحث هنا مدى القوة التي كانت عليها جيوش بابل الكلدانية حيث وقفت نداً مساوياً لجيوش الأمبراطورية الأشورية والأكثر من هذا أن البابليين لم يشاركوا في هذه الجيوش، وأن جماعات كثيرة منهم لم يقدم العون المخلص وكذلك القبائل الأرامية التي تعتبر أبناء عمومة للكلدانيين حكام بابل آثرت الوقوف على الحياد حفاظاً منها على استقلال كياناتها الصغيرة وخلال هذه الأحداث المتلاحقة وما حمله البابليون من حقد على آشور ((وجدوا بضرورة تحالفهم مع الماذيين وقد تأكد هذا التحالف من خلال المصاهرة بينهم .))[٣]

ويفهم من الروايات البابلية أن المصريين كان لهم دورفي معاونة الجيوش الأشورية، وإذا صح ذلك كان معناه أن آشور لجأت في محنتها إلى عون مصر خصيمتها العتيدة، وأن مصر استجابت لها حرصاً على الوضع الدولي القائم، ودفعا للخطر الثنائي الجديد من " ماذي " و " بابل "، ولكن الدفعة التي خرج بها الماذيون المتحفزون، والبابليون الكلدانيون الحاقدون على أشور كانت أقوى من أن تصدها دولة مزقتها الخلافات أو يصدها حليف بعيد الديار . ((فشد الماذيون والبابليون حصارهم على نينوى ودمروها تدميرا عنيفاً في عام (٦١٧ ق . م) وقضوا على استقلالها وقتلوا ملكها .))[٤]

---

١ - المرجع السابق ص ٦٢٧
٢ - المرجع السابق ص ٦٢٨
٣ - ديلابورت : ص ٦٧
٤ - عبد العزيز صالح : ج١، ص ٦٢٩

ويذكر النص البابلي ((أن الماذيون اكتسحوا ما فوقهم وما تحتهم وما على يمينهم ويسارهم، وكانوا كإعصار الفيضان . ولم يكن في وسع حليفهم البابلي غير السكوت في سبيل القضاء على الغول الأشوري .))[١] أو على حد تعبير النصوص البابلية ((لم يجد نابو بلاسر القائد البابلي أمامه إلا أن يرسل شعره مهوشاً دون تمشيط، ويؤثر النوم على الأرض دون المضاجع، تدليلا على براءته من انتهاك حرمة المعابد على أيدي حلفائه))[٢] ويثبت هذا النص أن القائد البابلي كان حريصاً على عدم تحمل أعباء أفعال القوى المتحالفة معه أمام شعوب بلاد الرافدين التي كان يعول عليها في بناء دولته الجديدة على أنقاض أشور .

بعد تدمير نينوى جمع الأشوريون فلولهم، وتحصنوا في حرّان قيادة أشور أو بلّيط وريث العرش الأشوري، ولكنهم ما لبثوا حتى أخلوها تحت ضغط الغزاة، فدخلها البابليون والماذيون وتركوا حامية بها حوالي (٦١٠ ق. م) وحسب الرواية البابلية ((أن أشور أو بليط حاول الإستعانة بمصر في محاولة أخيرة، وحاصر الحامية البابلية في حران حوالي (٦٠٩ ق . م)، ولكن طال أمر الحصار حتى لحقت بها النجدات البابلية والماذية، وهزمت جيوشه بعد أن قاومتها نحو ثلاث سنوات .)) [٣] وبذلك انتها دور الأشوريين من التاريخ بعد أن أثبتوا أنهم أعنف قوة عسكرية منظمة شهدها الشرق القديم حتى عصرهم، وبعد أن ضربوا المثل في ضراوة القتال وأساليب العنف لجيرانهم الايرانيين، لا سيما الماذيين والفرس، وكذلك إشارتهم لحقد بقية بلاد النهرين عليهم لإصرارهم على اذلال بابل، والسيطرة عليها بالرغم من قرابتها لهم وسمعتها القديمة الواسعة، وعلى الرغم من استفادتهم من حضارتها .

أما عن أملاك أشور فقد آل مصيرها إلى بلاد مقسمة بين بابل وماذي ((فاستولى نابو بلصر البابلي على أرض السواد " أرض الجزيرة " وسوريا وتملك الميدي

---

١ ـ المرجع السابق : ص ٦٢٩
٢ ـ المرجع السابق : ص ٦٢٩
٣ ـ المرجع السابق : ج١، ص ٦٣٠

وسياجزارس الأراضي الواقعة شرقي دجلة وشماليه .))[١] وبذلك تكون بابل قد ورثت العرش الآشوري في منطقة الشرق الأدنى القديم، وراحت تستعد لتكون قوة مرهوبة الجانب .((فبينما توجه الميديون نحو الشمال، وصبوا جهودهم للاستقرار فيها، اخذ البابليون في تقوية جبهتهم الداخلية والاستعانة بالدين عن طريق تعمير المعابد وتشييد الجديد منها، وخارجيا انصبت جهودهم نحو الغرب .))[٢]

وبتحرك البابليين نحو الشام يبدأ العد التنازلي لنهاية دولة يهوذا وهي التي بقيت على قيد الحياة بعد دمار أختها إسرائيل على يد الآشوريين .

تدمير الكلدانيين لدولة يهوذا :

في ظل الضعف الذي ساد مصر كقوة عظمى حامية لبلاد الشام عامة وفلسطين خاصة، ومع عنفوان القوة التي دفعت بابل الكلدانية نحو الغرب، وكانت كل الكيانات الشامية والمتمثلة في ممالك المدن في خطر . وكانت مملكة يهوذا " أورشليم " عرضة لهذا الخطر كغيرها، ومع أنها الأقرب جغرافيا لمصر وبرغم تدخل مصر لنجدتها إلا أن هذا الجهد المصري باء بالفشل أمام نبوخذ نصر الذي كان قد غرته نشوة الانتصار، فبينما كان نبوخذ نصر يطارد فلول الجيش المصري في الشام بلغته الأنباء بموت أبيه فأسرع بالعودة إلى بابل ((ليتوج ملكا عليها في (٢٣ أيلول عام ٦٠٤ ق.م)، وقد دام حكمه فترة طويلة (٦٠٤- ٥٦٢ ق.م) كانت من العهود المجيدة في تاريخ العراق القديم))[٣] .وبمضي عام على تتويجه ((يعود إلى الشام مرة أخرى فيفرض سلطته على الدويلات السورية ويأخذ الأتاوة والجزية من جملة من المدن مثل دمشق، صور، صيدا وأورشليم، ولكنه دمر مدينة " عسقلون " (عسقلان) بسبب ثورة ملكها .))[٤]

---

[١] - السير جون هامرتون : تاريخ العالم، الجلد الثاني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص١٩٠
[٢] - مارغريت دوتن : ١٩٧٥، ص ٤٠
[٣] - طه باقر : ١٩٧٣، ص ٥٤٧
[٤] - المرجع السابق : ص ٥٤٧

أما مملكة يهوذا فنجد أنها منذ أيام الملك البابلي " نابو بلاسر " والد نبوخذ نصر " كان ولاؤها يتذبذب ما بين مصر وبابل . وهذا ما جرَّ عليها الويلات منذ البداية . فالتذبذب بدأ ((بخروج " نيكاو " فرعون مصر بجيشه عام (٦٠٨ ق.م) متجها نحو سورية عبر فلسطين، فأعترضه حاكم أورشليم يوشيا، فأنذره بالحسنى، ولكنه لم يرعُ ففتك به بمجدوا . ثم تابع سيره إلى سورية لحرب بابل .))[١]

وقد جاء في سفر الملوك الثاني عن هذه الحادثة ((وأركبه عبده ميتا من مجدوا وجاءوا إلى أورشليم ودفنوه في قبره . فأخذ شعب الأرض يهواحاز بن يوشيا ومسحوه وملكوه عوضا عن أبيه .))[٢] وفي نفس السفر جاء أيضا ((... ملك يهواحاز ثلاثة أشهر في أورشليم ... وأسره فرعون نخو[*] في ربلة في أرض حماة لئلا يملك في أورشليم وغرِّم بمائة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب وملَّك فرعون نخو الياقيم بن يوشيا عوضا عن يوشيا أبيه [الذي قتل في مجدوا]، وغير اسمه إلى يهوياقيم وأخذ يهواحاز، وجيء إلى مصر فمات هناك .))[٣] أما يهوياقيم صنيعة مصر فقد بدأ حكمه في رعايتها (٦٠٨ ق.م)، ولكن ((هذا الترتيب المصري لم يعمر طويلا لأن نكاو الفرعون المصري هزم في " قرقميش " ... أمام نبوخذ نصر عام (٦٠٥ ق.م) .))[٤]

ويظهر بعد هذه الأحداث أن نبوحذ نصر كان لديه ما يشغله مؤقتا بأحداث الشرق أهمها تأمين عرشه الذي خلَّفه عليه أبيه ،مما أرجأ النظر في أمور سورية، وهذا أعطى الفرصة لملك يهوذا " يهوياقيم " أن يشعر بالأمان لبضع سنين، وملك مصر أيضا لم يعد يخرج من أرضه بعد سيطرة بابل على معظم أملاك مصر في الشام إن لم يكن كلها .

ولم يلتفت نبوخذ نصر نخو فلسطين إلا بحلول عام (٦٠١ق.م) حيث خضع ملك يهوذا ذو الولاء المصري يهوياقيم لمجرد ظهور الجيوش البابلية واستمر هذا الخضوع

[١] - عبد العزيز صالح : ج١، ص ٣٢٦
[٢] - الملوك الثاني : ٢٣- ٣٠
* - التوراة تسمي الفرعون نكاو – نخو
[٣] - الملوك الثاني : ٢٣ : ٣١- ٣٣- ٣٤- ٣٥
[٤] - نجيب ميخائيل إبراهيم : ١٩٦٤، ج ٣، ص ٤١٢

ثلاث سنوات، وحسب التوراة ((... صعد نبوخذ نصر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبداً ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه .))[١] وربما أن نبوخذ نصر لم يفرغ من ترتيب أركان حكمه في الشرق فلم يوجه جيوشه مباشرة لتأديب يهوياقيم ملك يهوذا بل ((وجه ضده عصابات الأدوميين والمؤابيين والعمونيين إلى جانب حامياته السورية .)) [٢]

ويذكر عبد العزيز صالح ((أن يهوياقيم عندما تمرد قام بثورة ضد بابل، وتلك العصابات كانت أحلافا له في ثورته، وعندما ضيق عليهم نبوخذ نصر الخناق تخلوا عن ملك يهوذا وكانوا سيوفاً في يد نبوخذ نصر .))[٣] ويرى الباحث أن هذا الكلام غير دقيق وان الثورة التي أخذت طابع الحلف هي الثورة التي قادها صدقيا ملك يهوذا، والذي غير اسمه من متانيا إلى صدقيا وسوف يأتي الحديث عن هذا الحلف بالتفصيل بعد قليل .

أما يهوياقيم فقد توفي وفاة طبيعية قبل أن يعود نبوخذ نصر إلى فلسطين ((حيث ترك ابنه يهوياكين خليفة له ولم يستغرق حكمه سوى ثلاثة شهور ... وقد استسلم للعاهل البابلي بمجرد وصوله كما استسلمت أمه، وزوجاته ، وأهل بيته جميعا وضباط حرسه، وأخذ أسيرا إلى بابل، وظل سجيناً هناك مدى خمسة وثلاثين عاماً .... حتى موت نبوخذ نصر . ويشير نجيب ميخائيل إلى قول المؤرخ " جوزيف " أن تسليم يهوياكين للمدينة كان إنقاذا لها من دمار محقق ومن ثمار الاستسلام أن عامل نبوخذ نصر المدينة في رفق نسبي ...))[٤] وحسب التوراة ((صعد عبيد نبوخذ نصر ملك بابل إلى اورشليم فدخلت المدينة تحت الحصار ،وجاء نبوخذ نصر ملك بابل على المدينة ،وكان عبيده يحاصرونها . فخرج يهوياكين ملك يهوذا إلى ملك بابل هو وأمة وعبيده ورؤساوه وخصيانه . وأخذه ملك بابل في السنة الثامنة من ملكه (*) وأخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وكسر كل آنية الذهب التي عملها سليمان ... في هيكل الرب كما تكلم الرب .

---

١ - الملوك الثاني :٢٤ : ١
٢ - نجيب ميخائيل إبراهيم : ١٩٦٤، ج٣، ص ٤١٢
٣ - عبد العزيز صالح : ج١، ص ٦٣١
٤ - نجيب ميخائيل إبراهيم : ١٩٦٤، ج ٣، ص ٤١٢
* - المقصود السنة الثامنة لملك نبوخذ نصر

وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي وجميع الصناع والأقيان . لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض .)) [١]

ويرى الباحث التوقف عند السبي الأول في مملكة يهوذا حيث تضاربت الروايات التوراتية حول العدد الذي تم سبيه على أيدي البابليين . ففي سفر الملوك الثاني الإصحاح الرابع والعشرون – الجملة الرابعة عشر تقول : عدد السبي عشرة آلاف وفي نفس الإصحاح الجملة السادسة عشرة تقول : عدد السبي ثمانية آلاف وفي سفر إرمياء الإصحاح الثاني والخمسين الجمل ثمان وعشرون وتسع وعشرون وثلاثون عدد السبي أربعة آلاف وست مئة وهذا تناقض فأي الروايات نعتمد ؟ وبالعودة إلى التوراة نجد ((أن ملك بابل ملَّك متينيا عم يهوياكين عوضا عنه، وغير اسمه إلى صدقيا [*] وكان صدقيا ابن إحدى وعشرين سنة حين ملك . وملك أحدى عشرة سنة في أورشليم ...)) [٢] وبعد هذا الولاء الذي دام لفترة طويلة من الزمن لبابل نجد أن حكم صدقيا الذي دام لفترة طويلة من الزمن لبابل ((في السنة الرابعة لحكمه عام (٥٩٤ ق.م) قام صدقيا بحركة ثورية ضد بابل لم يكتب لها النجاة رغم أنها لم تكن حركة فردية بل حركة عامة أرتبط معه فيها حلفاء من أدوم ومؤاب وعمون وصيدا))[٣] وفي الغالب ترجع أسباب هذا التمرد على النير البابلي ويعود إلى بوادر تحرك مصري نحو الشام أملا في استرداد بعض ما فقده من مناطق نفوذ هناك. ((فقد أدرك ملك مصر " واح أب رع " الأخطار التي أحاطت بمصالح مصر التجارية المعتمدة على الموانئ الفينيقية، فأعد العدة لغزو فلسطين، وقد نجح في الاستيلاء على غزة وضيق الخناق على صور وصيدا، مما دفع نبوخذ نصر إلى التحرك بجيشه نحو ربلا والعسكرة فيها قرب حمص، هذه الأحداث دفعت صدقيا إلى تأييد مصر وإعلان الثورة والتمرد))[٤] وهذا يعني أن حالة التذبذب كانت لا تزال قائمة

---

١ - الملوك الثاني : ٢٤ : ٨ إلى ١٥

* - تغير الاسم أشارة إلى من أمر بتغيره والى تبعية صاحبه .

٢ - الملوك الثاني : ٢٤: إلى ١٧- ١٨

٣ - نجيب ميخائيل إبراهيم : ١٩٦٤، ج٣، ص ٤١٣

٤ - طه باقر : ١٩٧٣، ج١، ص ٥٤٨

ويبدو أن حسم هذا الامر لصالح بابل أو مصر كان صعبا في ظل وجود انقسام داخلي في الرأي العام داخل مملكة يهوذا فهناك من يؤيد بابل وفريق آخر يؤيد مصر .

يقول برستد :

((كانت مصر بين حين وآخر تحرض على نبوخذ نصر سكان البلاد الغربية بشق عصى الطاعة وإضرام نيران الفتن فحمي غضب نبوخذ نصر عليهم وعاقبهم عقابا شديدا ولا سيما سكان مملكة يهوذا الصغيرة.))[١]

وكلام برستد يتكئ على ما ورد في التوراة حول انقسام داخل يهوذا حيال القوتين العظيمتين مصر وبابل، حيث يرى المتأمل في سفر أرميا ما يؤكد ذلك ((يقول الرب لأرميا أرسل إلى ملك أدوم والى ملك مؤاب والى ملك بني عمون والى ملك صور والى ملك صيدون والى أورشليم إلى صدقيا ملك يهوذا وأوصهم إلى سادتهم قائلا : هكذا قال رب الجنود آله إسرائيل أني أنا ... دفعت كل هذه الأرض ليد نبوخذ نصر ملك بابل عبدي... فتخدمه كل الشعوب..... والأمة التي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل ... أعاقبها بالسيف والجوع والوباء يقول الرب : حتى أفنيها بيده .))[٢]

ويفهم من هذا الكلام التوراتي أن أرميا يدرك أهمية الإمتثال للنير البابلي بغض النظر كونه نبي يتلقى الكلام من الرب حسب التوراة . فمن الواضح أن أرميا على الصعيد السياسي عرف أن بابل هي صاحبة الصولة في المنطقة . وعلى مملكة يهوذا التحالف أو الخضوع ،وأن الرهان على مصر يعد انتحار لأن فيه جلب السخط البابلي على دولة صغيرة .

وهناك فئة أخرى كانت تتنبأ بغير ما تنبأ به أرميا ففي التوراة ((أن حنينيا بن عزور النبي ... كلم الشعب قائلا : هكذا تكلم رب الجنود آله إسرائيل قائلا : قد كسرت نير

---

[١] - جميس هنري برستد : (العصور القديمة)، ت داوود قربان، عزالدين للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ص ١٨١
[٢] - أرميا : ٢٧ : ٢- ٣- ٤- ٥- ٦- ٧- ٨- ٩

ملك بابل في سنتين من الزمان أرُدْ إلى هذا الموضع كل آنية بيت الرب التي أخذها نبوخذ نصر... وأرُدْ إلى هذا الموضع ملك يهوذا وكل سبي يهوذا الذين ذهبوا إلى بابل .))[١]

وما يلفت النظر هنا التضارب في الوحي الرباني للأنبياء وهذا لا يعنينا كثيرا بقدر ما يعنينا الموقف السياسي الذي يظهر جليا من خلال هذا التضارب، فلكل من النبيين أتباع ومؤيدون . ونحسب أن حنينيا النبي كان يقود الطرف الموالي لمصر، ويدعوا إلى الخلاص من سيطرة بابل .

وفي موضع آخر من سفر أرميا يشتد الخلاف بين الاثنين فيقول أرميا لحنينيا: ((اسمع يا حنينيا، أن الرب لم يرسلك وأنت قد جعلت هذا الشعب يتكل على الكذب . لذلك هكذا قال الرب، ها أنا ذا طاردك عن وجه الأرض، هذه السنة تموت لأنك تكلمت بعصيان على الرب . فمات حنينيا النبي في تلك السنة في الشهر السابع))[٢]

أما أرميا فكتب إلى السبي المنفيين في بابل يطلب إليهم ((أن يستقروا مدى جيلين))[٣] وهكذا يمكن القول أن الثورة الأولى لصدقيا انتهت إلى لا شيء بل ربما انتهت إلى التشكك في نواياه بل في ولائه حتى ((استدعي إلى بابل ليقدم حسابا عن أعماله))[٤]. يقول ديورنت : ((يبدوا أن صدقيا كان محبا للحرية أو للسلطان فخرج على بابل.)) [٥]

ثم نجد أن صدقيا يعلن تمرد آخر في عام ((٥٨٨ ق.م) قام من خلاله التماس سند مصر للتخلص من النير البابلي ففي سفر حزقيال ((أن صدقيا تمرد على نبوخذ نصر بإرساله لمصر ليعطوه خيلا وشعبا كثيرين .))[٦] وفي نفس السفر ((وأنت يا ابن آدم عين عين لنفسك طريقين لمجيء سيف ملك بابل، من أرض واحدة تخرج الاثنتين .

---

[١] - أرميا : ٢٨ : ٢- ٣- ٤
[٢] - أرميا : ١٥:٢٨- ١٦- ١٧
[٣] - أرميا : ٢٩: ١٠
[٤] - أرميا : ٢٨ : ١٥- ١٧
[٥] - ول ديورنت : (قصة الحضارة)، ج٢، م١، ص ٣٥٧
[٦] - حزقيال : ١٧: ١٥

وأصنع صُوّةً على رأس طريق المدينة أصنعها عين طريقا ليأتي السيف على ربة بني عمون وعلى يهوذا في أورشليم المنيعة، لأن ملك بابل قد وقف على أم الطريق على رأس الطريقين ليعرف عرافةً .))[١] ويفهم من النص التوراتي هذا أن تمرد صدقيا الأخير ومحاولة استنجاده بمصر لم تقتصر عليه فقط بل سانده فيها بني عمون وعاصمتهم ربة عمون التي ورد ذكرها في النص . كما يستخلص من النص أيضا أن نبوخذ نصر استشار عرافيه وكانت القرعة على أورشليم أي مملكة يهوذا، وقد تقدمت جيوش نبوخذ نصر ((وحاصرت يهوذا وظل الحصار قائما عاما ونصف العام، وبدأت الآمال تحيى بسبب اقتراب جيوش مصر وإرغامها المحاصرين على رفع الحصار .))[٢] وفي التوراة ((خرج جيش فرعون من مصر فلما سمع الكلدانيون المحاصرون أورشليم بخبرهم صعدوا عن أورشليم))[٣]

ويبدو أن فك الحصار كان مؤقتاً حيث أثبتت الأحداث التالية أن جيش الفرعون " واح أب رع " قد هُزِم، واستأنف الحصار في عنف وقسوة وبدأ المحاصَرون داخل أورشليم يحسون بوطأته بسبب المجاعة وما صحبها من ذعر واضطراب يشير إليها الإصحاح الأول من مراثي أرميا ((كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب . كيف صارت كأرملة العظيمة في الأمم . السيدة في البلدان صارت تحت الجزية، تبكي في الليل بكاءً ودموعها على خديها، ليس لها معزٍّ من كل محبيها، كل أصحابها غدروا بها، صاروا لها أعداءً، قد سبيت يهوذا..... وذهب أولادها إلى السبي قدام العدو .))[٤]

وبهذا الوصف الدقيق نجد أن نبوخذ نصر ((قد دخل يهوذا في عام (٥٨٦ ق.م) أو (٥٨٥ ق.م) ودمرها ثم أحرقت قواته هيكل سليمان ونقلت خزائنه، ونفت أربعين ألفا أو خمسين ألفا من أهلها إلى بابل لينوحوا عند الفرات .وتشبث صدقيا بالهرب والنجاة ولكنه قبض عليه في مدينة " أريحا " فأخذ هو وأولاده إلى معسكر الملك البابلي في

---

[١] - حزقيال : ٢١ : ١٨- ٢٢
[٢] - نجيب ميخائيل إبراهيم : ١٩٦٤، ج٣، ص ٤١٥
[٣] - أرميا : ٣٧ : ٥
[٤] - مراثي أرميا : ١: ١- ٢- ٣، ٦

"ربلا" وكان غضب الملك شديدا فأمر بذبح أولاده أمام عينيه ثم فقأت عيناه وأخذ مكبلا مع الأسرى اليهود .))[١]

وفي التوراة حول نهاية يهوذا جاء ما يلي ((وفي السنة التاسعة لملكه في الشهر العشر في عاشر الشهر جاء نبوخذ نصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم ونزل عليها وبنوا عليها أبراجا حولها، ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا . في تاسع الشهر أشتد الجوع في المدينة ولم يكن خبز لشعب الأرض .))[٢]

والواضح أن طول الحصار أدى إلى نفاذ الطعام فلم يكن أمام المُحاصَرين بداً من الخروج ((فثغرت المدينة وهرب جميع رجال القتال ليلا من طريق الباب بين السورين الذين نحو جنَّه الملك . فتبع جيوش الكلدانيين الملك فأدركوه في برية أريحا، وتفرقت جميع جيوشه عنه .))[٣]

وفي الإصحاح الخامس والعشرين من نفس السفر إشار إلى ما حدث بنوع من التفصيل ((فأخذوا الملك واصعدوه إلى ملك بابل إلى ربلة وكلموه بالقضاء عليه وقتلوا بني صدقيا أمام عينه وقلعوا عيني صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل.))[٤]

والفقرة تشير إلى كاتبها فتحدد مكان إقامته في بابل فلو كان مقيما في فلسطين أي في مملكة يهوذا لقال : وذهبوا به إلى بابل، وهذه إشارة واضحة أن التوراة كتبت في بابل . ((وفي الشهر الخامس في سابع الشهر وهى السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ نصر ملك بابل جاء " نبوزرادان " رئيس الشرطة عبد ملك بابل إلى أورشليم وأحرق بيت

---

١ ـ طه باقر : ١٩٧٣، ج١، ص ٥٤٨
٢ ـ الملوك الثاني : ٢٥ : ١ـ ٢ـ ٣ـ ٤
٣ ـ الملوك الثاني : ٢٥: ٥
٤ ـ الملوك الثاني : ٢٥ : ٦

الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار وجميع أسوار أورشليم مستديرا هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرطة .))[١]

وقد خلد القرآن الكريم تلك الواقعة التي ألمت ببيت المقدس في سورة البقرة .بسم الله الرحمن الرحيم ((أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ .))[٢]

وهنا لا يعنينا الاختلاف حول الرجل المار بالقرية حسب ما أورد ابن كثير فهو يسرد روايات مختلفة فمنهم من قال : عُزير وآخر قال الخضر وآخر قال حزقيل والذي يهم هنا أن البلدة هي بيت المقدس ((وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مرَّ عليها بعد تخريب بوختنصر لها وقتل أهلها..... وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة (*) من موته وتكامل ساكنوها وتراجع بنو إسرائيل إليها .))[٣]

وبالعودة إلى التوراة نجد ((بقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبو زرادان رئيس الشرطة، ولكن رئيس الشرطة أبقى من مساكين الأرض كرّامين وفلاحين .))[٤]

وتبدوا هنا سياسة نبوخذ نصر واضحة فالهدف أن لا تقوم ليهوذا قائمة من بعد، وتبقى الأرض تجود بجيراتها لذلك أبقى الكراميين والفلاحين . لذلك خرب المدينة وأبقى على الزرع والضرع ويرى الباحث أن هذه السياسة لم تكن جديدة عند نبوخذ نصر فقد اعتمدها حكام أشور العظام من قبل في بلاد الشام وفلسطين .

وتستمر التوراة في وصف ما جرى ليهوذا ((فأعمدة النحاس التي في بيت الرب والقواعد وبحر النحاس الذي في بيت الرب كسرها الكلدانيون وحملوا نحاسا إلى بابل،

---

[١] ـ الملوك الثاني : ٢٥ : ٨ـ ٩ـ ١٠

[٢] ـ القرآن الكريم : البقرة، آية ٢٥٩

* ـ هذا كلام معقول تاريخيا فالمدينة عمرت بعد سبعين سنة وأعاد قورش اليهود إليها بعد السبي

[٣] ـ ابن كثير : (تفسير القرآن العظيم)، ج١، مكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ص ٤٥٢

[٤] ـ الملوك الثاني : ٢٥ : ١١ـ ١٢

والقدور والرفوش والمقاص والصحون وجميع آنية النحاس التي كانوا يحرقون بها أخذها، والمجامر والمناضح. ما كان من ذهب فالذهب وما كان من فضة فالفضة أخذها رئيس الشرط .))[1]

ومن الواضح هنا أن الهدف هو القضاء على الكيان ونقل كل متعلقاته وتدمير هيكله يعني فنائه وعدم التفكير في عودته لأن الكلدانيين لم يكونوا في حاجة إلى هذه الأدوات أو إلى الذهب والفضة فعندهم منها الكثير بل المقصود أن لا يبقى ليهوذا في القدس أثر ترجع إليه.

وفي الفقرة التوراتية التالية إمعان في التقتيل والتنكيل ((وأخذ رئيس الشرط سرايا الكاهن الرئيس وصفنيا الكاهن الثاني وحارس الباب الثلاثة . من المدينة أخذ خصياً واحداً كان وكيلاً على رجال الحرب وخمسة رجال من الذين ينظرون وجه الملك الذين وجدوا في المدينة، وكاتب رئيس الجند الذي كان يجمع شعب الأرض، وستين رجلاً من شعب الأرض الموجودين في المدينة.وأخذهم نبوزراداان رئيس الشرط وسار بهم إلى ملك بابل إلى ربلة . فضربهم ملك بابل وقتلهم في ربلة في أرض حماة . فسبى يهوذا من أرضه.))[2]

ومن الواضح أن نبوخذ نصر لم يدخل يهوذا بل كان يحرك الأحداث عن بعد من مقره في ربلة بأرض حماة وأنه عهد بهذه المهمة إلى قائده نبوزراداان . أما الشعب الذي بقي في أرض يهوذا الذين أبقاهم نبوخذ نصر ملك بابل ((فوكل عليهم جدليا بن أخيقام بن شافان، ولما سمع جميع رؤساء الجيوش هم ورجالهم أن ملك بابل قد وكل جدليا أتوا إلى جدليا إلى المصفاة وهم إسماعيل بن نثنيا ويوحنان بن قاريح وسرايا بن تنحومث لنطوفاتي

---

[1] ـ الملوك الثاني : ٢٥ : ١٣ـ ١٤ـ ١٥

[2] ـ الملوك الثاني : ٢٥ : ١٨ـ ١٩ـ ٢٠ـ ٢١

ويازينا بن المعكى وهم ورجالهم . وحلف جدليا لهم ولرجالهم وقال لهم لا تخافوا من عبيد الكلدانيين اسكنوا الأرض وتعبدوا لملك بابل فيكون لكم الخير .))[١]

وتوضح العبارة السابقة مدى التهاون إن لم يكن التنكر للعقيدة التي من المفترض أن يتشبث بها هؤلاء القوم فاجدليا يأمرهم بالتعبد لملك بابل ((وفي الشهر السابع جاء إسماعيل بن نثنيا بن اليشمع من النسل الملكي وعشرة رجال ومعه وضربوا جدليا فمات وأيضاً اليهود والكلدانيين الذين معه في المصفاة .))[٢] ويتضح أن إسماعيل هذا هو أحد قادة الجيوش في يهوذا ولم يرق له جدليا وأفعاله لذلك قتله ثم اشتبك في معركة مع رجاله من اليهود والكلدانيين وأجهز عليهم في منطقة المصفاة . ولكن هذا الرجل وأعوانه لم يحسبوا العواقب في حينها .((فبعد ذلك قام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وجاءوا إلى مصر لأنهم خافوا من الكلدانيين .))[٣] وهذا الأمر المتعلق باللجوء إلى مصر سوف تكون لنا وقفة عنده لاحقاً لأن لجؤهم إلى مصر كان فيه أمان لأرواحهم وحملوا معهم أرميا دون أن يعبأوا باحتجاجه .

أما عن موقف الشعوب وسكان فلسطين الأصليين فكان أحيانا يظهر مستنكرا للوجود الكلداني وأحيانا يظهر على شكل تحالفات مع مصر ويهوذا، وفي أحيان أخرى ينحني للعاصفة الكلدانية التي كانت قوية لدرجة أن مصر استكانت أمامها .

وهذا كان حال ممالك المدن الشامية أيضاً التي حالفت مصر في البداية وحاولت رد الكلدانيين ولكن عندما أشتد عليها بأسهم انحنت هي الأخرى.

---

[١] ـ الملوك الثاني :٢٥ : ٢٢ـ ٢٣ـ ٢٤ـ ٢٥

[٢] ـ الملوك الثاني : ٢٥: ٢٥ـ ٢٦

[٣] ـ الملوك الثاني : ٢٥ : ٢٦ـ ٢٧

الفصل السادس

الأثر المصري في الأحداث منذ وفاة سليمان وحتى نهاية المملكتين

المبحث الأول : أحوال مصر منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وحتى زوال دولة إسرائيل .

المبحث الثاني : أحوال مصرقبل واثناء تدمير بابل لمملكة يهوذا.

المبحث الثالث :خلاصة علاقة المملكتين بمصر .

أحوال مصر منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وحتى زوال دولة إسرائيل :

ليس الهدف من هذا المبحث سرد تاريخ مصر العام في هذه الفترة بقدر ما هو من الضروري التركيز على علاقات مصر الخارجية وخاصة مع دولة بني إسرائيل قبل الانقسام وبعده وكذلك توضيح الحال والموقف الذي كانت عليه مصر من هذا الكيان مع تسليط الضوء على ما كانت عليه أوضاع مصر الداخلية في ظل عدم استقرار الحكم وتقلب الحكام والأسرات التي ينتمي بعضها إلى مصر والسواد الأعظم لأسرات أجنبية .

تجمع المصادر التاريخية على أن الإمبراطورية المصرية في القرن الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد لفظت أنفاسها حوالي (١٠٨٠ ق.م) بعد أن أرهقتها غزوات اللوبيين وشعوب البحر بالإضافة إلى الفتن الداخلية وتولي الأمر فيها من قبل حكام ضعاف ورجال الدين والمرتزقة .

((فبعد انهيار الأسرة الحادية والعشرين، تتابعت عصور امتدت من النصف الثاني للقرن العاشر قبل الميلاد حتى نهاية التاريخ الفرعوني في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، وهي ما تسمى بالعصور المتأخرة من الزمن أساسا، ومن حيث القدرة والحضارة ضمناً .))[١]

وقد بدأت هذه الحقبة بحكام من المرجَّح أنهم ذوو اصول مهجنة إذ لم يكونوا أغراباً تماماً عن مصر، ولم يفتحوا البلاد عنوة، وقد كان من بينهم ((أسرة يحمل أفرادها لقب "رئيس " وهم "رؤساء الأجانب " (*) وما يؤيد الأصل الليبي الأسماء التي كانت لجدودها الأبعدين، ومن غير المؤكد إن كان هؤلاء من أقارب الليبيين الذين طردهم " مرانبتاح "، أم هم من سلالة الأسرى الذين أحتفظ بهم في الجيش أم هم من المتطوعين أو المرتزقة

---

[١] ـ عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ص ٢٩٨

* خلدت الآثار المصرية حادثة انقاد البلاد من الهجوم الذي شنه عليها الليبو وحلفائهم من شعوب البحر، وقد وسجلت لوحة الكرنك هذا اللقاء بين " مرنبتاج "و " مرى بن دد "، والذي انتهى بهزيمة هذه الشعوب عند منطقة تسمى " يرير"غربي الدلتا ووقع تسعة آلاف منهم في الأسر ومن ضمن هذه القبائل التي شاركت في المعركة الشردانا والأخيين ولوقا وترش وأنهم حسب قول " مرنبتاح " أتوا إلى مصر يبحثون عن الطعام لبطونهم .

الذين كانوا يمنحون أراضي تقطع لهم مقابل التزامهم بالخدمة العسكرية .))[1] شأنهم في ذلك شأن الشردانا والحقيقة أن معظم من تناولوا تاريخ مصر في هذه الحقبة مجموعون على ما تقدم ((فقد استقرت قبائلهم على الحواف الزراعية وحول الواحات وحصون الحدود، منذ أخريات أيام "رمسيس الثالث "، ثم ما لبثوا أن تمصروا، راضين أو مكرهين، واعتنقوا ديانة المصريين وعبدوا آلهتهم، فإذا بهم قد تكاثروا وأصبح لهم من الأهمية ما مكنهم من الوصول إلى الحكم بأقل احتكاك ممكن ومع هذا فإن عنصرهم الأجنبي كشف عن نفسه بالأسماء البربرية التي انتحلوها مثل شيشنق و أوسركون وتكلوت))[2]. أما عن فترة حكمهم ((فتقدر فترة حكم ذوي الأصل الليبي أكثر من قرنين كانت كافية لنسيانهم أصلهم الغريب ووصفهم أنفسهم بالفراعنة المصريين، فحاربوا باسم مصر خارج حدودها، وحاولوا أن يستعدوا لها بعض سمعتها وهيبتها القديمة..... ولم يمنع اغتصابهم لعرش البلاد من أن يظهر بينهم حكام مصلحون))[3].

وكون هذه الأسر الثانية والعشرين، وقد طالت فترة حكمها نحو قرين ونيف وأثرت في الكثير من الأحداث على الساحة الشامية عامة وفلسطين خاصة وجد الباحث ضرورة إفراد مطلب خاص بها لتناولها بشيء من التفصيل .

الأسرة الثانية والعشرون (٩٥٠ – ٧٣٠ ق.م) :

كان على رأس حكام هذه الأسرة شيشنق الأول الذي حكم (٩٥٠- ٩٢٩ ق. م)، وقد كان حاكما قويا أراد أن ينهض بمصر بكل قوته ويعيد مجدها التالد، ولكن حالة البلاد كانت قد بلغت من السوء حدا كبيرا و إن لم يكن يدفع إلى اليأس ((وكانت جهود شيشنق أشبه بجهود من يبني عمارة شاهقة من أنقاض عتيقة... وكانت أسواق مصر قد أخذتها منها إسرائيل ... هذا إلى القلاقل الداخلية التي رأيناه يفلح في القضاء عليها، ثم يعتمد فيما بعد السنة الخامسة على علاقاته الودية مع رؤساء كهنة بتاح في منف وعلى ابنه رئيس

---

[1] - نجيب ميخائيل إبراهيم : (مصر والشرق الأدنى القديم) ج٢، دار المعارف – القاهرة، ١٩٦٥، ص ٣٠٧

[2] - محمد بيومي مهران : (مصر الشرق الأدنى القديم) ج٣، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص ٥٥٧

[3] - المرجع السابق : ص ٥٥٨

كهنة "أمون " في "طيبة "، وعلى ولاء أمراء الدلتا من رؤساء " الماشواش " الذين يخشون بأسه))[1]. بذلك يكون شيشنق قد اطمأن إلى استقرار الأمور في البلاد وفكر في زيادة مواردها التي تناقصت بشكل واضح . فنهج أسلافه العظام عندما كانت تحزب بهم الأمور، وهو اجتياح بلاد الشام . ولكن هل كانت هناك سياسة خارجية بالمعنى المفهوم في عصر الدولة الثانية والعشرين في مصر أو حتى سابقتها تجاة سورية أو بلاد الشام وفلسطين . الحقيقة لا فقد اقتصرت السياسة في الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين على ظروف بلاد الشام أكثر منها على ظروف مصر والقرار المصري.

وما يؤسف له المصدر شبه الوحيد لهذه الفترة من تاريخ الشام ومصر هو التوراة والتي يوجد تضارب في تسلسلها التاريخي .

وبالعودة لمصر تطلعت السياسة الخارجية لها في عهد شيشنق إلى فلسطين وما ورائها، ففتح أبواب مصر للفارين من وجه سليمان، وحدث ذلك في عهد أبيه داوود من قبل . ولكن ليس على أيام شيشنق إذن .تشكلت معارضة لسليمان في مصر يقودها "يربعام بن نباط "، والذي كان ينافس سليمان على الحكم. وحسب التوراة ((كان من نسل " أفرايم " ووعده أحد الأنبياء بالملك ولكن سليمان أراد الفتك به .))[2] ولما توفي سليمان ولم يبق لابنه رحبعام غير سبطي يهوذا وبنيامين، وحكم يربعام باقي أسباط بني إسرائيل العشرة في السامرة، انقض شيشنق بجيشه ودمر أورشليم وغنم كنوز داوود وسليمان .

ولما كان هذا النصر الحربي لشيشنق قد أتى بعد خمول طويل ((أطنب أعوانه في الإشادة به في رواقه بالكرنك وسجلوا أسماء مائة وخمس وثلاثين منطقة في طاعته وبقى منها خمس وسبعين اسما وربما نقلوا بعضها من قوائم ملوك مصريين سابقين .))[3]

ومن نتائج هذه الحملة، أن استعادت مصر جانبا من سمعتها الدولية القديمة، واستعادت بعض صلاتها بفينيقيا وأمرائها، وأفاضت على مصر غنائم وثروات . وقد

[1] - نجيب ميخائيل إبراهيم : ج٢، ١٩٦٥، ص ٣١٦- ٣١٧
[2] - الملوك الأول : ١١/ ٤٠
[3] - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥ / ص ٣٠٥

اختلف المؤرخون في التأريخ لحملة شيشنق هذه، ((فالبعض يراها في السنوات الأخيرة لشيشنق، والبعض الآخر يراها في عام (٩٣١ ق.م)، وهناك من يراها في عام (٩٢٦ ق.م)، كذلك من يراها في عام (٩٢٥ ق. م) . ولعل السبب في هذا الاختلاف إنما يرجع إلى الاضطراب في التأريخ لملوك مملكتي إسرائيل ويهوذا ، أكثر منه للفراعين المصريين .))[١]

ويرجح الباحث أن الحملة قد حدثت بعد عام (٩٢٣ ق . م) وهو تاريخ وفاة سليمان ومن الثابت أن هذه الحملة حصلت بعد وفاة سليمان بسنوات، وبذلك يكون تاريخ الحملة نحو عام (٩١٧ ق.م) تقريبا ولهذا الرأي من يسانده أو يقترب منه من المؤرخين المصريين .

ومما لا يمكن تجاهله أن شيشنق وخلفاءه ((قد أعادوا العلاقات الطيبة مع أمراء بيبلوس ... حيث كانت مصر تستورد من هناك خشب الأرز .))[٢] وفي العهد أوسركون خليفة شيشنق استمر الحال من المحاولات فرض الهيمنة على فلسطين حيث تروى التوراة قصة ((هجوم مصري بقيادة " زارح الكوش" على "مريشة" قوامه ألف ألف رجل وثلاثمائة مركبة، غير أن " أسا " ملك يهوذا استطاع أن يهزم المعتدين في وادي صفافة.))[٣]

وعلى كل حال إن عدم تدوين النصوص المصرية لهذا الحدث، والمبالغة في عدد الجنود يثير شبهة حول حدوث هذه الحملة، وخاصة أنها كانت ضد مملكة يهوذا، والتي لا يتعدى عدد سكانها المليون إن لم يكن أقل بكثير في ذلك الوقت .

إن كل ما يمكن أن يقال عن الأسرة الليبية وفترة حكمها في مصر ((أن عهدها كان مليئا بالفتن و الاضطرابات ويظهر أن الأسرة أخذت تنحل وتضمحل تدريجيا، وانقسمت

---

[١] - محمد بيومي مهران : ١٩٨٨، ج ٢، ص ٦١٣- ٦١٤ .
[٢] - المرجع السابق : ص ٦١٥
[٣] - أخبار الأيام الثاني : ١٤/ ٩ -١٠

البلاد إلى ولايات كما سعى أمراء الوجه البحري إلى الاستقلال بالحكم كل في إمارته.))[1] هذا هو حال مصر حتى نهاية الأسرة الثانية والعشرين.

أما عن حال مصر في عهد الأسرة الثالثة والعشرين (٨١٧ – ٧٣٠ ق.م) تطور الحال نحو الأسوء ((حيث ظهر في مصر بيتين مالكين تقاتلا في البداية ثم اصلحا فيما بينهما، وصار في مصر أسرتان ملكيتان تحكمان في وقت واحد، وعاشوا شبه مستقلين وكان لكل منهم جيشه الخاص وبلاطه .))[2] وقد ترك ملوك الأسرة الثالثة والعشرين بعض الآثار في الصعيد الأعلى وبخاصة في طيبة، وامتاز عصر أعظم ملوكها "واساركون " الثالث بحادثين مهمين ((أولها حدوث فيضان عال جدا في الأقصر حطم الرصيف الأمامي لمعبد الأقصر وأتلفت المياه كثيرا من محتوياته، والحادث الثاني أن الملك واساركون الثالث وضع ابنته " شب- آن- اديت " في الدولة الكهنونية باسم " زوجة آمون الإلهية "، ولم يمض وقت حتى زاد نفوذ الزوجات الإلهيات لآمون وغطى على نفوذ كبار الكهنة وهذا استمر قرنين من الزمان .))[3]

ومن الملاحظ أن هذه الأسرة لم يكن لها أي تطلع نحو بلاد الشام إذ انشغلت بالهموم الداخلية خاصة وقد سبق الحديث عن وجود كيانين مالكين في وقت واحد هما الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين . وهذا ما سيتيح لنا الفرصة للحديث عن الأسرة الرابعة والعشرين، والتي حكمت منذ (٧٣٠- ٧١٥ ق.م) وأوصلت الحالة الداخلية في البلاد إلى الحضيض، ولم يقتصر الأمر على وجود بيتين مالكين فقط بل ادعى آخرون الملك، ويعتبر المؤسس الأول لهذه الأسرة ((امير مدينة "صا الحجر " في غربي الدلتا وكان يسمى "تف نيخت "، وقد وجد له منافسين في كل من "إهناسيا " و "الأشمونين " و "تل بسطة " و "تانيس"... وظلت " طيبة " في هدوء يحكمها كهنتها .))[4] ويمكن القول أن " تف نخت " حاول توحيد البلاد وجعلها مملكة واحدة، وتم له بعض ما أراد حيث

[1] - نجيب ميخائيل إبراهيم : ج٢، ١٩٦٥، ص ٣٢٦
[2] - أحمد فخري : ١٩٩١، ص ٤٢٣- ٤٢٤
[3] - نفس المرجع : ص ٤٢٤- ٤٢٥
[4] - المرجع السابق : ص ٤٢٥

أخضع الدلتا بأكملها، ولكن الذي كان يدور برأس " تف نخت " من أنقاذ البلاد كان يدور برأس آخرين ((هبوا لنجدة البلاد من التردي الذي أصابها، فكان الملك " بعنخي "الذي أرسل من نباتا في شمال السودان جيشا لتخليص البلاد مما وصلت إليه من فوضى.))[١]

ونخلص إلى أن هناك أسباب أدت إلى تدخل " بعنخي " في شؤون مصر وهناك أسباب أخرى أدت إلى نجاح هذا التدخل فعلى سبيل المثال : نرى أن المقاومة حدثت في بعض الأقاليم حتى استعصى فتحها ردحا من الزمن على القوات المخلصة، ولكنها كانت مقاومة إقليمية لا تسندها القوى الأخرى في البلاد . ((بل إن ضعاف النفوس من الحكام استسلموا قبل أن يبدوا أدنى مقاومة، وأغلب الأمر أن مختلف الحكام كانوا متمصريين ولم يكونوا مصريين، كان الواحد منهم يزهى بوضع الريشة على رأسه أحيانا ليشير إلى أنه من سلالة الليبيين .))[٢]

أخضع "بعنخي " معظم البلاد لسلطانه وأظهر شيء من التسامح مع خصومه ((كإبقاء الأمراء المحليين على مناصبهم ما داموا قد أظهروا الطاعة له وانفضوا من حول خصمه الأكبر " تاف نخت " الذي أبقاه أخيرا أميرا على سايس، وعفا عن ولده بعد إحدى المعارك في اللاهون حين اعترف له بالأمر الواقع من سلطانه))[٣]. وفي ظل هذه الأوضاع التي سادت مصر بعد دخول " بعنخني" اعتبر أن الأمور قد أصبحت طوع بنانه ((فأعلن نفسه فرعونا مصريا صريحا، وعاد إلى نباتا حيث سجل أخباره السابقة على نصب كبير في معبد آمون فيها))[٤].

ولابد من الإشارة هنا إلى أن عهد الأسرة الخامسة والعشرين يكون قد بدأ بدخول "بعنخي " مصر . ولكن الأسرة الرابعة والعشرين لم تنتهي لأن "تف نخت" أعد لها الحياة بعد خروج " بعنخي " من مصر .

---

١ ـ المرجع السابق : ص ٤٤٦
٢ ـ نجيب ميخائيل إبراهيم : ج ٢، ١٩٦٥، ص ٣٤٠
٣ ـ عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ج١ ، ص ٣١٠
٤ ـ المرجع السابق : ص ٣١٠

فقد استغل " تاف نخت" فراغ الميدان الداخلي لمصلحته ((فاسترجع سلطانه في الدلتا والأقاليم القريبة منها، وكان يعتز بلقب الكهانة للمعبود " يتاح رب منف"، و "نيت ربة سايس " واستعاد الغابة الملكية .))[١] وقد استمتع بسلطانه في عاصمته سايس عدة سنوات وظلت أسرته الرابعة والعشرون تعاصر أسرة بعنخي الخامسة والعشرين لبعض الوقت دون أن تنجح إحداهما في لم شمل مصر كلها تحت رايتها ، وإن حاولت كل منها أن تعمل باسم مصر من ناحيتها .

وبرغم من الاضطراب وعدم الاستقرار وثبوت الملك لأسرةٍ بعينها إلا أن "تاف نخت " تطلع إلى خارج مصر ((فحاول مساعدة فلسطين، وكان قد سعى إلى التحالف معه " هوشع " ملك السامرة عاصمة إسرائيل الشمالية، فقبل وترتب على هذا التحالف صمود عاصمته السامرة ثلاث سنوات أمام حصار الآشوريين بقيادة شلمانصر الخامس.))[٢]

ويفهم من هذا الحلف بين مصر ومملكة إسرائيل أنه لم يفعل أكثر من تأجيل سقوط السامرة فما أن تولى سرجون الثاني الملك في أشور حتى فتحها في العام الأول من حكمه وقضى على استقلالها وشرد آلافا من أهلها . وبذلك يكون العام (٧٢١ ق.م) هو عام نهاية مملكة إسرائيل . وقد رأينا كيف كانت أحوال مصر من ارتكاس، وفقدان للسيادة المركزية، وتنازع أسرتين على الحكم في آن واحد، وظهور مجموعة من حكام الأقاليم . كل هذه الظروف الداخلية منعت مصر من أن تكون المعين القوي لكل الكيانات السياسية في بلاد الشام، وخاصة دولة إسرائيل .

وقد لاحظنا أن مصر برغم كل الذي كانت تمر به إلا أنها حاولت الوقوف أكثر من مرة مع بلاد الشام لمعرفة حكامها أن سقوطها بيد الآشوريين يعني تعبيد الطريق أمام جيوشهم نحو مصر .

---

١ - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ج٢، ص ٣١٠

٢ - المرجع السابق : ص ٣١٠ – وأنظر الملوك الثاني : ١٧/ ١- ٦

أما عن أحوال الكيانات السياسية الأخرى فلم يكن الحال بأحسن مما هو في مصر، فبابل قد أنهكتها الهجمات الآشورية، ولم تعد قادرة للدفاع عن نفسها، زيادة على بعدها الجغرافي عن مسرح الأحداث – أي فلسطين – وإن حاولت فيما بعد سقوط مملكة إسرائيل والتحالف مع مملكة يهوذا لحين .

أما الآراميون في الشام، فكانت أحوالهم يرثى لها فالهجمات الآشورية مزقتهم كل ممزق، ومع كل ما حاولوا من أحلاف لأمراء المدن الشامية للوقوف في وجه أشور، ومع أنهم نالوا منها في بعض الأحيان، وشكلوا شوكة في خاصرتها إلا أنهم في النهاية لم يفلحوا في حماية بلادهم ومدنهم من الزحف الآشوري . كذلك الفلسطينيون حكام الساحل في أشدود وعسقلان وغزة الذين حاولوا التأرجح بين القوتين العظميين في ذلك الوقت أشور ومصر إلى أن خارت قوى مصر وأسلمت بعضهم بيدها للأشوريين وتركت الباقين ليواجهوا مصيرهم المحتوم .

كذلك الفينيقيون الذين تحالفوا مع الآراميين لفترة من الزمن قبل أن يجتاح الآشوريون بلادهم وعرب الصحراء " بادية الشام " لم يجدوا من يزود عنهم أمام الهجمة الآشورية، وقد ذكر منهم في نصوص أشور " جندب العريبي " وذكرت كذلك إحدى ملكاتهم وتدعى " شمس "وقد هزموا ودفعوا الجزية لآشور، والعمونيين لم يختلف مصيرهم عن مصير جيرانهم . وخلاصة القول أن ضعف مصيرهم كان هو السبب الأهم في هيمنة أشور على المنطقة عامة، ونهاية كيان صغير كدولة إسرائيل الشمالية خاصة .

أحوال مصرقبل واثناء تدمير بابل لمملكة يهوذا :

خلف " تاف نخت " في حكم مصر ابنه "باك ان رنف" وسار على نهج أبيه في التطلع نحو فلسطين ومساعدتها ، وذلك لحماية مصر من الخطر الآشوري ((فأخذ يثير بلاد فلسطين، ووعد الثوار بالمساعدة ولكن جيوش فلسطين المتحالفة هزمت كما هزم

الجيش الذي أرسله "باك ان رنف" عند رفح مما أدى إلى عدم معاودته التدخل في بلاد الشام .))[١]

وبوحي هذه التجربة أيقن " باك ان رنف " أن التيارات الخارجية لن تجري لصالحه، وأن عليه أن يبدأ بتدعيم جبهته الداخلية، وإن ظلت حدود بلده، وعلى الرغم من وهنها، ملجأ للأيذين بها من ولاة الشام، فلجأ إليها في أواخر عهده حاكم أشدود فرارا من الآشوريين .

يورد بيومي مهران عن هذه الحادثة ((أنه في عام (٧١٢ ق.م) أرسل سرجون الثاني جيشه إلى أشدود لقطع الطريق على ملكها الذي راح يحاول التخلص من النير الآشوري فقضى الجيش على الثورة، وعين على أشدود موظف جديد من قبل سرجون، وفر الحاكم الأول إلى " شاباكو " في مصر والذي كان مضطراً أن يسلِّمه إلى الآشوريين حتى يتفرغ لمشاكله الداخلية .))[٢]

الأسرة الخامسة والعشرين " النوبية "

حكمت حكما موازيا للأسرة الرابعة والعشرين ونبدأ بتولي " شاباكا " خليفة بعنخي وابنه أو كما تذكر بعض المصادر أنه أخاه. ((فقد استغل هذا الملك حماسة أتباعه لحكمه الجديد، وقضت جيوشه على استقلال "باك ان رنف " في مصر وأهلكته قتلا أو حرقا، وربما دفن في سقارة .))[٣] ويروي أحمد فخري نقلاً عن مانيتون ((أن باكين رنف لم يمت ميتة طبيعية بل إن " شاباكو " أسره وأمر بإحراقه عقاباً له .))[٤]

وحكم شاباكو نحو ستة عشر عاما، واتخذ من منف عاصمة له وآثر أن يتجنب المشكلات الخارجية، ويتفرغ لمشروعاته الداخلية ((فترك حاكم أشدود الهارب منذ عهد

---

[١] - أحمد فخري : ١٩٩١، ص ٤٣٣
[٢] - محمد بيومي مهران : ١٩٨٨، ج ٣، ص ٦٢٣
[٣] - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ص ٣١٤
[٤] - أحمد فخري : ١٩٩١، ص ٤٣٣

باكين رنف لمصيره أمام سرجون الآشوري، وهادن هذا الأخير وبادله الهدايا .))[١]
وبهذا يكون شاباكو قد حيَّد أشور إلى حين، وقد تلاه على الحكم في عرش نبتا أخوه "شبتكو " الذي ما أن تولى حتى عاد الخطر الآشوري يهدد مصر والشام ولهذا كان على مصر أن تتخلى عن سياسة اللامبالاة الخارجية . فعلى الرغم من متاعبها الداخلية بات لزاما عليها أن تنظر إلى الشام التي يعني سقوطها انهيار آخر خط يحمي أمنها الداخلي أمام الخطر الآشوري .

ولكن ينظم شبتكو الأمور، ويستعد لملاقاة الآشوريين ((استدعى أخوته من نباتا، فأتوا ومعهم قوات لا شك أنها أعطيت أمرا بالتجنيد والقدوم إلى الشمال))[٢].

وبالعودة إلى أشور فنجد أن سرجون الثاني قد مات وخلفه "سنحريب " (٧٠٥ – ٦٨١ ق .م) على عرش أشور ((والذي قرر أن يغزو فلسطين فاجتمعت مدنها في حلف لمقابلة المهاجمين، وأرسلت مصر تؤازرهم ووقفت إلى جانبهم))[٣] فعند موت سرجون الثاني اندلعت في الشام وخاصة فلسطين ثورة ضد الحكم الآشوري، فوجدت مصر فى هذه الثورة الفرصة المناسبة لتساندها علّها تنتصر، فإن لم يحدث ذلك ((تكون تلك الساحة موقعا من مواقع تعويق التوسع الآشوري .))[٤] وتحولت الثورة إلى حلف تكون من ((فينيقيا وفلسطين ومؤاب وأدوم وعمون ويهوذا، مع بعض القبائل البدوية، وفوق الجميع كانت مصر .))[٥] وبهذا تكون أيام السلام المؤقت قد انقضت وحل محلها تجدد العداوة الكامنة بين القوتين الكبيرتين مصر وأشور في عهد سنحريب .

في هذا الحلف السالف الذكر كان العون المصري ملموسا وقوياً ((حيث أرسل "شبتكو " جيشاً إلى الحدود تحت قيادة أخيه " طهرقا " ولكن سنحريب كان يهزأ بمساعدة مصر، حيث حذر رجاله أهل أورشليم أثناء حصارهم لها من الاتكال على عون مصر

---

١ - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ج١، ص ٣١٤
٢ - محمد بيومي مهران : ١٩٨٨، ج ٣، ص ٦٢٤
٣ - أحمد فخري : ١٩٩١، ص ٤٣٦
٤ - عبد العزيز صالح :١٩٩٥، ج٢، ص ٣٨٥
٥ - محمد بيومي مهران : ١٩٨٨، ج٣ ،ص ٦٢٤

.))[1] وفي التوراة الخطاب الموجه إلى حزقيا ((على من اتكلت حتى عصيت عليَّ ؟ هو ذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة . على مصر، التي إذا توكأ أحد عليها دخلت في كفه وثقبتها . وهكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلين عليه .))[2] ولكن أورشليم لم تستسلم وسار سنحريب لمهاجمة جيش مصر وفي ذلك الوقت حدث أمر ما جعل سنحريب يغادر بفلول جيشه عائدا إلى بلاده . وهنا تتضارب الروايات حول هذا الأمر الذي حدث فبينما تقول رواية ((أن السبب هو تفش الطاعون في الجيش الآشوري.))[3]

تأتي الرواية الثانية والمستقاة من النصوص الآشورية فتدعي ((أنه حدث انتصار مؤزَّر على المدينة وحلفائها وأن حزقيا اضطر تحت وطأة الحصار، وعدم توفيق النجدة المصرية، وانفضاض أتباعه من حوله، إلى أداء الجزية مضاعفة إلى نينوى، ومعها وفد من بناته وحظاياه وموسيقيه .))[4]

أما الرواية الثالثة وهي التوراتية فهي تخالف ما تقدم فقد جاء فيها ((أن الجيش الآشوري حلَّ به الموت الإلهي وحام ملك يهوه فوقه ليلا، وفي بكرة الصباح أصبحوا جثثا هامدة، فارتد الملك الآشوري مدحورا بخزي الوجه إلى أرضه بعد أن أصبح جيشه كالعصافة في مهب الريح .))[5] ويخالف هردوت كل ما تقدم من روايات فيرى ((أن إله مصر " يتاح هيفا يستوس " قد أحزبه الأمر فملك مصر الكاهن الصالح قد أعتمد على ربه أكثر من اعتماده على جنوده الذين كان منهم عدد كبير من الصناع والتجار، وفي عشية النصر سرت أسراب هائلة من الجرذان في معسكر الآشوريين فخرقت الجعاب،

---

[1] ـ أحمد فخري : ١٩٩١، ص ٤٣٦
[2] ـ الملوك الثاني : ١٨/ ٢٠ ـ ٢٢
[3] ـ أحمد فخري : ١٩٩١، ص ٤٣٦
[4] ـ عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ج٢، ص ٣١٥
[5] ـ الملوك الثاني : ١٩/ ٨ ــ ٢٠ إشعيا : ١٧ /١٣

وقرضت أوتار القسي وسيور الدروع، فأصبحوا بلا عدة يعتدون بها وتفرقوا مغلوبين على أمرهم من أهون المخلوقات .))[١]

ويرى الباحث أن أقرب الروايات إلى العقل والنطق أن الجرذان قد نشرت وباء الطاعون بين جنود أشور، ولا يتعارض ذلك مع أن قدرة الله هي المسببة لذلك أما باقي الروايات فتبقى معلقة بالهواء .

وتكرر تأييد مصر لحلفائها في الشام خلال عهد طاهرقا، وحتى هذه الفترة من تاريخ مصر كان حكامها يعتقدون أنهم نهضوا بمصر من كبوةٍ طويلة ولكن مصر في شيخوختها الثالثة ما كان لها أن تصمد طويلا في مواجهة الآشوريين الذين لم يبق أمامهم سواها . فقد حاولوا الهجوم على مصر مرتين وفشلوا حتى كان عام (٦٥٩ ق .م) الذي دخلت فيه الجيوش الآشورية مصر وخربت طيبة على الرغم من شدة مقاومة أهلها، وبقي الوضع كذلك حتى عهد "بسماتيك " الذي خلص البلاد من الغزو الآشوري .

تبدلت الأحوال بأشور، وظهر لها خصمين قويين هما بابل و إيلام وقد اتفق كل منهما على ((أن تكون الأملاك الشمالية الشرقية من نصيب ملك ميديا و الأملاك الجنوبية والجنوبية الغربية من نصيب ملك بابل وبذلك تكون أملاك مصر في آسيا من نصيب بابل.))[٢] تنبه المصريون لطموح بابل بعد تحركها نحو الشام وكان على رأس مصر في ذلك الوقت نيكاو الثاني فبادر هو بالخطوة الأولى ((حيث خرج بجيشه إلى فلسطين في عام (٦٠٨ ق.م) فشق الجيش طريقه دون معارضة تذكر، وعندما اعترضه حاكم أورشليم اليهودي يوشيا أنذره بالحسنى ولكنه لم يرعُ ففتك به في مجدو .))[٣]

ثم تابع مسيره في أواسط سوريا وشمالها، وأحرز نجاحا ضد البابليين قرب قرقميش في كيموخو وقوراماتي اللتين ذكرتهما النصوص المصرية عند الفرات [٤] وهنا

---

١ - عبد العزيز صالح : ١٩٩٥، ج٢، ص ٣١٥

٢ - نجيب ميخائيل إبراهيم :١٩٦٥، ص ٣٧٠

٣ - أخبار الأيام الثاني : ٣٥: ٢٠- ٢٥

٤ - أنظر عبد العزيز صالح : ج ٢، ص ٣٢٦ ونجيب ميخائيل إبراهيم : ص ٣٧٠

تذكر بعض الروايات أنه ربما يكون قد عاون بقايا الآشوريين بقيادة أشور أو باللیط . وبهذا استعاد الإشراف المصري على أجزاء واسعة من الهلال الخصيب فيما بين عامي (٦٠٨ – ٦٠٥ ق .م) أما عن معاونته لبقايا الآشوريين فمن الحكمة أن يفعل ذلك، فنهاية أشور في ذهن الحاكم المصري تعني صعود نجم بابل الفتية والتي سوف ترث أملاك أشور وهذا يعني ظهور قوة منافسة لمصر مرة أخرى وهذا ما حدث . وبالعودة إلى نيكاو نجده في طريق عودته ((يعرِّج على أورشليم فيعزل حاكمها ابن القتيل، ويعين بدله أخاه إيليقيم الذي غير اسمه إلى يهوياقيم ليكون تابعه، وألزمه بجزية ضخمة .))[1] ثم تغيرت المقادير وراحت تسلك وجهة أخرى عندما عين الملك " نابو بولاسر " ولده " نبوخذ نصر "قائدا لجيوشه، وكان كفؤاً لمواجهة الموقف من وجهة النظر البابلية . هذا على صعيد بابل أما على صعيد مصر فكان الفرعون نيكاو متجاهلا هذه الحقيقة، وركبه الغرور فالحقيقة أن بابل لم تكن لتترك الشام وشأنها ولا حتى مصر في حين ((ترك نيكاو المبادرة، وتوقف بجيشه طويلا عند نهر الكلب حيث سجل له رجاله أخبار نصره وآيات تمجيده على المرتفعات المطلة على نهر الكلب، فكانت فرصة لولي العهد البابلي دعَّمَ جيشه فيها وتخير موضع معركته فتيسر له النصر عند قرقميش في عام (٦٠٥ ق.م) أو (٦٠٤ ق.م) .))[2] مما اضطر نيكاو التخلي عن شمال بلاد الشام كارهاً، واحتفظ بجنوبها، ولكن لم يطل احتفاظه بها بعد أن خلف نبوخذ نصر أباه وتشجع باستقرار دولته فتابع طريقه إلى فلسطين ((حينئذ أعلن له يهوياقيم ملك أورشليم اليهودي الطاعة وصار عهده ثلاث سنين حسب سفر الملوك، ثم ثار عليه وكون حلفا ضده بتشجيع مصر التي أفسدت هجوما بابلياً على حدودها في عام (٦٠١ ق. م)، فضربه نبوخذ نصر بقواته وبمن خرجوا عن حلفه من أقاليم الشام .))[3] أو كما روت أخبار التوراة ((أرسل ضده جيشاً

---

[1] ـ الملوك الثاني : ٢٣ – ٣٥   أخبار الأيام الثاني ٣٦ : ٣- ٤

[2] ـ عبد العزيز صالح : ص ٢٢٦

[3] ـ عبد العزيز صالح : ص ٢٢٦

مؤلفا من كلدانيين وسوريين ومؤابيين وعمونيين .))[١] وذهذا يدل على تصدع الحلف الشامي المصري، ومالت الكفة لصالح بابل القوية الفتية .

وحسب عبد العزيز صالح ((فقد انتصر الجيش البابلي على ملك أورشليم وقتله خلال الحصار، وسبى معظم قومه ومعهم ولده يهوياكين في عام (٥٩٧ق.م) وعين نبوخذ نصر "صدقيا " ملكاً جديداً على مملكة يهوذا .))[٢] وصدقيا هذا له قصته مع نبوخذ نصر عند الحديث عن تدمير مملكة يهوذا .

وبهذه الأحداث الموجعة لمصر، تجمدت السياسة الحربية الشمالية لمصر في بقية عهد نيكاو. ويعزز هذا القول ما رواه هيردوت ((من أن معاهدة صلح عقدت بين مصر وبابل وأن نيكاو زوج أخته أو ابنته من نبوخذ نصر فصارت ملكة على بابل))[٣]. وهذه الرواية لم يتم تأكيدها من قبل معظم المؤرخين . وبقيت سياسة مصر السلمية تجاه بابل والشام حتى بعد تولي سدة الحكم فيها بسماتيك الثاني عام (٥٩٥ ق.م)، ولكن بالرغم من هذه السياسة كانت مصر تستقبل اللائذين بها من أهل الشام ((ومن اليهود الفارين من وجه البابليين . وما فتأت هذه الجموع أن انشكلت جاليات خاصة بها، وكانت الفنتين من أشهر الجهات التي استقر اليهود بها .))[٤] وبقي الوضع في مصر على حالة إلى حين ولى "واح ايب رع " العرش عقب وفاة بسمايتك عام (٥٨٩ ق.م) كانت الظروف الدولية في آسيا الغربية مواتيه ((لإظهار كفاءته الحربية وليحاول تحقيق أطماعه فنبوخذ نصر كان مشغولاً بأطماع ميديا في آسيا الصغرى وفينيقيا كانت قلقه، وكان الحكم الكلداني نيراً ثقيلاً على الأعناق وكانت صيدا وصور في الشمال قد استطاعتا الفكاك منه، وكانت مؤاب وآدوم ترفضان دفع الجزية أما اليهودية فكانت ثائرة))[٥].

---

[١] ـ الملوك الثاني : ٢٤/ ١ـ ٤

[٢] ـ عبد العزيز صالح :ص ٢٢٦

[٣] ـ عبد العزيز صالح : ص ٣٢٦ نقلا عن هيردوت : ص ١٨٤ ـ ١٨٦

[٤] ـ نجيب ميخائيل إبراهيم : ص ٣٧٣

[٥] ـ نجيب ميخائيل إبراهيم : ص ٣٧٣

ويرى عبد العزيز صالح أن الذي دفع مصر في عهد " واح إبراع " إلى تغيير سياستها تجاه بابل والشام أمران هما: ((رغبة مصر في الاستفادة من إمكانيات قوتها البحرية النامية في مراقبة موانئ الشام لتعطيل مصالح البابليين فيها وحتى لا تستغل ضدها .والسبب الثاني : عودة البابليين للتوسع في فلسطين وحصارهم ثورة أورشليم عام (٥٨٨ ق.م) .)) [١]. و قادت هذه الأسباب إلى الصدام بين الطرفين من جديد حيث تدخلت مصر لنجدة أورشليم لما لفلسطين من أهمية استراتيجية من وجهة نظر السياسة المصرية.

أما عن شعب مملكة يهوذا فقد انقسم إلى قسمين: القسم الأول يتزعمه ((الملك صدقيا وحمد لمصر معاونتها، وتكلم باسمه النبي حنينا فدعا إلى كسر النير البابلي باسم الرب .))[٢] ويفهم من موقف هذا الفريق أنه كان مؤيدا لمصر ولموقفها الداعم لهم ضد بابل أما الفريق الآخر وحسب التوراة فقد ((تزعمه النبي إرميا وأخذ يتنبأ بأن ملك مصر سوف يعود إلى بلده، وأن البابليون سوف يستولون على أورشليم ويحرقونها، وأنه يجب وضع أعناق الأمة تحت نير ملك بابل بأمر الرب أيضاً .))[٣] وقد تحقق كل الذي تنبأ به إرميا من أحداث .((فدمر البابليون أورشليم في عام (٥٨٦ ق. م) وأسروا صدقيا صديق مصر وعينوا جداليا مكانه وحسب عبد العزيز صالح أنهم ربما أسروا إرميا أيضاً ثم أطلقوا سراحه لما سمعوه من دعايته السابقة))[٤]. ولاذ إرميا كغيره من اليهود بمصر، ولكنه لم يحمد لها صنيعها، ولم يشكر لملكها أن قبل بعض اليهود مرتزقة في جيشه، وإنما واصل دعواه قائلاً : ((هكذا قال الرب، لسوف أوقع الفرعون المصري بين يدي أعدائه الذين يطلبون حياته .))[٥] وبالعودة إلى السجال المصري البابلي ((نجد أن مصر قد ساعدت صور أثناء صمودها لحصار البابليين ثلاثة عشر عاماً.))[٦] وهذا الذي دفع

---

[١] - عبد العزيز صالح : ص ٣٢٨
[٢] - عبد العزيز صالح : ص ٢٢٨ نقلاً عن هيردوت : ج١١، ص ١٦١
[٣] -إرميا : ٢٨/ ١٤
[٤] - عبد العزيز صالح : ص ٣٢٩
[٥] - الملوك الثاني : ٢٥/ ٢٥- ٢٦ ، إرميا : ٤٤/ ٣
[٦] - عبد العزيز صالح :ص ٣٢٩

نبوخذ نصر إلى الإنتقام من مصر فأرسل حملة إلى حدودها الشمالية الشرقية في عام (٥٦٨ أو ٥٦٧ ق.م) وهناك شك بحدوث هذه الحملة أصلا من قبل المؤرخين في تلك الفترة فمصر مرت بأحداث داخلية وفتن واضطرابات فمن ناحية وجدت نفسها طرفا في الصراع الذي نشب على حدودها الغربية بين القبائل الليبية الممتدة حتى تونس الحالية، وبين جماعات من الدوريين مما اضطر الليبيون طلب العون من مصر ولم تجد بداً من الاستجابة، فالخطر الدوري لن يقف عند ليبيا فقط إن هي سقطت في يده بل سوف يغريه الانتصار بالزحف نحو أرض مصر . ولكن الجيش المصري وقع في كمين وهلك معظمه وبعودة من نجا من الهلاك اشتعلت ثورة ضد الملك، ودب في البلاد صراع عنيف نتج عنه ((أن الملك " واح أب دع" قد اختفى بعد ستة أشهر وهجرته القلة التي كانت متصلة به ثم عثر عليه فيما بعد وذبح ... والغريب هنا أن "عحموزة" خليفته قد أمر بدفنه دفنة رسمية تليق بمقامه الضريح الذي كان ابتناه لنفسه في سايس))[١]. هذه الاضطرابات والحرب الأهلية في مصر أغرت نبوخذ نصر بمصر فانتهز الفرصة وهددت جيوشه الحدود المصرية ثم ارتد عنها ربما بشيء من الهدايا والمصالحة على عدم الاعتداء.

تولى الفرعون "عحموس " الحكم في مصر وكان عليه أن يرقب بإحدى عينيه بابل المتحفزة في الخارج وأن يرقب بالعين الأخرى بلاطه الذي يطغى عليه التحاسد في الداخل . فما كان منه إلا أن وطد الأمور بالداخل، وهمش دور الجند المرتزقة من اليونان، واستقر له الأمر حتى جاءت الأنباء ((بأن جيشا يجتمع في بابل متهيئا لغزو مصر. ودهشت مصرفهي لم تكن بينها وبين بابل عداء بل كانت تضمر لها ولصاحبها نبوخذ نصر ودا ولحسن الحظ قدرت بابل إمكان مقاومة صور فتأخر التفكير في غزو مصر وسواء سارت هذه الحملة نحو مصر أم جمدت واقتصرت على صور فإنها حققت هدفها السياسي بأن جعلت ملك مصر "عحموزه" يفكر في عدم التدخل في استعمار سورية وفلسطين .))[٢] وبالعودة لبابل فقد حلّت بها المتاعب بموت نبوخذ نصر ((فأختصم

١ - نجيب ميخائيل إبراهيم : ص ٣٧٨
٢ - نجيب ميخائيل إبراهيم : ص ٣٨٠

أخلافه على العرش، ووصل إليه دخيل هو " نابو نيد " ولم تكن بابل تعرفه إذ كان يستقر في " تيماء " شمال بلاد العرب ثم انتقل السلطان إلى أحد أبنائه وبدأت الإمبراطورية تتداعى فانفصلت قبرص وانضمت لمصر ثم تحرك الفرس تحت قيادة قورش وقضوا عليها .))[١]

بهذا نكون قد استعرضنا أهم مفاصل موقف مصر من التحرك البابلي نحو الشام، ومن مؤازرة لليهود في فلسطين من أجل موقعها وليس من أجلهم وكذلك محاولات مصر حماية مجالها الحيوي في الشام وحدودها الغربية الشرقية من الخطر البابلي .

وخلاصة القول أن مصر لم يكن بمقدورها رد الخطر البابلي الداهم لمملكة يهوذا، وقد تم إيضاح وسرد معظم الأسباب الداخلية والخارجية التي حالت دون ذلك.

خلاصة علاقة المملكتين بمصر :

العلاقة بين " بني إسرائيل " ومصر قديمة ترجع إلى قدوم سيدنا إبراهيم – عليه السلام – إليها في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ثم سيدنا يوسف – عليه السلام – في القرن السادس عشر الذي تولى أمر خزائن مصر ثم قدوم سيدنا يعقوب " إسرائيل " وبنيه وإقامتهم وتكاثرهم في مصر حتى ظهور نبي الله موسى في القرن الثالث عشر وسجاله مع الفرعون . ونعلم كيف خرج موسى ببني إسرائيل من مصر ومنذ ذلك الخروج تدهورت أحوال مصر السياسية والاقتصادية وأصيبت بضعف شديد أفقدها الاهتمام بدول الجوار خاصة جنوب الشام . ثم تجددت العلاقة بين مصر وفلسطين على أيام سليمان وكانت علاقة ود ومصالح حيث تزوج سليمان ابنة ملك مصر الذي حكم قبل شيشنق الليبي وعلى الأرجح هو " يسوسنيى " الثاني (٩٦٥- ٩٥٠ ق.م) وفي أواخر عهد سليمان خرجت عليه معارضة من بين الاسباط ، وعندما شدد سليمان عليها الخناق فرت

---

١ - نجيب ميخائيل إبراهيم : ص٣٨٠

إلى مصر فوجدت المأوى والملاذ والنصرة حتى وفاته (٩٢٣ق .م) ثم غابت بقيادة يربعام بن نباط والذي كان أول ملوك دولة إسرائيل . [١]

ويبدو أن فرار المعارضة إلى مصر كانت بعد يسوسنيى صهر سليمان وتولى شيشنق الحكم إذ يستبعد أن يحتضن صهر سليمان ومعارضين له .

وبالحديث عن علاقة مصر بالمملكتين تبدأ بالهجوم المصري على مملكة يهوذا .تورد التوراة ((أن شيشنق زحف على دولة يهوذا في السنة الخامسة لحكم رحبعام بن سليمان واستولى على مدن عديدة من يهوذا، ودخل أورشليم وأخذ جميع ما وجده في خزائن الملك والمعبد من ذخائر وفضة وذهب .))[٢]

ويورد سفر أخبار الأيام الثاني ((أنه في السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشنق ملك مصر على أورشليم لأنهم خانوا الرب ... وجاء معه من مصر لوبيين وسكيين وكوشيين.[*]))[٣]

ومع أن التوراة لا تذكر أن شيشنق مكث في فلسطين أو فرض حكمه على مملكة يهوذا بالمقابل . يذكر أحمد كمال في العقد الثمين ((أن شيشنق ترك نقشاً على السور القبلي من هيكل الكرنك صور نفسه فيه متوجاً بتاج الصعيد والبحيرة وبيده اليمنى سيف يقتل به جمعاً غفيرا من أعدائه الخاضعين أمامه وأنه سجل أسماء المدن التي فتحها مكتوبة في ست وتسعين "خانة " وعلى كل منها صور الأعداء مرسومة لبيان أهل كل بلد . وبين صور الأسرى صورة ملك فلسطين موثق اليدين، ومن بين المدن التي شملها النقش

---

[١] ـ صابر عبدالرحمن طعيمة : (اليهود بين الدين والتاريخ)، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ، ص ٢٥٤

[٢] ـ الملوك الأول : ١٤/ ٢٥ـ ٢٦

[*] ـ العبارة تضمنت ثلاثة أسماء لوبيين وسكيين وكوشيين وهي لشعوب ليست مصرية وعلى الغالب هي أحلاف لشيشنق ملك مصر فهو في الأصل من اللوبو وللعلم أن مصر في ذلك الوقت كانت تحت حكم اللوبو وشيشنق هذا زعيمهم الذي استطاع الجلوس على سدة الحكم في مصر وعلى الأرجح أن هذه الأحلاف من شعوب البحر ماعدا الكوشيين فهم أفارقة من جنوب مصر وشمال السودان .

[٣] ـ أخبار الأيام :١٢/ ٢ـ ٤

مجدو ورحوب وحفرايم وبيت شين وأيالونا وجيبون وسكو وبيت آنون وشرمان .))[١] وهذه مدن فلسطينية ولا شك، والبعض منها كان يخضع لحدود مملكة يهوذا الجغرافية، والبعض الآخر يخضع لحدود مملكة إسرائيل الجغرافية، ومنها ما يخضع للفلسطينيين على الساحل .والجدير ذكره أن بعض هذه المدن مازال يحمل نفس الاسم حتى يومنا هذا.

يؤكد الباحث على كلام أحمد كمال بقوله : ما الذي يجعل شيشنق يرجع عن دولة يهوذا بعد احتلالها بالكامل وتخريب عاصمتها لو لم تصبح ولاية تابعة له وتدين له بالولاء الكامل، ويبقى هذا هو عيب تلك الفترة من تاريخ بني إسرائيل التي لا يوجد لها مرجع هام سوى التوراة والتي تنظر إلى تاريخ اليهود بعينها هي وخاصة إذا ما كان كتَّاب أسفارها معظمهم من الموالين لمملكة يهوذا .

أما دولة إسرائيل فتعتبر حليفة لشيشنق قبل هذا الهجوم بحكم التحالف القديم منذ كان يربعام معارضا فاراً في مصر . يقول أحمد فخري :

((ليس هناك شك في أن نجاح يربعام كان بسبب تأييد مصر ومناصرتها له، ولهذا نعجب إذا ظل يربعام موالياً لها، ولا نعجب أيضاً إذا كان رحبعام بن يعتقد أن مصائبه كلها أتت من هذا التأييد))[٢]

ويرى الباحث في ضوء هذه الصحوة المصرية أيام شيشنق استطاعت أن توطد مركزها في الجناح الغربي لآسيا، ولو بصورة جزئية رد لها بعض الهيبة التي كانت قد زالت بعد الغزو الدوري (*) لمنطقة غرب آسيا .

ولكن هذه الصحوة لم تدم بعد شيشنق ((حيث ضعفت مصر وخفت هيمنتها ثم زالت عن دولتي إسرائيل ويهوذا .))[٣] وبقيت مصر دون تأثير في بلاد الشام منذ أوائل

---

[١] - أحمد كمال : (العقد الثمين)، ص ١٥٤- ١٥٩، وأنظر برستد : (تاريخ مصر من أقدم العصور)، ص ٣٥٧- ٣٦٢، وأنظر إلى أحمد فخري : (مصر الفرعونية) ١٩٩١، ص ٤٢٠

[٢] - أحمد فخري : ١٩٩١، ص٤٢٠

* - الغزو الدوري تمثل في جماعات من الشعوب الهندو أوروبية إجتاحت المنطقة في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد فاحتلت بلاد الشام وراحت مصر تعاني مشكلاتها الداخلية ويعتبر اللوبو من الدوريين أي من شعوب البحر وقد استقر جزء منهم في ليبيا وتحالفوا مع الليبيين .

[٣] - أحمد كمال : ص١٥٩

القرن التاسع إلى أواخر القرن الثامن أي حتى بزوغ طلائع الأسرة الخامسة والعشرين المصرية " الكوشية " والتي حكمت بين عامي (٧١٢ إلى ٦٦٣ ق.م) وهنا عادت مصر تتطلع إلى الارث المفقود في بلاد الشام .

وفي الوقت الذي تطلعت مصر لبلاد الشام كانت أشور في بلاد الرافدين قد استكملت استعدادها وراحت تجهز جيوشها للانقضاض على بلاد الشام .

وبحدوث النزال بين الطرفين كان النصر حليف الأشورين . ورد في التوراة ((صعد شلمناسر ملك أشور فصار له هوشع عبدا ودفع له جزية ووجد ملك أشور في هوشع خيانة لأنه أرسل رسلاً إلى " سوا " ملك مصر ولم يؤدي الجزية إلى ملك أشور حسب كل سنة .))[١] ومن الطبيعي أن يفعل ملك إسرائيل ذلك كدولة صغيرة تقع بين قوتين إذا جارت عليه احداهما لجأ إلى الأخرى .

وهنا يميل الباحث إلى ما أورده أحمد كمال حول هذا الأمر وهو ((أن ملوك فينيقية وفلسطين وبني إسرائيل أرسلوا إلى ملك مصر " شباقون أو شباقا " يعرضون عليه التحالف ضد ملك أشور شلمناصر وأنه وافق على ذلك وهذا ما دفع شباقا إلى نقش اسمه على جدران الكرنك وأنه أخذ الجزية من بلاد الشام كمشاهير ملوك مصر .))[٢] ويخلص أحمد كمال إلى القول أنه لا يدري إن كان ما نقش على جدران الكرنك حقيقة أم خيال .

ومن الملاحظ أن هذه الصلات إن تمت حقيقة، فهي صلات ضعيفة، ولا ترقى إلى حجم التحالف العسكري لأنها لم تفعل شيئا لإسرائيل بل زادة من غضب ملك أشور على هوشع ملك إسرائيل، وهي كذلك صلات كانت بعد طول انقطاع .

وتخبرنا التوراة أن ملك مصر " نكواونحو " (٦٠٣ ق.م) صعد زمن يوشيا ملك يهوذا فتقول : ((صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك أشور إلى نهر الفرات فصعد

---

١ ـ الملوك الثاني : ١٧/ ٣ـ ٤

٢ ـ أحمد كمال : ص ١٧٦ ــ ١٧٨

يوشيا ملك يهوذا للقائه فقتله في مجدو حين رآه..... فأخذ شعب الأرض يهواحاز بن يوشيا ومسحوه (*) وملكوه عوضاً عن أبيه .))[1] ولكن ملك مصر نخو لم يكن راضيا عن ملك يهوذا الجديد ،((فأسره في ربلة ... لئلا يملك في أورشليم وملَّك ... أخاه الياقيم بن يوشيا وأخذ يهواحاز، وجاء إلى مصر فمات هناك .))[2]

ونخو هذا الذي ذكرته التوراة يكون ثاني ملوك الأسرة السادسة والعشرين المصرية (٦٦٣- ٥٢٥ ق.م) ((والتي استطاع ملكها الأول بسمتيك طرد الأشوريين من مصر، وعليه قام نخو بحملة على قرقميش حتى الفرات، وعاد إلى مصر منتصرا .))[3] وبذلك يكون ملك مصر نخو أنتهز فرصة تدهور الوضع في أشور فزحف بجيشه نحو آسيا سنة (٦٠٣ق.م) فتصدا له يوشيا ملك يهوذا فمات بسهم مصري وبسط نخو سلطانه على فلسطين، واستمر في طريقه نحو الشام فأحتل كمرش ثم قرقميش وواصل سيره إلى الفرات، فبلغه أن اليهود يحاولون العصيان بعد تنصيبهم يواحاز ملكاً فعزله وولى أخاه اليقيم مكانه، وعاد نخو إلى مصر وقد دانت له فلسطين وبلاد الشام حتى الفرات وبعد ذلك بقليل لفظت أشور أنفاسها الأخيرة وقامت مكانها بابل .

وبقيام بابل حاول ملكها " نابوا بلاسر " (٦٢٦- ٦٠٤ق.م) إرسال ابنه " نبوخذ نصر " لتوطيد سلطانه على بلاد الشام وانتزعها من أيدي المصريين، فسارع نخو إلى لقاءه عند الفرات فدارت الدائرة عليه، ومني بهزيمة نكراء .وبعد قليل من هذا الحدث توفي الملك نابو بلاسر (٦٠٤ق.م) وعاد ابنه نبوخذ نصر إلى بلاده ليتولى مقاليد الحكم في نفس العام، فكانت فرصة لنخو ملك مصر الذي جدد أسطوله وجيشه، وأخذ يحرض ملوك الشام، وفلسطين والأردن على العصيان . وكان أول الذين سمعوا وأطاعوا لملك مصر يهوياقيم ملك يهوذا، فما كان من ملك بابل نبوخذ نصر ((إلا أن زحف على فلسطين وقهر ملك يهوذا، وضرب عليه الجزية، وعاد نخو ملك مصر فحرضه على

---

* ـ المسح هو تقليد عند بني إسرائيل يتم بقرن الدهن ويتم للأنبياء والملوك

[1] ـ الملوك الثاني : ٢٣/ ٢٩- ٣٠

[2] ـ الملوك الثاني : ٢٣/ ٣٣- ٣٤- ٣٥

[3] ـ أنظر أحمد كمال : ص٤٤١ إلى ٤٤٩، ص ١٧٨

العصيان، ووعده بالمساعدة، فأعلن العصيان ثانية على بابل، فزحف عليه نبوخذ نصر وعزله وأقام غيره ملكاً، ولم يفِ نخو ملك مصر بوعده .))[١] وبهذا تكون مصر لا هي تركت دولة يهوذا وشأنها مع ملوك بابل، ولا هي حمتها عند الخطر .بل يمكن القول أن مصر كانت سبباً في دمارها .

ويذكر أن صدقيا ملك يهوذا الذي أقامه نبوخذ نصر مكان يهوياقين استنجد بالملك "وح أب دع "وهو من ملوك الأسرة السادسة والعشرين (٥٨٨ –٥٦٨ ق.م) ضد ملك بابل وعقد معه حلفا، وتبعه في الحلف ملوك فينيقية . فزحف نبوخذ نصر للمرة الثانية ونسف دولة يهوذا ثم زحف على مصر فاعتقل الملك " وح أب دع " وقتله .))[٢] ويتطابق في هذا برستد مع أحمد كمال [٣] . إلا أن أحمد فخري يخالفهم في مصير الملك " وح أب دع " حيث يرجع مقتله إلى حرب بينه وبين أحمس الذي كان يشاركه الحكم في مصر .)) [٤] وبهذا نأتي إلى نهاية الحديث عن علاقة مملكتي بني إسرائيل بمصر .

---

[١] - عبد العزيز صالح : ٦٢٧
[٢] - برستد : ص ٣٨٢
[٣] - احمد كمال : ص ١٧٨ - برستد : ص ٣٨٢
[٤] - أحمد فخري : ص ٤٥٢

الفصل السابع: السبي البابلي والعودة

المبحث الأول : أسباب السبي .

- الوثنية و الفساد
- التزاوج من الشعوب الاخرى

المبحث الثاني : نظرة القرآن الكريم للتوراة الحالية .

المبحث الثالث : السبي الأول (٧٢١ ق.م) ونهاية مملكة إسرائيل .

المبحث الرابع : السبي الثاني (٥٨٧ ق.م) ونهاية مملكة يهوذا .

- ظروف حياة اليهود اثناء السبي

المبحث الخامس : علاقة اليهود بالفرس أثناء السبي .

- **ظهور الفرس**

المبحث السادس : علاقة اليهود بالفرس و العودة.

- العودة الاولى زمن قورش
- العودة الثانية زمن ارتحشيستا

تمهيد :

تعرض اليهود للتهجير من أرض فلسطين مرات عديدة، وذلك بسبب ما كانوا يثيرونه من اضطرابات وصراعات في لأرض فلسطين وجوارها، وكان آخر تشتيت لهم قد تم على أيدي الرومان في عام (٧٠ م) .

أما أخطر إبعاد لهم من أرض فلسطين، الذي تم على أيدي البابليين وعرف باسم السبي البابلي والسبي البابلي كان أخطر مرحلة في التاريخ اليهودي لأنه شكل مرحلة فاصلة بين مرحلتين في ذلك التاريخ خاصة في ناحية العقيدة، فالديانة اليهودية قبل السبي شيء مختلف ومغاير عنه بعد السبي . فخلال السبي صيغت ودونت كل ملامح تاريخهم الذي تلا السبي وحتى يومنا هذا .

وكذلك إله اليهود قبل السبي " الهيم " المسالم الذي لا يعرف العنصرية بخلاف إلههم بعد السبي " يهوه " إله الشر الباطش المتعطش للدماء . لذا بعد السبي اختلف الوضع من حيث الديانة والنظرة إلى الشعوب الأخرى .

والدارس لأسفار عزرا ونحميا ومن قبلهم سفر حزقيال يجد أن هؤلاء هم واضعي أساس الدين اليهودي الجديد أثناء السبي البابلي، وهذا يدخلنا مباشراً إلى الأسباب التي ترتب عليها السبي البابلي .

أسباب السبي البابلي :

بعد الانشقاق بين المملكتين نشب صراع حتى الأسر الآشوري ثم البابلي، وفي حياة المملكتين توالت عليها سلسلة من الملوك هي بين مؤيد ليهوه أو مؤيد لآلهة شعوب المنطقة إلى أن يأتي السبي فيبدأ الحديث عن أسباب السبي وما يرافق ذلك من هجوم على المعاصي والشرور التي ارتكبها أبناء يهوه .

ويعلل كتبة التوراة أسباب السبي بالابتعاد عن يهوه، وارتكاب الرذائل، والتزاوج من الأجنبيات بنات الأرض الوثنيات، والاندماج والانصهار في الشعوب الأخرى . فالسبي في نظرهم عقاب لشعب يهوه حتى يطهرهم من آثامهم، ويغفر لهم، ويعفو عنهم ومع العقاب يندم يهوه كعادته ، بالتالي ينتقم من الذين آذوا أبناءه علماً بأنه هو الذي أرسلهم كأداة للعقاب وهذا حسب التوراة .

وهنا تكون المعادلة الصعبة ! فيهوه يسخِّر الآشوريين لمعاقبة شعبه . ثم يندم ويعفو عن شعبه . فيرسل البابليين لمعاقبة الآشوريين الذين أرسلهم لمعاقبة شعبه . فيقضى البابليون على الآشوريين ثم يندم لأن البابليين اعتدوا على شعبه فيرسل الفرس للقضاء على البابليين . وتنتهي المعادلة هنا، لأن الفرس سمحوا لشعبه بالعودة إلى أورشليم .

ولكي نوضح الأمر أكثر جاء في سفر إرميا ((إسرائيل غنم مشتته قد طردته الأسود أولها ملك أشور أفترسه وآخرها نبوخذ نصر ملك بابل هشم عظامه لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل : ها أنذا، أعاقب ملك بابل وأرضُّه كما عاقبت ملك أشور .))[١] وفي الجملة من نفس الإصحاح ((جازوها – لبابل – بحسب أفعالها وكجميع ما عملت أعملوا بها فإنها عتت على الرب على قدوس إسرائيل))[٢] وقد دعا إرميا اليهود إلى الاستسلام لآسرهم نبوخذ نصر : ((أدخلوا أعناقكم تحت ملك بابل واخدموه وشعبه .))[٣] و ((واطلبوا سلام المدينة التي سبيتم إليها وصلوا لأجلها، إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام .))[٤] ويبرر إرميا خنوعه بوجود هدف عند الرب ((قد نصبت شركاً فعلقت يا بابل وأنت لم تعرفي .))[٥]

---

١ - أرميا : ٥٠/ ١٧- ١٨
٢ - أرميا : ٥٠/ ٢٩
٣ - أرميا : ٢٧/ ١٢
٤ - أرميا : ٢٩/ ٧
٥ - أرميا : ٥٠/ ٢٤

فهو فخ رباني للانتقام من بابل التي أسرت شعبه ((كما أسقطت بابل قتلى إسرائيل كذلك يسقط قتلى بابل في كل الأرض .))[١]

فالعقلية التوراتية هنا تسقط كل شيء على إلهها سواء أكان إيجابيا أم سلبيا إلا أن معادلة الأسفار المتناقضة لا يستوعبها العاقل !!

ومن أسباب السبي :

أولا : الوثنية والفساد :

الكثير من الجمل التوراتية تتحدث عن تخلي اليهود عن يهوه وعبادة آلهة الشعوب الأخرى وهذا الأمر يربطه كتبة التوراة بالفساد والفسق والفجور .((الثور يعرف قانيه، والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم .))[٢] ((الكهنة لم يقولوا أين الرب، ودارسو الشريعة لم يعرفوني، والرعاة عصوني، والأنبياء تنبأوا بالبعل، وذهبوا وراء ما لا فائدة فيه .))[٣] ((أنهم قد ولّوني أقفيتهم لا وجوههم وفي وقت ضرهم يقولون قم وخلصنا .))[٤] ((لأن شعبي أحمق . أيّاي لم يعرفوا . هم بنون جاهلون . وهم لا فهم لهم . هم حكماء للشر ولا دراية لهم للخير .))[٥] ((الأنبياء يتنبأون بالكذب، والكهنة تحكم على أيديهم، وشعبي هكذا أحب ...))[٦] ((لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا .))[٧]

---

١ - أرميا : ٥١/ ٤٩
٢ - اشعيا : ١ / ٣
٣ - أرميا : ٢ / ٨
٤ - أرميا : ٢/ ٢٧
٥ - أرميا : ٤ / ٢٢
٦ - أرميا : ٥ / ٣١
٧ - أرميا : ١١ / ١٣

((أنبياؤك يا إسرائيل صاروا كالثعالب في الخرب .))[١] ((لا إلى شعوب كثيرة غامضة اللغة وثقيلة اللسان لست تفهم كلامهم، فلو أرسلتك إلى هؤلاء لسمعوا لك . لكن بيت إسرائيل لا يشاء أن يسمع لك . لأنهم لا يشاؤون أن يسمعوا لي . لأن كل بيت إسرائيل صلاب الجباه، قساة القلب .))[٢] ((منذ أيام آبائِنا نحن في إثم عظيم إلى هذا اليوم ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأرض، للسيف والسبي والنهب وخزي الوجوه كما في هذا اليوم .))[٣] ((وقال لي يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت عليّ هم وآباؤهم عصوني إلى هذا اليوم ذاته.))[٤] ((أيديكم ملآنة دماً ... كفوا عن الشر ... تعلموا فعل الخير .))[٥] ((فأتيتم ونجستم أرضي وجعلتم ميراثي رجساً .))[٦] ((خزي بيت إسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وأنبياؤهم .))[٧] ((ويل لمن يبني مدينة بالدماء ويؤسس قرية بالإثم.))[٨] ولكن أين الصدق هنا في قول حبقوق . أو ليست الأسفار كلها مجازر دموية وبأمر من الجزَّار يهوه ذلك الرب الذي صنعه كتبة الأسفار . ونجد حبقوق هذا عندما يحتج على تلكؤ يهوه في الاستجابة لدعائه يصرخ : ((حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع وأصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلّص .)) [٩] ويواصل احتجاجه

---

١ - حزقيال : ١٣/ ٤
٢ - حزقيال : ٣ /٦- ٧
٣ - عزرا : ٩ / ٧
٤ - حزقيال : ٢/ ٣
٥ - أشعيا : ١/ ١٥ – ١٦- ١٧
٦ - أرميا : ٢/ ٧
٧ - أرميا ٢ / ٢٦
٨ - حبقوق : ٢ / ١٢
٩ - حبقوق : ١/ ٢

((فلم تنظر إلى الناهبين، وتصمت حين يبلغ الشرِّير من هو أبّر منه .))[1] وهنا تأتي الإجابة على لسان يهوه ((لأنك سلبت أمماً كثيرة . فبقية الشعوب كلها تسلبك لدماء الناس، وظلم الأرض والمدينة وجميع الساكنين فيها .))[2] فهل يهوه يدين شعبه على ما اقترفه من جرائم وسفالات وانحطاط ؟!أوليس يهوه هو نفسه الذي كان يدعو إلى القتل والتدمير والحرق والاعتداء على الآخرين وسلبهم حقوقهم ؟ وهل سلب الشعوب الأخرى لشعب يهوه الملوث بالدم هو انتقام منه ؟

هذا كلام معلق في الهواء وليس له سند منطقي فهو لا يعدو كونه تبرير للسبي . وليس الظلم والسلب هنا، والمقصود منه شعب كنعان أو غيره . إنما المقصود ظلم اليهودي لليهود .و بالتالي الخلاص هو الخلاص لهم وحدهم فقط كما يدل عليه سياق النص والأسفار كلها . والاحتجاج نفسه نجده عند إرميا المعاصر لحبقوق .((التحفت بالغضب وطردتنا، وقتلت ولم تشفق .))[3] وعند إرميا نجد العلاقة بين يهوه وشعبه علاقة زواج وانتهى إلى الطلاق ((زنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها . لم تخف الخائنة يهوذا أختها، بل مضت وزنت هي أيضاً .)) [4] ولأن لأورشليم مكانة خاصة فقد تناولتها الكتبة بصفة أكثر حدة وعنفاً . فهي عرش الرب يهوه : ((أورشليم كرسي الرب.))[5] وعلى لسان الرب كما ورد في سفر زكريا ((وأسكن في وسط أورشليم))[6] وفي يوئيل .((فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الساكن في صهيون [*] جبل

---

١ - حبقوق : ١/ ١٣
٢ - حبقوق : ٢ /٨
٣ - مراثي أرميا : ٣ / ٤٣
٤ - أرميا : ٣/ ٨
٥ - أرميا : ٣ /١٧
٦ - زكريا: ٨ / ٣
* - جبل في مدينة القدس يدعى جبل صهيون

قدسي وتكون أورشليم قدساً ولا يجتاز فيها الأجانب من بعد .))[١] وحسب التوراة فيهوه منح أورشليم الرفعة والعظمة والجمال والقدسية ولذا تزوجها، ولكنها خانته مع غيره . يقول سفر حزقيال : ((وفرجت رجليك لكل عابر .))[٢] يقصد أورشليم ((وسلمتك إلى نفوس مبغضاتك بنات فلسطين اللواتي خجلن من طريقك الفاجر .))[٣]

وهذا القول على لسان الرب وأيضاً ((أن سدّوم [*] أختك لم تفعل هي وبناتها كما فعلت أنتِ وبناتك .))[٤] وكون أورشليم زوجة خائنة لذا أرسل زوجها يهوه من ينهبها ويجردها من ثيابها ((ويغادرونك عريانة متجردة . ويجلبون عليك الجمع، ويرجمونك بالحجارة، ويقطعونك بسيوفهم، ويحرقون بيوتك بالنار ...))[٥] ولمن أراد المزيد من هذا الكلام الفاحش في وصف أورشليم فليرجع إلى سفر حزقيال الإصحاح الثالث والعشرين .

وعلى الرغم من تلك الصورة القبيحة برمزيتها وبلغتها المبتذلة . إلا أنها تعطي فكرة واضحة عن مدى الانحطاط والفساد الديني والأخلاقي الذي وصل إليه شعب يهوه ذلك الشعب صاحب النقاء والطهر والقداسة حسب أسفار فترة السبي وما بعدها.

---

[١] - يوئيل : ٣/ ٧
[٢] - حزقيال : ١٦ / ٢٥
[٣] - حزقيال : ١٦ /٢٧
[*] - سدوم مدينة في فلسطين ومن المرجح لدى المؤرخين أنها قرية النبي لوط عليه السلام .
[٤] - حزقيال : ١٦ / ٤٨
[٥] - حزقيال : ١٦ / ٣٩ - ٤١

ثانيا : التزاوج من الشعوب الأخرى

حسب ما جاء في التوراة أن الاندماج والتداخل الاجتماعي والتزاوج من الشعوب الأخرى هو سبب من أسباب السبي وحسب وجة نظر كتبة الأسفار فالاندماج يكون من خلال الاحتكاك والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وهذا الاحتكاك سيؤدي إلى ذوبان الحواجز والعوائق أمام المصاهرات . وقد أدرك الكتبة ذلك ومن ثم ربطوا بين الاندماج والوثنية والفساد ، وفظعوا الأمر وشنعوه، لأن ذلك يؤدي إلى ضياع المشروع الاحلالى الاستيطاني وهو العودة إلى أرض كنعان وقتل وطرد الشعوب القاطنة بها والاندماج يفسد هذا المشروع برمته . لذا عدّوا التزاوج من الآخرين غير اليهود جريمة كبرى لا تقل عن جريمة التخلي عن يهوه .

جاء في السفر ((أقبل الرؤساء إليّ يقولون إن شعب إسرائيل والكنهة واللاويين لم ينفصلوا عن شعوب الأرض ورجاساتهم من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والأموريين . لأنهم اتخذوا من بناتهم أزواجاً لهم ولبنيهم، فأختلط النسل الطاهر بأمم الأرض . بل يد الرؤساء والعظماء كانت الأولى في هذه الخيانة فلما سَمِعْتُ هذا الكلام مزقت ثوبي وردائي، ونتفت شعر رأسي ولحيتي وجلست متحيراً .))[١]

والواضح هنا من خلال الجملة التوراتية السابقة أن الأنبياء فقط هم أصحاب هذه الفكرة أي فكرة الانغلاق وعدم الاختلاط فهم إذا وحدهم أصحاب الفكرة والمشروع وليس باقي الشعب . فمن اختلط و تزاوج هم الكهنة والاويين وعِلِيَةُ القوم وعامتهم وهذا دليل أن الفكرة لم تكن موجودة قبل السبي، ولا في شريعة موسى – عليه السلام – ولا داوود وسليمان من بعده .

---

[١] - عزرا : ٩/ ١- ٣

ويبدو موقف عزرا النبي العائد من السبي إلى أورشليم واضح بعد أن جمع سبط يهوذا في أورشليم، وهو السبط الذي شكل شعب مملكة يهوذا قبل السبي وقال لهم : ((إنكم قد تعديتم واتخذتم نساء غريبات لتزيدوا في أثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم، وأعملوا على مرضاته، واعتزلوا أمم الأرض والنساء الغريبات .))[١]

وعلى أثر ذلك طردوا النساء الأجنبيات مع أولادهم منهن . فأي شريعة هذه التي يأمر أنبياؤها بطرد الأبناء من أحضان الآباء ؟!

وبالعودة للسبي البابلي نجد أنه لم يكن وقفاً على اليهود فقط فقد شمل شعوباً عديدة من فلسطين والشام ومصر والجزيرة العربية جاء في سفر استير .((وكثيرون من شعوب الأرض تهودوا، لأن رعب اليهود وقع عليهم .))[٢] والرعب المقصود هنا تفسيره هو خوفهم من سطوه ومكانة اليهود لدى البلاط الفارسي حيث أن استير كانت زوجة الملك واليهود يأمرون وينهون في الإمبراطورية الفارسية وهذا التفسير حسب رأي الأسفار . وفي بابل ومناطق السبي كانت الأبواب مفتوحة تماما للاندماج والاختلاط والتزاوج وقد سبق وذكرنا أن أرميا وجه نداء إلى المسبيين أن يفعلوا ذلك، ويندمجوا حيث هم ويكون كل ما افترضه عزرا ذهب مع الريح . فقد عمل على خلق مجموعة اليهود هو والكتبة وأحاطوها بقوقعة ممتلئة بالعنصرية والفكر الاحلالي .

ولكن عندما رجع من بابل إلى أورشليم واكتشف أن الجماعة في حالتي الاندماج والتزاوج أي ضياع المشروع، نتف شعر رأسه ولحيته .

---

١ - عزرا : ١٠ /١٠- ١١
٢ - أستير : ٨ /١٧

وعلى الرغم من كل هذا التعثر في المشروع والتمرد من قبل الشعب لم يقطع الكتبة الشعرة بينهم وبين أتباعهم، فهم بين مد وجزر، بين ترغيب وترهيب .

فيهوه وأن كان قاسياً وعنيفاً وأنزل عقوبته على الزانيتين السامرة ويهوذا لأنه. ((إله غيور ومنتقم . الرب منتقم وذو سخط .))[١] و ((من يقف أمام سخطه ومن يقوم لدى اضطرام غضبه . قد انصب حنقة كالنار وانحلّت منه الصخور .))[٢] و ((أنا أيضاً عيني لا تشفق ولا أعفو .))[٣]

فيهوه وإن كان كذلك . فهو له مراجعاته للأمور، لأنه يعرف تماماً إن بقى مصلباً رقبته، فأولئك اليهود رقابهم أصلب، وبالتالي لن يعودوا إليه، وسيبقى وحيداً لأنهم سيرمونه خلف ظهورهم، ولأنهم يعرفون أن قضية انشقاق المملكة – وبحسب النص– والسبي إنما نتيجة اختلال موازين القوى، ولا علاقة ليهوه بذلك لا من قريب ولا من بعيد، لذلك لم يقطع الرجاء لأن الشدة ستؤدي إلى اليأس والهرب .

وحتى لا تنقطع الشعرة يقول إرميا : ((ارجعي أيتها المرتدة إسرائيل يقول الرب فلا أحول وجهي ضدكم لأني رحيم . يقول الرب : لا أحقد إلى الأبد .))[٤] وكما هي عادة الرب في الندم . ((لكن عيني أشفقت عليهم عن هلاكهم فلم أفنهم في البرية .))[٥]

فكما لم يقض عليهم في التيه لشفقته وقلبه الكبير كذلك هنا ((وعند رجوع الشرير عن شره وعند عمله بالعدل والحق فأنه يحيا بهما .))[٦] فيهوه لا ييأس من شعبه ولا يبيده كله .((غير أني لا أبيد بيت يعقوب تماماً .))[٧] ويعود إليهم من جديد ويعطيهم .

---

[١] - ناحوم : ١/٢
[٢] - ناحوم : ١/ ٦
[٣] - حزقيال : ٩ /١٠
[٤] - أرميا : ٣ /١٢- ١٣
[٥] - حزقيال : ٢٠ / ١٧
[٦] - حزقيال : ٣٣/ ١٩
[٧] - عاموس : ٩/ ٨

((قلباً واحداً وأجعل في أحشائهم روحاً جديداً وانتزع من لحمهم قلب الحجر وأعطيهم قلباً من لحم.))[١] و((أجعل روحي في داخلكم .))[٢] و((هأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل .))[٣] و ((آخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأراضي وآتي بكم إلى أرضكم .))[٤] و((أجعلهم أمة واحدة في الأرض في جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكا لجميعهم ولا يكون من بعد أمتين ولا ينقسمون من بعد إلى مملكتين أبداً .))[٥] و ((أكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً .))[٦] وحزقيال الذي يقول : ((آل إسرائيل إنما ذهبوا إلى السبي بإثمهم .))[٧] وهو نفسه الذي يتحدث بتلك الروح السابقة عن تسامح الرب يهوه وعفوه وجعل القوم شعبا واحدا في أورشليم ومثله أشعيا الذي تحدث عن السبي الآشوري وتنبأ بعودة اليهود :((هكذا قال السيد الرب هأنذا أرفع إلى الأمم يدي، وللشعوب أنصب رايتي، فيأتون ببنيك في الأحضان، وبناتك على الأكتاف يحملن، ويكون الملوك حاضنيك، وسيداتهم مرضعاتك، وعلى وجوههم إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون تراب قدميك .))[٨]

المهم أن يهوه سيعفو عن شعبه، رغم وثنيته وآثامه واختلاطه بشعوب الأرض وسيسكن معهم في أورشليم ((هكذا قال الرب إني قد رجعت إلى صهيون وسأسكن في وسط أورشليم فتدعى أورشليم مدينة الحق وجبل رب الجنود المقدس .))[٩]

---

[١] - حزقيال : ١٩/١١
[٢] - خزقيال : ٣٦ / ٢٧
[٣] حزقيال : ٣٧ /١٢
[٤] - حزقيال : ٣٦ /٢٤
[٥] - حزقيال : ٣٧ / ٢٢
[٦] - حزقيال : ٣٧ / ٢٧
[٧] - حزقيال : ٣٩ / ٢٣
[٨] - أشعيا : ٤٩/ ٢٢- ٢٣
[٩] - زكريا : ٨ / ٣

ونخلص إلى القول بأن السبي لم يكن عبودية بـالمعنى المفهوم لكلمـة سبي بل يفهم من النصوص التوراتيـة أن اليهود تعلموا وتطوروا ومنهم من صـار من حاشية الملوك كأستير ودانيال وعزرا ونحميا، بل أن يوياكين الملك اليهودي أخرج من السحن في بابل وصارت منزلته كالملوك، وكان يتناول الطعام دائما أمام الملك البابلي طيلة حياته .[١]

إذن يكون السبي البـابلي نقطـة بداية لتـاريخ جديد لليهود، وكذلك صياغة الأسفار الأساسية الخاصة بحقبة السبي والتي منها سفر عزرا، وهو من أخطر وأهم الأسفار التـي تناولت المشروع الجديد، والدين الجديد . فعزرا يضع ثالوثه المتمثل في (يهوه – الشعب المختار- الأرض الموعودة) وهذا الثالوث يقابلـه (الوثنيـة – العنصرية – والاستعمار والهمجيـة) والأسفار التـي صيغت فـي تلك الحقبـة سواء عزرا أو نحميـا أو غيرهـا أنمـا وجدت لتخدم ذاك الثالوث .

والحقيقة أن السبي والاختلاط هو الذي ساهم فـي صنع الأسفار بعد الاستفادة من ثقافات وحضارات الشعوب الأخرى . ولكن هل وجد عزرا التنـاغم الكامل من شعب إسرائيل مع الثالوث الذي ذكرنا ؟ الجواب : لا لأن الكثيرين من المسبيين لم يعودوا وسبق وأوضحنا أسباب عدم العودة والسبب الثـاني أن الذين عـادوا هم الذين اندمجوا واختلطوا بالشعوب الأخرى فـي أرض كنعـان وهذا كـان بمثابـة الفشل لثـالوث عزرا وغيره ممن يسمون أنبياء الكتاب المقدس .

أما عن الثالوث فما زال القوم يحاولون تحقيقه ومشروعهم لم يتغير حتى يومنـا هذا . فهم يرون كل شعوب الكرة الأرضية وثنيون، ويرون في دينهم هو الدين الأوحد .كما في الجانب الثاني من الثالوث العنصرية أي نقـاء القوم فـي العرق والجنس، وأن بـاقي سكان الكرة الأرضية هم الغويم الذين ليسوا أكثر من خدم لليهود . والجانب الثالث من الثـالوث وهو الأخطر جانب الهيمنـة والتـي ترتكز علـى احتلال واستعمار الأرض من النيل إلـى الفرات ويكون القلب فلسطين ثم الهيمنة السياسية والاقتصادية على العالم أجمع .

---

[١] ـ الملوك الثاني :٢٥/ ٢٩

نظرة القرآن الكريم للتوراة الحالية :

لقد احتوت التوراة التي كتبها الأحبار بعد عهد النبي موسى – عليه السلام – على الكثير من المفاهيم الخاطئة التي شاعت بمرور الزمن إلى أن نزل القرآن الكريم فنبهنا إليها بدون لبس وغموض حيث جاءت المكتشفات الآثارية والدراسات العلمية الحديثة مؤيدة للحقائق الواردة في القرآن الكريم .

ويؤخذ من سور القرآن الكريم أن التوراة التي كانت بين أيدي الناس في زمن نزول الفرقان، والتي هي نفسها بين أيدينا الآن هي غير التوراة التي نزلت على النبي موسى – عليه السلام – في سيناء، وقد أثبتت الاكتشافات الحديثة التي حددت تواريخ الوقائع التاريخية حسب تسلسلها الزمني هذه الحقيقة التاريخية .

ونرى من خلال البناء على ما تقدم أن اليهود ليسوا على دين إبراهيم عليه السلام الذي جاء بالديانة الحنيفية، والذي دعا إلى عبادة الله الواحد، والذي ذكر في التوراة باسم "إيل " (*[1]) واليهود اليوم وفي الماضي لم يكونوا على هذه الديانة البته . وليسوا أيضاً على شريعة موسى – عليه السلام – الذي دعا إلى عبادة " أروني " أو " أروناي "(*[2]) الله الواحد القهار، وموسى صاحب التوراة الأصلية الربانية، وداوود وسليمان – عليهما السلام – أيضاً نخن المسلمون أولى بهم من اليهود فهم عند اليهود محل للسخرية والطعن والقذف والتشويه وعندنا أصحاب قداسة وعصمة . وهذا شأن اليهود في توراتهم مع جميع الأنبياء فلم يسلم نبي من التشويه والطعن خلال الأسفار .

*[1] – " إيل وجمعه إيلوهيم " وهو نفس كلمة " الله " العربية، وهو الإله الذي دعا إبراهيم الخليل – عليه السلام – جميع الوثنيين في عهده إلى عبادته وقد سار يعقوب " إسرائيل " على هذا النهج من بعده .

*[2] – " أروني " أو " أروناي " ومعناه " الرّب السيد " وهو الإله الذي عبده موسى – عليه السلام – وهو الرب الواحد رب الناس وخالق ما في السماوات وما في الأرض .

وفي نهاية المطاف اتخذوا إله يدعى " يهوه " (*)وهو من صنع أفكارهم وهو غير إله موسى قال تعالى : ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ))[1] وقد كفروا بما جاء به موسى واتهموه بالزيغ والكفر والانحراف قال تعالى : ((وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ... وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ))[2] فسمعوا في قتله ثم بعد ذلك اختلقوا توراة من عند أنفسهم نسبوها إلى موسى – عليه السلام – وادعوا فيها أهواؤهم، وما جادت به نفوسهم المريضة المفطورة على البغي واقتراف الكبائر . قال تعالى : ((فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا))(٣) فكانت توراة الإله يهوه الذي يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف قال تعالى : ((أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ))(٤) وقال تعالى ((فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ))(٥) ((وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا))[6] ثم أضافوا إلى توراتهم الكثير من مقتبسات الحضارات المجاورة والتي احتكوا بها في منطقة الشرق الأدنى القديم، فأخذوا من معالم الحضارة الكنعانية والبابلية التي رضخوا لسلطانها أثناء السبي البابلي والحضارة الآرامية في الشام والفرعونية في مصر ويقول الدكتور محمود الشريف : ((التوراة المتداولة اليوم، والتي يترنم بها اليهود ويرددونها في معابدهم، لا يعترف بها القرآن . بل سجل في عديد من الآيات أنها محرفة مزورة، زيد عليها وأنقص منها، فشوهت بما استحدث فيها وحرفت بما نقص منها .))[7]

* -" يهوه " وإن ذهب مفسرو التوراة إلى أن مفناه " الذي كان والذي سيكون "، فإنه يبقى، بحسب أقوال التوراة " إلها خاصا بالشعب اليهودي بمفرده " ولقد حاول أحبار اليهود تجاهل الثغرة بين عهدي إبراهيم الخليل والنبي موسى – عليهما لسلام – ثم تداركوا هذا الأمر باظهار عبادة إلهة " يهوه " على المسرح وربطها بإبراهيم الخليل وموسى جاء التوراة ((تقول لبني إسرائيل" يهوه " إله آبائكم، إله إبراهيم وأسحاق ويعقوب، أرسلني إليكم))

[1] - الجاثية : آية ٢٣
[2] - الفصلت : آية ٤٥
[3] - الأحزاب : آية ٦٩
[4] - النحل : آية ٧٢
[5] - البقرة : آية ٥٩
[6] - المجادلة : آية ٢
[7] - د . محمود الشريف : (اليهودية في القرآن الكريم)، ص ٣٥

أما التوراة التي يعترف بها القرآن فهي التي نزلت على موسى –عليه السلام – قال تعالى : ((فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ))[1] والتي كتبت على الألواح قال تعالى ((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ))[2]

إذن تخلص اليهود ممن توراة موسى – عليه السلام – وكتبوا توراة جديدة تتلاءم مع أهوائهم وتتواءم مع مخططاتهم، وزعموا بعد كل هذا، أنها التوراة التي أنزلها الله على موسى – عليه السلام – قال تعالى : ((مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ))[3] و ((فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ))[4] و ((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ))[5]

كذلك عمد لفيف من رؤسائهم الدينيين إلى إخفاء الأسفار، وكتمان ما فيها من حقائق وبشارات قال تعالى : ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ))[6] وعن إخفاء الأسفار وكتمان ما فيها قال تعالى : ((قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا))[7]

[1] - المائدة : آية ٤٤
[2] - الأعراف : آية ١٤٥
[3] - النساء : آية ٤٦
[4] - البقرة : آية ٧٩
[5] - المائدة : آية ١٣
[6] - المائدة : آية ١٥
[7] - الأنعام : آية ٩١

و ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ))[١] وهناك فرقة يهودية مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة، تسمى بالصدوقيين، وقد ظهرت في زمن السلوقيين، ((وهم لا يقرون بما هو خارج عن الوحي المدون في أسفار التوراة الخمسة المنسوبة لموسى – عليه السلام -، ولا يأخذون بالتقاليد الشفهية الموروثة عن الآباء والأجداد وهم في ذلك يقفون مع السامريين على صعيد واحد .))[٢]

ومع أن القران الكريم لم يشر صراحة إلى السبي البابلي إلا أنه تضمن ما يشير إلى التقطيع والتمزيق والشتات بالنسبة لليهود ((وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا))[٣] ثم يشير في سياق آخر أن القوم سوف يجتمعون مرة أخرى ولم تحدد الآيات في أي مكان يكون هذا اللفيف، والغالب أنه يكون على أرض فلسطين والاستناد هنا إلى آيات من سورة الإسراء التي تضمنت الإفساد في الأرض مرتين والعلو الكبير ثم النهاية والتحذير بعدم العودة لمحاربة المسلمين، ومحاولة دخول المسجد الأقصى (والله أعلم) .

السبي الأول (٧٢١ ق. م) ونهاية مملكة إسرائيل :

مابين انهيار أسرة ياهو وهي آخر السلالات التي حكمت مملكة إسرائيل (٧٤٢ ق.م) وسقوط السامرة عام (٧٢١ق .م) ربع قرن تقريبا توالت فيه الأحداث في عنف وسرعة، وهي لم تكن أحداثا داخلية كما تشير إليه التوراة ((... لم تكن بسبب نجاسة أفرايم وغضب الرب لتخليهم عنه وعكوفهم على عبادات أخرى .))[٤] بل هناك عوامل خارجية كانت الأداة الفعلية لهدم إسرائيل والقضاء عليها ((كانت هذه العوامل تتصل

---

[١] - البقرة : آية ١٥٩
[٢] - عجاج نويهض : (برتوكولات حكماء صهيون)، م٢ ص ١٣٥ - ١٣٤
[٣] - الأعراف : آية ١٦٨
[٤] - هوشع : ٧: ٨- ٩

بدمشق و أشور . دمشق بحلفها مع إسرائيل ضد يهوذا وأشور، ثم أشور باهتمامها بشؤون الغرب تحت قيادة ملكها تجلات بلاسر الثالث .))[١]

ويرسم هوشع صورة لإسرائيل (وهو نبي معاصر للأحداث) ربما يكون فيها الكثير من الصدق لما كان يجري حيث يقول ((افرايم يختلط بالشعوب، افرايم صار خبز ملة لم يقَّلب، أكل الغرباء ثروته وهو لا يعرف، وقد رش عليه الشيب وهو لا يعرف ،وقد أذلت عظمة إسرائيل في وجهه وهم لا يرجعون إلى الرب إلههم ولا يطلبونه مع كل هذا . وصار افرايم كحمامة رعناء بلا قلب . يدعون مصر، يمضون إلى أشور عندما يمضون أبسط عليهم شبكتي . ألقيهم كطيور السماء . أؤدبهم بحسب خبر جماعتهم . ويل لهم لأنهم هربوا عني . تباً لهم أذنبوا إليّ، أنا أفديهم وهم تكلموا عليّ بكذب ولا يصرخون إليّ بقلوبهم حينما يولولون على مضاجعهم .))[٢] ويقول عاموس أيضاً على لسان الرب ((اسمعوا هذا القول الذي أنادي به عليكم مرثاة يا بيت إسرائيل . سقطت غذراء إسرائيل لا تعود تقوم انطرحت على أرضها ليس من يقيمها .))[٣]

ويقول يوشع أيضاً على لسان الرب : ((لقد حملتم تمثال أصنامكم الذي صنعتم لنفوسكم فأسبيكم إلى ما وراء دمشق ويقول الرب : قد أتت النهاية على شعب إسرائيل لا أعود أصفح .))[٤] وعن هذه النهاية لإسرائيل جاء في النصوص الآشورية ((فقد حملت أهل بيت " خومريا " وما يملكون جميعا إلى أشور وأما ملكهم " فقح " فقد خلع وعينت مكانه هوشع ... وأخذت منهم جزية عشر وزنات من الذهب وعشرة وزنات من الفضة.))[٥]

---

[١] ـ نجيب ميخائيل إبراهيم : (مصر والشرق الأدنى القديم) ج٣، الطبعة الثانية، ١٩٦٤، دار المعارف، ص ٣٧٦
[٢] ـ عاموس : ٧/ ١٠ـ ١٣
[٣] ـ عاموس : ٥/ ١ـ ٧
[٤] ـ عاموس : ٨/ ٢ـ ٣
[٥] ـ نجيب ميخائيل إبراهيم :ج٣، ص ٣٨١

وبالعودة إلى كلام المؤرخين فقد احتل القائد الآشوري على عهد سرجون الثاني السامرة عاصمة إسرائيل وبذلك تم استسلام السامرة والقضاء على مملكة إسرائيل نهائياً ((وقد أجلى سرجون الثاني (٢٧٢٨٠) شخصاً من اليهود إلى ناحية حرّان وإلى ضفة الخابور وميديا وأحل محلهم الآراميين من إقليم حماة .))[١]

وقد عثر الخبير في الآثار " بوتا" سنة (١٨٤٣) بين أطلال مدينة " سمال " "زنجرلى " عاصمة الآراميين في سمال غربي سورية على مسلة سرجون الثاني الذي حكم من (٧٢١ ق.م إلى ٧٠٥ ق.م) ((والتي نقش عليها باللغة الآشورية بالخط المسماري تفاصيل الحملة الآشورية على إسرائيل، والتي انتهت بالقضاء عليها وحمل اليهود إلى الأسر .))[٢] ويختلف المؤرخون في تقدير العدد ((قيل كان (٢٧٠٨٠)، وقيل كان (٤٠٠٠٠٠) أربعمائة ألف وقيل (٥٨٠٠٠) ثمانية وخمسون ألفا . غير أن المتفق عليه بين المؤرخين أنه سبي وجوه القوم ولم يترك إلا الحثالات التي لا غناء فيها.))[٣]

ويميل الباحث إلى تصديق علم الآثار حيث جاء في حوليات سرجون الثاني التي تقول :((في بداية حكمي وفي السنة الأولى منه حاصرت السامرة واستوليت عليها ونقلت من أهلها (٢٧٢٩٠) مواطنا واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكي . ثم ملأتها بسكان أكبر مما كان بها فأحللت بها مواطنين جدداً من بلاد كنت قد استوليت عليها، وعينت رجالي حكاما عليها، وفرضت عليها الجزية والضرائب كما يفعل الآشوريون.))[٤]

على هذا الوجه ينتهي تاريخ مملكة إسرائيل الشمالية ولكن أين ذهب أهل السامرة ؟ وأين أذهب ال (٢٧٢٩٠) من السبي الذي تم على يد سرجون ؟ لقد وضع سرجون نهاية

---

[١] -أحمد سوسة : ص ٦٤٢

[٢] - المرجع السابق : ص ٦٤٢

[٣] - عبد الجليل شلبي : ص ٦٥

[٤] - نجيب ميخائيل إبراهيم : (مصر والشرق الأدنى القديم)، ج٥، دار المعارف، ١٩٦٤، القاهرة، ص ٢٦٦

لكيانهم وأنهى حياة الأسباط العشرة في المملكة التي كانت تسمى إسرائيل تفرقه لها عن السبطين الجنوبيين اللذين يحملان اسم يهوذا ولم يقدر لهذه الأسباط العشرة أن تعود إلى مواطنها التي كانت قد أخذتها غيلة واغتصابا من أصحابها وظلت تحتكر الحياة فيها مدى قرنين ونصف من الزمان ومن الثابت أنهم شردوا في أنحاء الإمبراطورية الآشورية، ولو أن سرجون قضى عليهم لقلنا إن أمرهم انتهى بموتهم، ولكنهم ظلوا أحياء يتكاثرون ويتناسلون ولعل هذا هو ما دعا بعض الباحثين إلى محاولة إلقاء أضواء على الأماكن التي شردوا فيها استقروا بها .

تشير التوراة إلى ((أن سرجون أحلهم في أول الأمرة في حلح خابور نهر جوزان وفي مدن ماري .))[١] ويروي نجيب ميخائيل عن المؤرخ " جوزيف " أن القبائل العشرة ((لا تزال وراء الفرات حتى الآن، وهم في أعداد بالغة الكثرة .))[٢]

ويحدث " إزدارس " Fsdras عنهم بقوله : ((إن هذه القبائل العشرة هي التي حمل أهلها كأسرى من أرضهم في زمن هوشع الملك الذي أسره شلمنصر ملك أشور وعبر بهم المياه إلى أرض جديدة واتفقوا فيما بينهم أن يبتعدوا عن جماهير الكفار وأن يذهبوا إلى بلاد بعيده لا يسكنها الناس، ويسمى هذا الإقليم الذي وصلوا إليه "أرسارث" Arsaeth وقد سكنوا هناك، وإن المسافة تبلغ من ميدنا إلى مولدافيا (١٥٠٠) ميل حيث نهر سارث اليوم وحيث تسمى المنطقة " أرسارث ".))[٣]

ولهيرودوت نصي في هذا ((فيشتق كلمة " اسكيذيين " Scythians من "أسكيذ" Scuths ويسميهم بالجوّابين المتجولين وينسبهم إلى المكان الذي استقرت به

---

١ ـ الملوك الأول : ١٧/ ١٦

٢ ـ نجيب ميخائيل إبراهيم : ج٣، ص ٣٨٣

٣ ـ المرجع السابق : ج٣، ص ٣٨٤

الأسباط العشرة ثم ينتقل بهم هيرودوت من أركسس Araxes إلى أرسارث Arsaeth في شمال غربي البحر الأسود وهناك التقوا بالقرميين أقربائهم من الإسرائيليين الهاربين كذلك .))[١] ولقد عثر في القرم على مئات من المقابر عليها نصوص تشير إلى استيطان الإسرائيليين هناك من بينها ما نصه ((إلى واحد من المؤمنين في إسرائيل، ابرهام بن نسنخال من كرتش في عام (١٦٨٢) للسبي [*] حين جاء رسل أمير رو شمشش من كيون إلى سيدنا الأمير شيغار أمير داوود هالت وهابا وجوزن المكان الذي نفى إليه تجلات بلاسر أبناء رأوبين وجاد وحجز قبيلة منسي والذين انتشروا منه في كل أنحاء الشرق حتى الصين))[٢]

وفي نص آخر ((هذا قبر " بوكي بن اسحاق الكاهن " يسترح في عديد في زمن خلاص إسرائيل ! مات في عام (٧٠٢) للسبي .))[٣] (يقابل التاريخ عام ١٩ ق.م) وحسب ما نرى أن هناك عشرات ومئات من أمثال هذه النصوص تشير إلى جوزن وتتحدث عن تجلات بلاسر وتذكر قبائل جاد ورأوبين ويرجح أن أصحابها من نسل القبائل المشردة .

بل أن هيرودوت حين تناول بالوصف عادات الاسكيذيين ودينهم يظهرهم على نفس الصورة التي نعرفها للإسرائيليين، والبقعة التي يروق للباحثين أن يضعوا المشردين الإسرائيليين فيها تشغل في رأى هيرودوت ((مربعا طول ضلعه (٥٠٠) ميل حده الجنوبي البحر الأسود من الدنوب إلى الرون، وحده الشرقي مجرى الرون نفسه وركنه الشمالي الشرقي بالقرب من موسكو، أما جانبه الشمالي فتحده سلسلة من التلال تسير

---

[١] ـ المرجع السابق : ج٣، ص ٣٨٤

[*] ـ التاريخ يقابل عام (٩٦١) ميلادية حيث يبدو أن الأسباط العشرة من النص كانت تؤرخ بتاريخ بداية السبي .

[٢] ـ المرجع السابق : ص ٣٨٤

[٣] ـ المرجع السابق : ج ٣، ص ٣٨٤

موازيـة لبحـري أزوف والأسـود ممتـدة حتـى البلطيـق، وأمـا الحـد الغربـي فنهـر الفستيولا وجبال الكربات والمجرى الأدنى ل "سارث " .))[١] ويضم هذا الإقليم اليوم أغنى بقاع روسيا وبولندة وأوكرانيا وبسادابيا والقرم . ويبدوا أنهم تحركوا موغلين في مختلف نواحي القارة الأوروبية حتى وصلوا إلى ايرلندة غربا وهم من سبط " دان " ويشير كيتنغ Keating إلى ذلك فيقول : ((كان الدانيون قوما على درجة أكيدة من المعرفة والثروة، وقد هجروا بلاد اليونان بعد معركة ضد الآشوريين، وذهبوا إلى ايرلندة وكذلك إلى الدنمارك التي أطلقوا عليها اسم دان مار Dan-mares أي بلاد دان .))[٢]

ويرى المؤرخون أن الرومان فوجئوا في عام (١١٣ ق.م) بهجمة من الكيميري Kimbri (ربما هم الكميري Cimmeri الذي تحدث عنهم هيرودوت) . ويشير بلوتارك وبوسيدونيوس إلى أن آل Kimbri هم أنفسهم آل Kimmeri، والاسمان على أية حال قريبان من " كمري " Kimri – بيت " خومريا " Khumri الإسرائيلي – الذي ورد ذكره في نص الملك الآشوري الذي سبق وذكرناه في الصفحات السابقة .

ومن خلال متابعتنا لما جاء في مختلف المصادر فإننا نستطيع أن نصل إلى نتيجة معقولة وهي أن الإسرائيليين الذين انتشروا في أعقاب السبي في أنحاء العالم شرقا وغربا ولم يستطيعوا أن يستقروا في مكان واحد وامتصوا بيسر في الشعوب التي حلوا بها و اكتسبوا لغاتها وعاداتها وتقاليدها ومرت قرون طويلة ضاعت خلالها قوميتهم وجنسيتهم، ولكن إفنائهم لم يتم رغم كل ذلك .

وقد أظهر " بنيامين " النسوب إلى " تودلا " وهو أحد سياح القرن الثاني عشر الميلادي صحة التحقيق التاريخي السابق عندما كتب ((أن جماعة اليهود الذين يعيشون

---

[١] - المرجع السابق : ج ٣، ص ٣٨٥

[٢] - نفس المرجع : ص ٣٨٥

في جبال " نيسابور " في شرق آسيا هم من نسل المنفيين الأصليين الذين اندمجوا في الأهالي على وجه عام .))[١]

وبذلك يكون شتات السبي الأول سبي إسرائيل لم يقتصر على شرق أوروبا بل وصلوا في ترحالهم إلى شرق آسيا أيضاً .

أما السامريون فمنهم الشعب البديل الذي جاء به الآشوريون ليحل محل شعب مملكة إسرائيل لذا بنهاية تاريخ مملكة إسرائيل يبدأ تاريخ السامريين الذين يفرضون وجودهم في التاريخ اليهودي المتأخر .

وتشير مختلف المصادر إلى أن إحلال سكان جدد في السامرة بدل إسرائيل لم يحدث دفعة واحدة بل إن الأمر تم على دفعات متتالية ويظهر أن الحياة لم ترق للسامريين الجدد ((فهم يقومون في عام (٧٢٠ ق.م) بثورة لم يقدر لها النجاح .))[٢] ومن الثابت تاريخياً ((أن سرجون الثاني ملك أشور أتى بقبائل من عيلام وسوريا وبلاد العرب، وأسكنهم مكان المسبيين من أهالي السامرة وما حولها، وقد امتزج هؤلاء ببني إسرائيل،وشكلوا جماعة سميت بالسامريين وقد اتحدوا دينيا فترة من الزمن ثم انشق الفريقان حوالي (٤٣٢ ق. م) حينما عاد عزرا ونحميا من السبي وطالبوا بتطهير جنسهم.))[٣] ولذلك طرد السامريين من أورشليم بعد العودة من السبي [*] وكان أهم المطرودين ((حفيد للكاهن الأكبر لأنه تزوج ابنة حاكم السامريين وأصبح الشاب الطريد كاهن للسامريين، وأقام هيكلا على جبل " جريزيم " مناهضا لهيكل سليمان في أورشليم.))[٤] وقي هذا الوقت كان القانون اليهودي " التوراة " لا تحتوي إلا على الكتب

---

[١] - سليم حسن : (مصر القديمة)، ج٩، ص ٥٢٣
[٢] - نجيب ميخائيل إبراهيم : ج٣،ص ٣٨٢
[٣] - عبد الحميد زايد (الشرق الخالد) ص ٣٩٤- ٣٩٥
* - المقصود عودة سبي يهوذا لأن عزرا ونحميا هم من سبي يهوذا أما سبي إسرائيل فلم يرجع منهم أحد .
[٤] - المرجع السابق : ص ٣٩٥

الخمسة الأولى فقط وهي أسفار موسى في غالب الظن لذا يزعم السامريون أنهم يحتفظون بالكتاب المقدس الوحيد منذ ذلك الحين، وقبلتهم جرزيم لا صهيون وهم يقيمون حتى يومنا هذا في نابلس ويبلغ عددهم حوالي مائتي شخص، والعداء بينهم وبين دولة إسرائيل الحالية في فلسطين شديد فالكيان الصهيوني في فلسطين ينكر يهوديتهم وكتابهم المقدس، ويحتقرهم، وبالمقابل هم يؤيدون حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه واسترداد كامل حقوقه في وطنه السليب .

السبي الثاني ونهاية مملكة يهوذا :

عمرت يهوذا بعد أختها إسرائيل حتى عام (٥٨٦ ق .م) ثم هوت على يد "نبوخذ نصر" أي أنها بقيت نحو قرن ونصف بعد أختها إسرائيل، ونقل شعبها إلى بابل .

وقد أثبتت الأحداث التاريخية أن التاريخ لم يبتلعهم كما ابتلع أبناء مملكة إسرائيل . وربما يرجع السبب إلى ((أن البابليين عوضوا سبي إسرائيل أرضاً في بابل ولم يعوضوا أبناء يهوذا ولعل هذا ما ساعد على ذوبان الأولين .))[١] ولكن هذا السقوط ليهوذا ((لم يكن حدثا ذا شأن في التاريخ العالمي، بدليل أن مخطوطات نبوخذ نصر لم تذكرها مرة واحدة .))[٢] أما بالنسبة إلى اليهود فإنها ((تمثل لحظة حاسمة ليس في تاريخهم السياسي وحده، بل في تاريخهم الديني أيضاً .))[٣] فالذي اختفى من أورشليم كان هو مملكة داوود التي هي مناط الوعد في التوراة . لذا لوحظ على القوم منذ بداية السبي إلى بابل يحاولون إنعاش تلك الديانة التي انهارت في أورشليم وأن دينهم هو الرابط

[١] - عبد الجليل شلبي : (اليهود واليهودية) ص ٦٦
[٢] - نوث : (تاريخ إسرائيل القديم) ص ٢٩٨
[٣] - رجاء جاروري :(فلسطين أرض الرسالات الإلهية) ص ١٣٨

والملاذ الأخير لهم .((فرجعوا إلى عبادة يهوه وشريعة التوراة والتعاليم الدينية بإخلاص ونشاط .))[١]

ومن الثابت أيضاً أن القوم في السبي ((لم ينسوا أنشطتهم التجارية والزراعية والسياسية، فكان الكثير منهم مزارع ومناجم وثروات كبيرة، كما كان لهم أصابع في سياسة الدولة .))[٢]

أما عن الوضع النفسي لدى القوم في السبي ((فقد استولت الكآبة والحزن على قلوبهم لما خامرهم من الريب في صحة ما تعلموه من تعاليم دينهم على يد هداتهم من الأنبياء قبل السبي .))[٣] بدليل ما جاء في المزامير ((على انهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون . على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا . لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين رنموا لنا من ترنيمات صهيون . كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة . إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني . ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك . إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي..... يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا . طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة .))[٤]

وهذا ليس مجرد حنين، وإنما شكوى وأمنية أن يتاح لهم الانتقام فهم لم ينتقلوا إلى دار نعيم في بابل بل سنرى أنهم بذلوا جهودا ثبتوا بها أقدامهم في تلك الديار . فعلى صعيد علاقتهم بملوك بابل تذكر التوراة ((أن دانيال عبَّر للملك نبوخذ نصر رؤيا عجز كهانة

---

١ - عبد الجليل شلبي : ص ٦٦
٢ - المرجع السابق : ص ٦٦
٣ - جمس هنري برستد : (العصور القديمة) مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، تعريب داوود قربان، ١٩٨٣، ص ١٣١
٤ - مزامير عن مزمور : ١٣٧/ ١- ٦ ومن ٧- ٩

عن تعبيرها، فخر ساجدا أمامه وأمر بإجازته وقال له : حقا إن إلهكم إله الآلهة، ورب الملوك، وكاشف الأسرار .))[1] وجاء في التوراة كذلك ((إن نبوخذ نصر عين دانيال رئيسا على حميع حكماء بابل، فكان ببابه، وطلب منه أن يولّي ثلاثة آخرين على أعمال مملكة بابل فولاهم .))[2]

وفي السفر أيضاً أن اسم دانيال قد تغير ((وسمّي بلطشاصر .))[3] وفي السفر نفسه ((أن دانيال كان معه من خدام الملك حنينا، ومشائيل، وعزريا، فسموا بأسماء بابلية على نحو ما سمي دانيال، فقد سمى حنينا باسم شردح، وميشائيل باسم ميشيخ وعزريا باسم عبدنبو .))[4] وقد ترقى دانيال بعد ذلك حتى صار المتصرف الثالث في الدولة بعد الملك والوزير الأول، وتنسب له ولرفاقه عجائب وخوارق من المعجزات، ومهما يكن من شأنها فهي تنبئ عن مكانتهم في الدولة .

ولكي نزيد المسألة وضوحاً نذكر خلاصة مما ورد في سفر دانيال . حيث أنه في السنة الثانية من ملك نبوخذ نصر رأى أحلاما أزعجته وأطارت نومه، فاستدعى المجوس والسحرة والعرافين والكلدانيين ليعبروا أحلامه، وقال : إن لم تعبروا رؤياي تصيرون إرباً، إرباً، وتجعل بيوتكم مزبلة، وإن عبرتموها فلكم هدايا وإكرامات ... فقالوا أنه أمر عسر ولا يلبيه إلا الآلهة . وغضب الملك وأمر بإبادة حكماء بابل جميعا، وطلب دانيال ورفاقه ليقتلوا ولكن دانيال دخل إلى الملك وطلب أن يعطيه زمنا، فذهب إلى بيته وأعلم أصحابه ليبتهلوا إلى السماء كي تنجيهم، ثم ذهب دانيال إلى رئيس الشرطة أربوخ الذي عينه الملك لأبادة حكماء بابل، وقال له لا تبيدهم وأدخلني للملك وأمام الملك قال : السر الذي تطلبه لا يقدر عليه الحكماء ولا السحرة والمجوس ولا المنجمون، لكن يوجد له إله

[1] - دانيال : ٢/ ٤٦
[2] - دانيال : ٢/١ / ٣
[3] - دانيال : ١/ ٢٦ و ٢٢/ ٢٥
[4] - دانيال : ١/ ٢٦

في السماء يكشف سره، ثم ذكر دانيال له ما رأى في نومه وهو تمثال عظيم مهيب رأسه من ذهب، وصدره من فضة وبطنه من نحاس ثم قذف بحجر فسحقه ... وتحول الحجر جبلا، وفسر له الرؤيا بأنه هو الرأس الذهبي والأجزاء الأخرى ممالك ستخضع له، فخر نبوخذ نصر ساجدا لدانيال، وأعطاه منحاً وسلطة على كل ولاية بابل وجعله الرئيس على جميع الحكماء .[1] ومن خلال ما تقدم تتضح المكانة والخطوة التي خطى بها دانيال ورفاقه المسبيين في البلاط البابلي وكيف كانت لهم الكلمة المسموعة والرعاية الكاملة . ومع أن بعض المقاطع من إصحاحات سفر دانيال مفقودة على ما تذكره النسخة الكاثوليكية إلا أن صاحبه دانيال من أنبياء بني إسرائيل وأنه كان في قافلة المسبيين التي سباها نبوخذ نصر إلى بابل مع الملك يوياقيم وقد احتوى هذا السفر قصصا كثيرة أوردنا بعضها ولكنه احتوى الكثير من الخيال والمفارقات والخلط التاريخي، مثل جعل داريوس هو الذي قتل آخر ملوك الكلدانيين واستولى على مملكته ونعته بالمادي وجعل كورش يأتي بعده ونعته بالمادي والمعروف أن كورش هو الأول وليس داريوس ويسوَّغ ذلك كله أن يكون السفر مما كتب مؤخراً من مذكرات أو ذكريات أو قصص معزوة إلى دانيال .

ظروف حياة اليهود أثناء السبي :

لم ينزل البابليون بأفراد السبي من اليهود إلى مرتبة العبيد مما أعطاهم حرية نسبية نستطيع أن نتلمسها في الخطاب الذي بعث به أرميا للمسبيين، والذي جاء فيه : ((هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل لكل السبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل . ابنوا بيوتاً واسكنوا، واغرسوا جنات وكلوا ثمرها . خذوا نساءً، ولدوا بنين وبنات، وخذوا لبنيكم

[1] ـ أنظر دانيال : ١ـ ٢ـ ٣ـ ٤

نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات، وأكثروا هناك ولا تقلوا .))[١]
فهو يطلب إليهم أن ينخرطوا في الحياة الجديدة وأن يطلبوا سلام المدينة التي يعيشون فيها أي بابل لأن في سلامها سلامهم ولما كان البابليون تجاراً فإن اليهود أخذوا عنهم هذه الحرفة من غير شك . وأن هذه الحرية النسبية مهدت الطريق لثراء البعض منهم ((حتى أنهم يسهمون بكل حرية فيما بعد العودة في ترميم المعبد .))[٢] ونراهم أيضاً بعد عشرين عاما يسهمون في إرسال فضة وذهب لعمل تيجان توضع على رأس ((يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم .))[٣]

أما من كان يحاول إثارة الشعب من السبي فيقع تحت سياط البابليين الذين كانوا ينزلون بهم أقصى ألوان العقاب . وفي هذا السياق نشير إلى نبيين كاذبين هما ((أحاب ابن قولايا وصدقيا بن معسيا اللذين دفعهما الله إلى أيدي نبوخذ نصر فقلاهما بالنار... لأنهما عملا قبيحا في إسرائيل وتكلما باسم الله كلاما كاذبا .))[٤] كانا يهجران بالعداوة لبابل ويستنزلان الدعاء لسقوطها وخرابها . وقد سمح البابليون لأهل السبي أن يمارسوا لون الحياة التي كانوا يحبونها في بلادهم ((فهم يذهبون إلى حزقيال النبي))[٥] والذهاب إلى النبي يعني الحرية والمرجعية الدينية لدى السبي، وهذا النبي ((كان يعيش كرجل متزوج في بيته في مكان يدعى " تل أبيب "))[٦] ويحوي سفرا حزقيال وعزرا ما يشير إلى وجود سجلات للعائلات مما يوحي باستمرار استقرار الحياة العائلية لأفراد السبي .

ونرى أن حياتهم هذه التي قدمناها استطاعت أن تكون منهم وحدة في المنفى تحافظ على شعائرهم، وتصونها، وتدفع بها إلى الأمام .

---

[١] - أرميا : ٢٩/ ٥- ٧
[٢] عزرا : ٢٢/ ٦٩
[٣] - زكريا : ٦/ ٩
[٤] - أرميا :٢٩/ ٢١
[٥] - حزقيال : ٨/ ١ ، ١٤/ ١
[٦] - حزقيال : ٢٤/ ١٨ ، ٣/ ٢٤ ، ١٢/ ٣ ، ٣/ ١٥

وأدرك أهل السبي أن ما حل بهم كان نتيجة لعدم إتباع شرائع يهوه، وربما شجعهم على هذا في يهوذا اختلاطهم بشعوب الأرض واتصالهم بمعبودات أخرى، وغضب يهوه، وحذر وأنذر، وتوعد واشتد في الوعيد فلم يكفوا بل أنهم أمعنوا في التقرب للمعبودات الأخرى . وأدركوا أن ما حل بهم كان نقمة من الإله الذي لم ينل التوقير الذي يستحق . لذا باتوا يفكرون في ((خلاص سريع على يد يهوه ... ولكن السنين والسماء لا تضيء ثم طالت الأيام وخابت كل رؤيا، هاهم يقولون يبست عظامنا وهلك رجائنا . قد انقطعنا .))[١] وفهموا معنى القول القديم ((الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست .))[٢]

إذن مع تلك الحرية النسبية التي أشرنا إليها فعلى ما يبدوا أنها كانت حرية اجتماعية اقتصادية . أما على صعيد العبادة والطقوس الدينية فكان القوم مضطرون إلى التخلي عن الكثير منها . ((لم يكن من المستطاع في هذه الأرض الدنسة التي حلوا بها أن يباشروا طقوس عبادتهم حيث استبدلوا التضحية بالصلاة والصيام .))[٣] واضطروا ((إلى التغافل عن حفظ السبت الذي قدسه الرب وأوصى بحفظه .))[٤] وكان الأمر كذلك بالنسبة للختان، ولهذا راودتهم فكرة جديدة وهي ((إنشاء معبد في هذه الأرض الدنسة لتوحيد كلمتهم ومن هنا نشأ " الكنيس "، وتطورت الطقوس فيه من تراتيل فيَّاضة، وأدعية وتطبيق لمبدأ التنبؤ على الحياة اليومية وهكذا أصبح نواة فعلية لأسس المذهب الإسرائيلي الموضوع بما جد فيه من فلسفة الحشر والحياة بعد الموت .))[٥] وهذه من أهم نقاط التحول في الديانة اليهودية بل هي نقطة فارقة في تاريخ اليهود الديني . حيث أن التوراة

---

[١] - حزقيال : ١٢/ ٢٣ ، ٣٧/ ١١

[٢] - حزقيال : ١٨/ ٢ راجع أرميا : ٣١/ ٢٩ حيث تغيرت الفكرة فصاري ((كل واحد بذنبه كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه)) .

[٣] - عزرا : ٨/ ٢١ و نحميا : ٤/١

[٤] - حزقيال : ٢٠/ ١١- ٢١

[٥] - نجيب ميخائيل إبراهيم : ج ٣، ص ٤٢٣

أو جزءاً كبيراً منها أحذت صورتها التي نراها عليها اليوم في هذه المرحلة، وهذا نتيجة للشعور بالذنب والخطيئة .

وبهذا نكون قد استعرضنا حياة القوم في السبي في بابل بكل جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والدينية في عهد البابليين أما الفرس فسوف يتم الحديث عنهم في المبحث التالي .

علاقة اليهود بالفرس أثناء السبي :

كان لعلاقة اليهود المسبيين بالفرس أهمية كبرى بحكم أن هذه العلاقة الوطيدة نتج عنها عودة الكثير من اليهود إلى أرض كنعان " فلسطين " ولولا المباركة الفارسية، والدعم اللامحدود لما تمكن اليهود من العودة وبناء هيكلهم من جديد في أورشليم لذا وجدنا ضرورة إفراد مبحث عن هذه العلاقة لما لها من أهمية في تاريخ اليهود بعد السبي .

ظهور الفرس :

في منتصف القرن السادس قبل الميلاد نهض الفرس في إيران، وكانوا يختلفون عرقاً عن البابليين والفينيقيين والعبرانيين وعن المصريين إذ أنهم كانوا ينتمون للشعوب الهندو-أوربية .

وبظهور الفرس على مسرح التاريخ في الشرق الأدنى انتهت السيطرة السامية على غربي آسيا، واختفت حتى ظهور الإسلام في القرن السابع للميلاد .

أما القائد الذي جعل من بلاد فارس قوة عالمية فقد كان قورش (٥٥٠ – ٥٢٩ ق.م) وهو من بلدة أنشاف في عيلام، وقورش هو المؤسس الحقيقي للسلالة الاخمينية

الحاكمة التي تشتق اسمها من اسم أحد الملوك من أجداد قورش .))[١] بدأ قورش حياته العسكرية ((بثورة ضد سيده الميدي " استياجي بن سياكساد " واستولى على عاصمته " كبتانا " (همذان الحالية) وأسرملكها استياجس سنة (٥٥٠ ق. م) .))[٢] وبعد توحيد الشعبين الميدي والفارسي تحت رايته أخذ يستعد لمواجهة تحالف عسكري قوي تمثل في ((جيش الملك البابلي " نابو نيدس " والفرعون " اماسس " المصري من سلالة السادسة والعشرين و " كريسوس " ملك ليديا، الواقعة غربي آسيا الصغرى، وجيشاً من مدينة سبارطة من بلاد الإغريق عبر البحار.))[٣]

وقد استطاع قورش أن ينتصر عليهم جميعا حيث كانت بداية النزال عندما وجَّه قورش جيشاً من عاصمته " باسرجادي " فهاجم " كريسوس " ملك ليديا ودحره سنة (٥٤٦ ق.م) ثم استولى على بابل بعد أن هزم ملكها " نابو نيدس " .

أما سورية وفينيقيا وفلسطين، فقد اعترفت بالسلطة الجديدة وهكذا، ولأول مرة في التاريخ، توحدت المنطقة الممتدة من بحر الايجي إلى تخوم مصر في دولة واحدة تحت أمرة إمبراطور واحد هو قورش العظيم، وبالرغم من أن عاصمته القديمة " باسرجادي " ظلت مقرا له فإنه نقل العاصمة الجديدة إلى مدينة سوما التي اقرب إلى أواسط المملكة الجديدة .))[٤] أما مصر فقد فتحت في عام (٥٢٥ ق. م) على يد قمبيز الذي حكم من (٥٢٩ ـ ٥٢١ ق. م) وبذلك يكون الإمبراطور الفارسي قد حكم ((من الهند إلى الحبشة كما جاء في سفر استير من الهند إلى كوش .))[٥]

---

[١] ـ فليب حتى : (خمسة آلاف سنة عن تاريخ الشرق الأدنى) ج١، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص ٧١
[٢] ـ فليب حتى : ج١، ص ٧١
[٣] ـ فليب حتى : ج١، ص٧١
[٤] ـ فليب حتى : ج١، ص٧٢
[٥] ـ سفر استير : ١/ ١

علاقة اليهود بالفرس والعودة :

خلت المصادر التاريخية وحتى التوراتية من أي حديث عن علاقة بين الفرس واليهود قبل الفتح الفارسي لتلك البلاد . وهذا يقودنا لترجيح أحد احتمالين أولهما : أن اليهود في بابل ساعدوا الفرس أثناء دخولهم بابل وكانوا عيوناً للفرس على أعدائهم البابليين وهذا ما أدى بقورش مكافئتهم والسماح لهم بالعودة إلى فلسطين في العام الأول لحكمه على بابل .

والاحتمال الثاني : هو أن قورش كان يعرف ما وقع لليهود على يد البابليين لذا أعتبرهم خلفاء له منذ البداية، وأن عودتهم إلى فلسطين إحدى الولايات التابعة له يشكل نوعاً من الاطمئنان على تلك الولاية هذا مجرد تحليل أو تسائل فقط .

بدأت العلاقة بين الفرس واليهود بعدما فتح قورش بلاد بابل (٥٣٨ – ٥٣٩ ق. م) سار في فتوحاته حتى أحتل سورية وفلسطين، ومن ضمنها أورشليم، فسمح لمن أراد من أسرى نبوخذ نصر (٥٩٧ – ٥٨٦ ق.م) بالرجوع إلى فلسطين، وأعاد إليهم كنوز الهيكل الذي كان قد سلبها نبوخذ نصر وأمر بإعادة بناء الهيكل في أورشليم على نفقة بيت الملك.))[١]

ويبدو أن اليهود لم يعودوا جميعهم إلى فلسطين ويرجح المؤرخون أن الذين رجعوا انحصروا في أولئك اليهود الذين لم يفلحوا كثيراً في الأرض الجديدة والمتعصبون لإعادة بناء الهيكل، لأن الدلائل تشير إلى أن هناك عدد غير قليل أصاب النجاح في بلاد بابل، وأثرى حتى أصبحت لديه ممتلكات كثيرة وآثر البقاء، وعدم المجازفة بمغامرة مجهولة المصير .

---

[١] - أحمد سوسة : ص ٦٧٤

ويقول برايت ((أن وصف حياة الإسرائيليين في منفاهم أمر شاق لعدم توافر المراجع والدلالات . ولكن اليهود في بابل أوتوا حظا من المال والجاه وعاش كبراؤهم عيشة هنية، وكل ذلك لم ينسهم أنهم مغتربون، وكان هذا الشعور أشد وأقوى لدى الذين لم يتخذوا لهم موارد مالية كبيرة في الأرض الجديدة .))[١] ويستطرد برايت بقوله : ((في القرن الخامس قبل الميلاد كان اليهود قد أسسوا أنفسهم هنا وهناك في أنحاء الإمبراطورية الفارسية، وظلت بابل مركزاً لليهود لعد قرون بعد ذلك ظفرت جماعة بالثراء، ظفر بعض من أمثال نحميا بمكانة مرموقة في البلاط الملكي الفارسي وتدل النقوش التي وجدت في آسيا الصغرى على أنه كانت هناك جماعات منهم .))[٢]

وبالعودة لقورش فقد كانت سياسته حين دخل بابل سنة (٥٣٨ ق.م) ((أن يعيد اليهود المسبيين إلى فلسطين، فلم يكن لديه أسباب تدعو إلى عقابهم وهم أصدقاء الفرس، ومنهم مستشاروه وأعوانه، ثم إن وجودهم في فلسطين وهم على هذه المودة معه يؤمن طريقه إلى مصر ويهيئ له مساعدين ولو بالجاسوسية .))[٣]

لقد سمحت العلاقات الطيبة بين الفرس واليهود بعودتهم إلى فلسطين، ولكن العودة لم تكن واحده بل هي عودات سوف نتطرق لها في المباحث القادمة .

العودة الأولى زمن قورش :

التوراة تقص قصة عودة بعض المسبيين من بابل إلى أورشليم في زمن الملك الفارس قورش، وما جرى معهم مع عدم خلوها من الخيال والمفارقات حيث جاء في

---

[١] - جون برايت : (تاريخ إسرائيل) ص ٣٥٩

[٢] - المرجع السابق : ص ٣٥٩ وأنظر اشعياء : ١٩/ ١٦- ٢٥

[٣] - عبد الجليل شلبي : ص ٧١

الإصحاح ((أن الرب نبه روح قورش فأطلق نداء في مملكته كلها قائلا : إن الرب إله السماوات أعطاني جميع ممالك الأرض وأوصاني بأن أبني له بيتاً في أورشليم التي بيهوذا فمن كان منكم من شعبه فليصعد إلى أورشليم ويبني بيت الرب إله إسرائيل..... فقام رؤساء آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه الله روحه ليصعدوا لبناء البيت في أورشليم، وأمدهم من كان حولهم بآنية من الفضة والذهب والمال والبهائم وأشياء ثمينة ... وأخرج الملك قورش آنية الرب لتي كان أخرجها نبوخذ نصر من أورشليم ووضعها في بيت آلهته وسلمها لشلمناصر رئيس يهوذا . لكي يعودوا بها إلى أورشليم))[١]

وفي نفس السفر إحصاء للصاعدين العائدين حسب عشائرهم، وأسباطهم ونكتفي بذكر الأعداد ((حيث بلغ عددهم (٤٢٣٦٠) غير عبيدهم الذين كان عددهم (٧٣٣٧) والمغنيين والمغنيات الذين بلغ عددهم مائتين، والخيل (٧٣٦) والبغال (٢٤٥) والجمال (٤٣٥) والحمير (٦٧٢٠) .))[٢]

ويفهم من عبارة الإصحاح أن الكثير من المسبيين تخلفوا عن الصعود أي العودة إلى أورشليم وبقوا حيث هم . ومما جاء في السفر أيضاً ((أنه لما كان السهر السابع اجتمع الشعب كرجل واحد في أورشليم / وبنى يشوع بن يوصاداق الكاهن وأخوته، وزربابل ابن شالنيل وأخوته، مذبحاً للرب واصعدوا عليه المحروقات – الذبائح – وعملوا عيد المظال وذلك فبل تأسيس هيكل الرب . وفي السنة الثانية شرعوا في البناء باحتفال ديني عظيم.))[٣] وفي الإصحاح الرابع من نفس السفر جاء ((أن أعداء يهوذا وبنيامين سمعوا أن المسبيين العائدين يبنون بيتاً للرب فأقبلوا على زربابل ورؤساء الآباء وقالوا لهم : نحن نبني معكم لأنا نطلب – نعبد – إلهكم مثلكم ونذبح له من أيام إسرحرون الذي صيرنا إلى هنا .))[٤]

---

[١] - عزرا : ١
[٢] - عزرا : ٢
[٣] - عزرا : ٣
[٤] - عزرا : ٤

ويتضح من النص أن هؤلاء القوم هم من الجماعات التي أرسلت من العراق، وأسكنت في مساكن المسبيين أي في فلسطين .((وأنهم تدينوا بالديانة اليهودية بواسطة الكهنة الأويين الذي أرسلهم ملك أشور .))[١] ولكن زربابل وسائر رؤساء آباء إسرائيل ((رفضوا وقالوا ليس البيت الذي نبنيه يأمر قورش لكم ولنا وإنما نبنيه للرب إله إسرائيل.))[٢]

وتتجلى الأنانية لدى القوم العائدين برفضهم مشاركة من يدين بدينهم من غير جنسهم في بناء معبد الإله المشترك بدعوى أن الرب رب إسرائيل والمعبد معبدهم الخاص، وهذه من عقدهم الرئيسية التي كانت وظلت تعقد حياتهم في الماضي والحاضر .

يقول محمد عزة دروزة : ((إن موقف بني إسرائيل العجيب من هؤلاء الشعوب المتهودة التي عرفت في التاريخ باسم السامريين، أدى إلى توطد القطيعة والعداء بينهما على طول الزمن وكثيرا ما أدي ذلك إلى إشتباكات دموية بينهما في سياق ما كانت تتعرض إليه فلسطين من أحداث سياسية وحربية وقد تكونت للسامريين شخصية دينية موسوية خاصة . فهم لا يعترفون إلا بالأسفار العائدة إلى حقبة حياة موسى ككتب مقدسة ولا يسيرون وفق التفسيرات التلموذية كما أنهم متحفظون إزاء التطورات الدينية عند بني إسرائيل ومتزمتون في المحافظة على التقاليد التوراتية القديمة وقد انشأوا معبدا في جبل جرزيم، وهو جبل نابلس الجنوبي ويقيمون عنده طقوسهم وأعيادهم الكبرى وما تزال بقية قليلة منهم إلى اليوم في نابلس يحتفظون بكل هذه المظاهر والتقاليد والشخصية الموسوية الخاصة .))[٣]

---

[١] - الملوك الثاني : ١٧

[٢] - عزرا : ٤

[٣] - محمد عزة دروزة : ص ٢٧٠- ٢٧١

وبذلك تكون اختصاصية بني إسرائيل العائدين من السبي وعنصريتهم قد قسمت اليهود من جديد إلى شماليين وهم السامريين وجنوبيين وهم بين إسرائيل وحالة العداء بينهم أشد مما كانت عليه زمن مملكتي إسرائيل ويهوذا قبل السبي .

وفي الإصحاح الرابع من السفر ((أن شعوب البلاد القدماء تحركوا لإزعاج بني إسرائيل ومنعهم من بناء الهيكل وإعادة تعمير مدينة القدس وبناء أسوارها .))[١] وهكذا تكرار لشعور التوجس الذي ساور أهل البلاد حيمنا جاء بنو إسرائيل إليها من مصر بعد موسى – عليه السلام – بقيادة يوشع بن نون جعلهم يقفون منهم موقف العداء والمناوأه، مع فارق واحد، هو الشعور الأول كان حسا قبل الوقوع في حين أن الشعور الجديد كان منبعثا عن تجربة واقعية وذكريات مريرة .

ويحكي سفر عزرا ((أن الشعوب القديمة المجاورة لبني إسرائيل ظلوا يرفعون شكاواهم وتحذيراتهم جميع أيام قورش واستطاعوا أن يمنعوهم من البناء، وأن يوقفوا نشاطهم . ثم استمرت المساعي أيام الملك الفارسي " ارتحشستا " وكانت الشكوى جماعية ضمنت أسماء جميع الشعوب المقيمة في فلسطين غرب النهر وشرقه .))[٢] أما عن رد الملك الفارسي ((فقد أرسل جواباً قال فيه أنه أمر بالبحث فوجد أن هذه المدينة قامت على الملوك وكان فيها تمرد وفتنة وأنه كان عليها ملوك تسلطوا على جميع عبر النهر وإنه يجب إعلان أمره بالكف عن البناء وبالتحذير من التهاون في هذا الصدد لئلا يتفاقم الفساد.))[٣] ولتنفيد أمر الملك الفارسي قامت الشعوب بالدخول إلى القدس وإيقاف البناء بالقوة، وبقي العمل منقطعا إلى السنة الثانية من ملك داريوس .

---

[١] - عزرا : ٤
[٢] - عزرا : ٤
[٣] - عزرا : ٤

وفي الإصحاح ((أنهم عادوا فشرعوا بالبناء بتحريض أنبيائهم حجاي وزكريا بإشراف زربابل بن شالنيل ويشوع بن يوصاداق . فجاءهم الوالي تتناي، وزعيم آخر اسمه شتربزناي وأصحابهما يسألونهما عن من سمح لهم البناء ثم اتفقوا على الكتابة إلى داريوس، وكانت الرسالة من الوالي والزعيم وأصحابهما . وقد قال فيها أن اليهود يبنون بيتاً لله... بأمر من قورش الذي سمح لهم بالعودة والبناء، وطلبوا منه الأمر بما يلزم... وعنما بحث الملك في الأمر وجد درج كتب فيه أن الملك قورش أبرز أمراً في السنة الأولى من ملكه ببناء بيت الله في أورشليم في مكانه القديم..... وحينئذ أصدر أمراً إلى الوالي وأصحابه بالكف عن المعارضة حتى يبني اليهود بيت الله في مكانه .))[١]

ولا يذكر الإصحاح صفة داريوس هذا مع أنه تولى العرش في زمن خضوع بلاد الشام وفلسطين للحكم الفارسي ثلاثة بهذا الاسم . ولما كان " ارتحشستا " الأول و "أحشويريش " الأول قد ملكا بعد داريوس الأول وأحشويريش هو الذي أمر بمنع اليهود من البناء فيكون الذي سمح لهم به هو داريوس الثاني وذلك نحو (٥١٥ ق . م) وهذه هي مجمل الأحداث التي حدثت بعودة السبي الأول والتي أمر بها قورش الملك الفارسي الأول.

العودة الثانية زمن ارتحشيستا الأول (٤٦٥ – ٤٢٤ ق. م) :

يتضح خلال التوراة أن العودة الأولى والثانية كان يتزعمها أنبياء حيث جاء في السفر ((أن عزرا الذي يتصل نسبه بها رون، والذي نشأ في المنفى ... صعد من بابل إلى أورشليم بإذن الملك ارتحشيستا، ورضاه ومعه قوم من بني إسرائيل من الكهنة واللاويين..... وكان يحمل معه رسالة من الملك يقول فيها : أن لكل من شاء من شعب إسرائيل وكهنته في مملكته الرجوع إلى أورشليم معه الإذن بذلك .))[٢]

---

١ - عزرا : ٥
٢ - عزرا : ٥

أما على صعيد التسهيلات، والخدمات التي نص عليها في خطاب الملك الفارسي فهي تفوق تلك التي أوصى بها قورش للسبي الأول . فقد جاء في السفر ((أن الملك يأمر عزرا أن يأخذ معه الفضة والذهب الذي تطوع به الملك لبناء بيت الله، ويأخذ كل ما يتطوع به الشعب في بلاد بابل أيضاً من ذهب وفضة ليشتري ثيراناً وكباشاً وحملاناً ليقربها على مذابح بيت إلهه، ... وله أن ينفق كل ما يحتاج من بيت خزائن الملك، وأنه يأمر جميع الخزان الذين في عبر النهر بإعطائه كل ما يطلبه منهم عاجلا إلى مئة قنطار فضة، ومئة كر قمح، ومئة بث خمر، ومئة بث زيت، ويأمر الملك بعدم ضرب خراج ولا جزيه ولا ضريبة على أي واحد من الكهنة واللاويين وأي من خدام بيت الرب، ويأذن لعزرا أن يقيم قضاة وحكاما يقضون بين جميع الشعب الذين في عبر النهر، وأن كل من لا يعمل بهذه الشريعة يقضى عليه عاجلاً إما بالموت أو النفي أو غرامة مال أو حبس .))[١]

وفي الإصحاح الثامن من سفر عزرا للذين صعدوا مع عزرا إلى أورشليم وأسماء رؤسائهم وعشائرهم، ونكتفي بمجموع ذكورهم كما ورد ((حيث بلغ ذكروهم ألفاً وثمانمائة .))[٢]

ويفهم من الإصحاح أن الكثير من سبي إسرائيل ويهوذا حيث هم في المنفى لم يعودوا إلى أورشليم مع العائدين، والغالب أنهم اندمجوا في حياة العراق الدينية والاقتصادية والاجتماعية . ويسرد الإصحاح الثامن من سفر عزرا الأحداث التي جرت في طريق العودة من العراق إلى أورشليم حيث يقول ((أن عزرا استحى أن يطلب من الملك جيشاً وفرساً لخفر الصاعدين في الطريق لأن الملك قال له : أن يد إلهه على ما جميع طالبيه للخير وبأسه وسخطه على جميع تاركيه، وأن عزرا طالب القوم العائدين

---

١ - عزرا : ٧
٢ - عزرا : ٨

بالصوم عند نهر أهوى وأن يتذللوا أمام الله ليجعل الطريق مستقيماً لهم، ولصغارهم وأموالهم، وأنه جعل المال بيد الكهنة وأمرهم بحراسته .))[1] ويظهر السفر مرة أخرى التعالي والعنصرية لدى القوم العائدين حيث ورد فيه ((أن رؤساء اليهود تقدموا إلى عزرا قائلين أن شعب إسرائيل لم ينفصلوا عن الشعوب الأرض من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والمؤابيين والمصريين والآموريين، وأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم زوجات، واختلط النسل الطاهر بأمم الأرض بل كانت يد الرؤساء والعظماء في ذلك الأولى .))[2]

ففكرة الاختصاص هذه لم تتغير عند بين إسرائيل حتى بعد السبي فهم على موقفهم من الشعوب الأخرى حتى في حالة الضعف والهوان، وهذا التصرف بالطبع ظل يثير عليم ثائرة الشعوب ويدفعهم إلى الوقوف منهم موقف العداء والحقد . كما يفهم من السفر أن شعوب فلسطين قاطبة ظلت أثناء السبي وبعده أصحاب البلاد وسكانها، وأصحاب السطوة فيها، ثم أن بني إسرائيل العائدين ووقعوا تحت تأثيرهم ثانية كما كان شأن آبائهم قبل السبي .

أما عن موقف عزرا مما سمعه حول عدم انفصال شعب إسرائيل عن الأقوام والشعوب الأخرى والتزاوج معهم فقد جاء في السفر ((أنه عندما سمع بذلك مزق ثوبه ونتف شعر رأسه ولحيته.....   ثم في المساء يقول عزرا : جثوت على ركبتي ... وبسطت يدي إلى الله قائلا إني لمستح خجلا أن أرفع إليك وجهي لأن ذنوبنا تكاثرت وتفاقم اثمنا ... وهذا ما أسلمنا إلى ملوك الأرض للسيف، والجلاء، والنهب والخزي ... لأننا تركنا وصاياك التي أمرت بها ... بأن لا نعطي بناتنا لأبناء شعوب الأرض، ولا نأخذ بناتهم، ولا نطلب سلمهم ولا خيرهم إلى الأبد.....   ثم نعود وننقض وصاياك و نصاهر أمم هذه الرجاسات ولا تغضب علينا ... ثم عاهد الرؤساء والكهنة عزرا على العمل حسب

---

[1] - عزرا :٨
[2] - عزرا : ٩

الشريعة .))[1] ويفهم من السفر أيضاً أن كثيراً من العائدين وفي جملتهم بنو الكهنة قد اتخذوا نساء غريبات ومنهن من أنجبن أولاداً .

وبناءاً على ما تقدم نتساءل عن هذه الشريعة ، وهذا الإله الذي يرفض التعامل مع الأقوام الأخرى والمصاهرة معهم حتى المعتنقين للشريعة نفسها . فكل الشرائع السماوية تنادي بالخير والمحبة بين الناس إلا هذه الشريعة التي فصّلت على مقاس بني إسرائيل فقط.

ومن الأسفار التي تحدثت عن فترة السبي والعودة سفر نحميا ونحميا هذا من الذين تخلفوا عن العودة، وكان ساقياً للملك الفارسي أرتحشستا الذي من المرجح أنه الثاني أو الثالث وأهم ما جاء في هذا السفر أن نحميا كان يعتبر نفسه قائداً في أرض يهوذا حيث يقول ((أني منذ يوم أمرت أن أكون قائداً في أرض يهوذا من السنة العشرين إلى السنة الثانية والثلاثين لا رتحشستا لم آكل أنا ولا إخوتي خبز القائد – أي مخصصاته –..... وإنما تعلقت على عمل السور – سور أورشليم – .))[2] والذي يفهم من الإصحاح أن الملك الفارسي طلب من نحميا أن يذهب إلى أورشليم ويكون قائداً لبني إسرائيل وأن يعمل على إنجاز سور القدس ومن الصعاب التي واجهت نحميا في أورشليم ((أن سنليط، وطوبيا، وجاشم العربي وسائر الأعداء لما سمعوا أن نحميا بنى السور ولم يبق فيه ثلمة ... بعث سنبليط وجاشم إليه يطلبان اللقاء وقد أضمرا له سوء . فلم يستجب إليها .)) [3] وأكمل نحميا بناء السور رغم كل الصعاب والتحدي من قبل زعماء الشعوب المجاورة الذين حاولوا منعه، وخوفوه بأن يحرضوا عليه ملك فارس بحجة أنه يبني السور لكي يعلن نفسه ملكاً على أورشليم، ويخرج على حكم ملك فارس ولكن يبدوا أن علاقة بني إسرائيل

---

[1] - عزرا : ٩
[2] - نحميا : ٥
[3] - نحميا :٦

العائدين بملك فارس لم تكن تتعدى أنهم أتباع، وأن زعماء إسرائيل قيمين على مصالح الفرس وبحكم أن فلسطين ولاية فارسية وأن الفرس يفعلون بها ما يشاؤن . لذلك نرى أن وشاية زعماء الشعوب المجاورة عند ملك فارس لم تكن لتلقى آذان صاغية فهو يعرف أن اليهود يدينون بالطاعة والولاء له فهو سيدهم الذي أعادهم إلى فلسطين ونزعم أنهم كانوا عيناً لملك فارس على الشعوب الأخرى وعلى مصر أيضاً.

أما حال القوم بعد بناء السور في أورشليم ((سكن رؤساء الشعب في أورشليم، واتفقوا على أن يسكن عشر الشعب فيها ويسكن الأعشار التسعة الباقية في المدن الأخرى.))[١]

وبخصوص الشعوب المجاورة جاء في التوراة ((أن نحميا حينما قرأ في سفر موسى وجد فيه أن لا يدخل العمونيون ولا المؤابيون في جماعة الله إلى الأبد لأنهم لم يتلقوا بني إسرائيل بالخبز والماء بل استأجروا عليهم من يلعنهم، ولما سمع الشعب ذلك فرزوا كل دخيل .))[٢] والواضح هنا أنه كان قد اندمج في اليهودية طوائف من العمونيين والمؤابيين في حقبة السبي، وفي الجماعة الذين بقوا في الأرض أو الذين عادوا من السبي وفي الإصحاح ما يدل على أن نحميا هذا عاد إلى العراق بعد بناء السور ثم عاد ثانية إلى أورشليم بإذن الملك ارتحشيستا واللافت هنا أنه عند عودته ((وجد القوم يعصرون الخمر في المعاصر يوم السبت، والصوريون يبيعون السمك في يوم السبت لأهل يهوذا، كما وجد بني يهوذا قد تزوجوا نساء أشدود يات وعمونيات ومؤابيات حتى لقد كان أولادهن لا يحسنون التكلم باليهودية .[*]))[٣] ويحكي الإصحاح حنق نحميا وغضبه على ذلك، وتنديده بالمخلين بالسبت، هذا يدل على سرعة انحراف القوم من اليهود العائدين من السبي، وانحرافهم عن وصايا شريعتهم كما كان شأنهم في معظم حقب تاريخهم .

---

١ - نحميا : ١١
٢ - نحميا : ١٣
* - هل كان هناك يهودية أي لغة خاصة ببني إسرائيل هناك شك في هذا القول .
٣ - نحميا : ١٣

وعاد القوم وكان من شأنهم ما كان حيث أوضحنا ذلك من خلال العودتين الأولى والثانية ولكن هل عاد القوم جميعاً إلى أورشليم ؟ لا كما يبدوا من التوراة أن الكثير منهم لم يعودوا، وكان لهم الكثير من الأحداث والقصص في بابل حتى بعد العودتين . فهناك سفر كامل في التوراة هو سفر استير وحسب التوراة أن أحداثه وقعت بعد العودة، وأن واستير هذه ممن تخلفوا عن العودة إلى أورشليم .

ويميط هذا السفر اللثام عن العلاقة القوية والمتينة التي كانت بين اليهود والفرس أثناء السبي البابلي . حيث جاء في السفر ((أن الملك أخشوريش غضب على زوجته لرفضها تنفيد أمره بالظهور أما مجلس شرابه بزينتها، وأخذ يبحث عن بديلة لها فسميت له فتاة من اليهود تدعى استير كانت من الذين تخلفوا عن العودة إلى أورشليم، وكانت في حضانة ابن عم لها اسمه مردخاي . ولما رآها الملك نالت حظوة لديه، وغدت زوجة له وملكة .))[١] ومما ورد في **السفر أن استير عملت هي وابن عمها مردخاي على كشف مؤامرة ضد الملك زوجها، وهذا زاد من مكانتهم وقومهم عنده . ثم إفشال مؤامرة هامان التي كاد أن يقتل بها كل شعب إسرائيل الذي بقي في العراق . وغير ذلك الكثير من القصص التي تدل على مدى تمكن استير وابن عمها في البلاط الفارسي [٢] وفي نفس السفر الإصحاح العاشر اتساع سلطة الملك أحشويروش**، وعظمة مكانة مردخاي ((ووضع الملك أحشويروش جزية على الأرض وجزائر البحر . ووكل عمل سلطانه وجبروته، وإذاعة عظمة مردخاي الذي عظمة الملك كما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك مادى وفارس . لأن مردخاي اليهودي كان ثاني الملك أحشويروش ، وعظيما بين اليهود، ومقبولا عند كثرة أخوته طالبا لشعبه ومتكلماً بالسلام لكل نسله .))[٣] وتفيد قصة استير أن اليهود الذين تخلفوا عن العودة إلى أورشليم كثيرون وأنهم كانوا منتشرين في

[١] - استير : ١/ ١٠- ١١- ١٢ و ٢/ ١٩- ٢٠
[٢] - انظر استير : الإصحاح الثالث والرابع والخامس
[٣] - استير : ١/١- ٢ /٣

أنحاء مملكة فارس الواسعة ((والتي كانت تضم مئة وسبعة وعشرين إقليماً وتمتد من الهند إلى الحبشة .))[١]

وبهذا يكون السبي استمر منذ عام (٥٨٩ ق. م) في عهد نبوخذ نصر ثم انتهى رسمياً في السنة الثانية من حكم قورش على مملكة بابل أي سنة (٥٣٨ ق. م) حيث أمر بالنداء في مملكته بالإذن لمن يريد أن يعود إلى أورشليم من اليهود ، فكانت عودة القافلة الأولى وبعودتها يكون السبي قد انتهى . وبعد ذلك من تخلف عن العودة لا يعد مسبياً بل بقي في بابل بكامل حريته، بذلك تكون فترة السبي الحقيقية لم تتجاوز الأربعين سنة ونيف حسب كل المصادر التاريخية في حين أن التوراة تقول أنها سبعين سنة .

---

[١] ـ محمد عزة دروزة : ص ٢٨٤

الخاتمة :

في ختام هذه الدراسة توصل الباحث إلى نتائج من خلال ما طرحه في متن هذا البحث .

أولا : إن موقع فلسطين من الناحية الجغرافية والاستراتيجية جعلها دائما مطمعا لجيرانها المحيطين بها فمن يملك ها الممر الهام يستطيع التحكم في البوابة التي تربط آسيا بإفريقيا .

ثانيا : إن فلسطين تظل في مأمن طالما القوى العربية المحيطة بها في أوج قوتها وقادرة على حماية هذا الممر الهام، وأما إن أصاب مصر أو العراق أو الشام الضعف أو أصابهم الضعف مجتمعين كانت فلسطين لقمة سائغة لكل طامع .

ثالثا : من خلال السياق التاريخي للأحداث وجدنا أن عهد سيدنا إبراهيم – عليه السلام – يبعد عن عهد سيدنا موسى ما يقرب من ستمائة سنة، وهذا يكفي لنفرق بين العهدين ولا نربط بينهما كما حاول اليهود تضليل الأمم بزعمهم أن تاريخهم يبدأ بإبراهيم – عليه السلام – .

رابعا : وجدنا أن الفترة التي عاش فيها موسى عليه السلام هي الفترة التي يمكن لنا فيها استعمال مصطلح بني إسرائيل لأنهم أبناء يعقوب وهم الأسباط الاثنى عشر وأبوهم يعقوب حفيد إبراهيم – عليه السلام – هو " إسرائيل " .

خامسا : أن كل ما يدعيه اليهود اليوم من أن أرض فلسطين حق تاريخي لهم، ووعد ديني من الله لهو من قبيل التلفيق والتزوير للحقائق الدينية والتاريخية والأثرية، لذا يجب أن ينظر إلى هذا التاريخ من خلال المكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية والحقائق القرآنية .

سادسا : بعد السبي تنكر الكثير من اليهود لمشروع عزرا ولم يتحقق، ولكن بقاءه في التوراة ساعد القوم فيما بعد إلى تحقيق هذا المشروع الاحتلالي الاستيطاني على أرض فلسطين اليوم .

سابعا : شعب تشبث بعقيدة مزيفة حملها عبر القرون، واستطاع برغم كل الشتات أن يحقق مشروعه بينما فشلنا نحن المسلمون اليوم في التمسك بمشروعنا الإسلامي الحضاري الذي شهد له القاصي والداني فأين الخلل .

ثامنا : الصراع بيننا وبين اليهود صراع ديني وليس سياسي كما يزعم الكثير من اللبراليين، والعلمانيين، والقوميين وغيرهم . فهو صراع بين حق وباطل .

تاسعا : من خلال البحث ثبت أن شعب مملكة إسرائيل المسبيين لم يرجع منهم أحد إلى أرض فلسطين، وتفرقوا في شتات أبدي أما شعب مملكة يهوذا فقد عاد البعض منهم، وبقي الكثير في بابل لأنهم اندمجوا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

عاشرا :اختلاف النظرة لدى اليهود بعد السبي لكل الشعوب من غير اليهود ووضع أسس الدين الجديد بقلم عزرا ونحميا ومن قبلهم حزقيال وكذلك وصل التجديد إلى الإله فقبل السبي كان الإله يدعى " إلهيم " ذلك الإله المسالم إله إبراهيم – عليه السلام – وسلالة الأنبياء من ذريته إسحاق ويعقوب ويوسف وموسى ويوشع وداوود وسليمان – عليهم جميعا وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام – كل هؤلاء الأنبياء دعوا لله الواحد الذي لا يعرف العنصرية وهو رب البشر جميعا وهو إله عادل ورحيم بعكس إله بعد السبي " يهوه " .

الحادي عشر : ولم يكتف اليهود بأن جعلوا تاريخهم يرجع إلى عهود قديمة لم يكن لها أي وجود في الحقيقة بل ساروا على هذا النحو في إرجاع لغتهم العبرية إلى عهود قديمة أيضا، لم يكن لهم أي وجود فيها فقد اعتبروا وجود لغتهم العبرية قبل دخولهم أرض فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وأطلقوا عليها اسم (عبرية التوراة)

وفي حين أن العبرية التي كتبوا بها التوراة مشتقة من الآرامية، (Biblica Hebrew) ولم تظهر إلا بعد مرور أكثر من ستماءة عام على دخول اليهود أرض فلسطين فكتبوا العهد القديم بها . مما يثير الغرابة أن الكثير من الباحثين قد أخذوا بهذا التزييف للواقع التاريخي، على الرغم من اعتراف التوراة ذاتها بأن اللغة القديمة في لغة كنعان .

رغم ضالة ما تحت أيدينا من معلومات بعد العودة مباشرة إلا أننا لا نستطيع أن نقرر أن العائدين من السبي سمح لهم بحرية دينية يسرت إعادة بناء المعبد في النهاية الأمر دون معارضة بل بتشجيع مادي وأدبي كذلك .

أما الحرية السياسية فلم تكن أمرا ممكنا ذلك لأن العائدين من السبي نقلوا من ناحية من الإمبراطورية الفارسية إلى ناحية أخرى رؤى أنها أصلح لحياتهم فهم موالي الفرس – شأنهم شأن من خضعوا بالسيف – وعليهم أداء الجزية كاملة غير منقوصة . فنراهم يضيقون ذرعاً بقيادتهم السياسية والدينية على السواء ((... وأما الأنبياء فعميان ... كلاب خرساء لا تنبح رغم شرهها الشديد ...والحكام فزّاعات بغير فهم إلا فيما يتصل بما يجنون من أرباح))[1] و ((سحرة فاسقون حالفون زورا سالبون أجرة الأجير، الأرملة واليتيم))[2] ولما وجدوا أن الآمال لم تتحقق كما قال لهم أنبيائهم ((بدأوا يرتدون في عنف حتى ذاع الإلحاد وتفشى في صفوفهم .))[3] .

في بابل ولدت نظرية تطهير إسرائيل من خلال نبوة حزقيال القائلة ((بأن السبي إلى بابل ليس سوى أسلوب " يهوه " في تطهير إسرائيل المتمردة والملحدة لتكون جاهزة للسيطرة على العالم عن طريق حكومة يهودية عالمية تقوم على دين " يهوه " .))[4]

---

[1] - اشعياء : ٥٦/ ٩- ١٢

[2] - ملاخي ٣/ ٥

[3] - ملاحي : ٢/ ١٧

[4] - إسماعيل راجي الفاروقي : (الملل المعاصرة في الدين اليهودي)، دار وهبة، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٥

وهكذا استغل اليهود المصاعب التي مروا بها خلال تاريخهم ليسطروا على صعيد العالم . والملفت أن هذا التعصب ليس من أجل الحفاظ على جماعتهم وروحهم الجماعية، ولكن من أجل الهيمنة والسيطرة على العالم . وتذكر الموسوعة اليهودية أنه أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية بعد حزقيال كما أعيد وضع جميع الكتب المقدسة السابقة المخالفة للنصوص الجديدة أي نصوص سفر حزقيال . وحزقيال هو أول من أعطى للإله " يهوه " الألوهية التي ميزته عن جميع الآله الأخرى .

ولكي يتحقق التطهير ويتم لحزقيال ما أراد كان لابد من ابتكار إله جديد مغاير للآلهة الأخرى وبمواصفات خاصة تتناسب والهدف والغاية التي يريدون، حيث سيقوم هذا الإله " يهوه " الجديد بأختيار " شعبه المختار " من بين الشعوب جاء في السفر ((لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك أصطفى الرب إلهك أن يكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض .))[١] وهذا الإله الجديد سوف يقوم من خلال شعبه المختار بتدمير كل الآلهة الأخرى ويسود حكمه وحكم شعبه الأرض كلها ((الرب رهيب عليم فسيستأصل جميع آلهة الأرض وله يسجد الناس كل واحد من موضعه جميع الأمم .))[٢] وعدّ الأمم الأخرى من غير اليهود " جوييم " ومعناها عندهم العدو العالمي المكروه . والجوييم خلقهم يهوه على هيئة البشر ليستأنس بهم شعبه المختار والتلمود كتاب اليهود المقدس بعد التوراة جاء فيه " ملعونة كل الشعوب ومبارك شعب اليهود .)) و ((استيلاء اليهود على ما يملكه الجوييم حق وعمل تصحبه المسرة الإلهية)) و ((يستحق القتل كل جوييم حتى ذوي الفضل منهم .)) ولكي ينجح المخطط الجديد كان لا بد من وضعه في ثوب الشريعة . وكانت الغاية من هذه الشريعة الجديدة تنظيم اليهود تنظيما قتاليا يجعلهم أهلا للسيطرة

---

[١] - سفر تثنية الاشتراع : ٧ : ٦
[٢] - نبوة صفينا : ٢/ ١١

على أعدائهم الجوييم يقول الرب " يهوه " ((وأرسل هيبتي أمامكم وأكسر جميع الجوييم الذين تسير إليهم، وأجعل أعدائك بين يديك مدبرين، وأبعث الزنابير أمامك فتطرد الجويين والكنعانيين والحيثيين من وجهك، ولا أطردهم من وجهك في سنة واحدة كيلا تصير الأرض كفرا فتتكثر عليك وحوش الصحراء لكنني أطردهم قليلا من أمامك إلى أن تنمو فتحرث الأرض وأجعل تخمك من بحر القلزم إلى بحر فلسطين من البرية إلى النهر فإني أسلم إلى يديك سكان الأرض فتطردهم من أمام وجهك لا تقطع لهم ولا لآلهتهم عهدا ولا يقيموا في أرضك .))[١]

يقول الدكتور الفاروقي ((في المنفى تبلور وعي اليهود الآخروي في خطين عريضين . خط يرى الآخرة في العودة إلى أورشليم وإقامة المملكة الداوودية السياسية على يد مخلص يلم شتات اليهود – وهذه هي بداية الفكر العنصري الصهيوني – وخط يرى الآخرة كعبث شخص ومحاكمة شخصيّه عن الأعمال في الدنيا ثم الإحالة إلى ملكوت الله .

فالخطان إذن خط مادي عنصري جغرافي شعبي، وخط روحاني شخصي ديني))[٢] وفي دائرة المعارف العبرية : يقرر " كوهلر ":((إن اليهودية ليست عقيدة أو نظاما من العقائد يتوقف مع قبولها الفداء أو الخلاص في المستقبل ولكنها نظام للسلوك البشري))[٣] أما عن الجنة في الفكر اليهودي فهي على الأرض وأن الجنة الأرضية خاصة بهم دون الشعوب الأخرى . ويوم القيامة في الفكر اليهودي هو يوم بعث الدولة اليهودية في فلسطين ويوم الحساب هو أن تحاسب إسرائيل كل شعوب الأرض .

بل إنهم ذابوا في الشعوب التي امتزجوا بها . أن الأرض التي حاولوا من قبل اغتصابها بقيت لأصحابها الأولين، وتركزت فيها الأديان من بعدهم، وأما هم فلم يعودوا إليها، وهي ليست لهم فهم مغتصبون نزلوا ضيوفا ثقالا على أصحابها مدى قرنين ونصف

١ - الخروج : ٣٣/ ٢٧
٢ - إسماعيل راجي الفاروقي : ١٦ – ١٧
٣ - أمور الجندي : (الأسلام والفلسفات القديمة)، دار الاعتصام، بيروت، ص ٤٤

من الزمان ثم طردوا منها، لأنها ليست أرضهم، ولقد مرت قرون طويلة ضاعت خلالها قوميتهم وجنسيتهم، كما لم يكونوا في الأصل جنسا نقيا ظلوا كذلك بعد السبي وفقدوا في التاريخ بعد أن امتزجوا بالشعوب التي حلوا فيها امتزاجا كاملاً وأن لم ينسوا مطلقا أنهم دخلاء فظلوا يعكرون المياه ويثيرون المؤامرات مما عرضهم على الدوام لألوان من

الانتقام الوحشي كان نتيجة طبيعية لجحودهم ومن عجب أن إفنائهم لم يتم رغم ذلك كله فبقيت منهم بقية مدى تسعة عشر قرنا ظلت تتشبث بالحياة رغم ما تلقي حولها من كراهية.

لقد جهد ملوك الأرض وذوي السلطان على مر العصور في التخلص من هذا العنصر الكريه مستغلين في سبيل ذلك أقصى ما يسعهم من قوة ومقدرة.... وحاولت الشعوب من بعد الملوك وذوي السلطان، أن تقضي عليهم وتكاتف المسيحيون والمسلمون والوثنيون لإنقاذ هذه الرغبة المشتركة ولكن لا تزال بقية باقية منهم تنتشر في أنحاء العالم تثير القلق والاضطراب وتسعى إلى العودة إلى ما تسميه بأرض الميعاد.. وهي أرض لا حق لهم فيها اللهم حق الضيف الثقيل في بيت آواه فترة من الزمان – راضيا أو كارها – فخيل إليه أنه صاحبه .

قائمة المراجـع

١/ القرآن الكريم

٢/ التوراة : دار الكتاب المقدس – الشرق الوسط ، (بدون تاريخ) .

٣/ إبراهيم الشريقي : اورشليم و أرض كنعان ، الشرق الأوسط للطباعة ، عمان الأردن ، ١٩٨٥ م

٤/ أبكار السقاف : إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، القاهرة ، بدون دار نشر ، ١٩٦٧ م .

٥/ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، دمشق مكتبة دار الفيحاء ، ١٩٩٤م .

٦/ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الثامنة ، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع ، دمشق ١٩٩٣.

٧/ أحمد فخري : مصر الفرعونية ، الطبعة السابعة مكتبة النجلو المصرية ، ١٩٩١م

٨/ أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٣.

٩/ أحمد كمال : العقد الثمين ، بيروت ، دار الشروق ، (بدون تاريخ) .

١٠/ اسماعيل راجي الفاروقي : الملل المعاصرة في الدين اليهودي ، دار وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٨

١١/ أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ،دمشق،دار الفيحاء ١٩٨٢

١٢/ أنطون مور تكات : تاريخ الشرق القديم ، تعريب توفيق سليمان وعلي أبو العساف وقاسم طوير ، مطبعة افنشاء دمشق ، ١٩٦٧.

١٣/ أنور الجندي : الإسلام و الفلسفات القديمة ، دار الإعتصام ، بيروت ، بدون تاريخ

١٤/ بطرس عبد الملك وآخرون : قاموس الكتاب المقدس ، منشورات مكتبة بيروت ، بإشراف رابطة الكنائس في الشرق الأوسط ، ١٩٨١ م .

١٥/ جون برايت تاريخ إسرائيل

١٦/ جون هامرتن : تاريخ العالم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ

١٧/ جيمس هنري برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور ، ترجمة حسن كمال ، القاهرة ،

١٨/ جيمس هنري برستد : العصور القديمة ، ترجمة دار قربان ، للطباعة والنشر ، المطبعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٣٦

١٩/ جيمس هنري برستد : فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، دار مصر للطباعة ، ١٩٥٦

٢٠/ جيمس هنري برستد : انتصار الحضارة ،(تاريخ الشرق القديم) ، ترجمة أحمد فخري ، مكتبة دار الثقافة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٢

٢١/ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، ترجمة وتأليف ، بيروت – المطبعة الامريكالية ، ١٩٥١

٢٢/ حسن بيرنيا : تاريخ ايران القديم ، مكتبة النجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٧.

٢٣/ حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي أطواره ومذاهبه ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٠

٢٤/ ديلابورت : بلاد ما بين النهرين . (الحضارتان البابلية والآشورية) ، ترجمة محرم كمال ، بإشراف إدارة الثقافة العامة ، من مجموعة الألف كتاب ، ١٩٢٥

٢٥/ رجاء جارودي : فلسطين أرض الرسالات الإلهية ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ، دار التراث القاهرة ، (بدون تاريخ) .

٢٦/ سليم حسن : مصر القديمة ، ج٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

٢٧/ سليم كان صانع : تاريخ الموصل ج١ بغداد ،العراق (بدون تاريخ).

٢٨/ سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، ج١ ، الطبعة الخامسة ، (دار إحياء التراث العربي)، بيروت – لبنان ، ١٩٦٧م.

٢٩/ الشيخ نسيب الخازن :من الساميين إلى العرب ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٢ .

٣٠/ صابر عبد الرحمن طعيمة : اليهود بين الدين والتاريخ ، مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ .

٣١/ طه باقر : تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، دار البيان ، مطبعة الحوادث بغداد ، ١٩٧٣.

٣٢/ طه باقر وآخرون :تاريخ ايران القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٩ م .

٣٣/ عباس محمود العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء ، مطابع دار الهلال ، (بدون تاريخ).

٣٤/ عبد الجليل شلبي : اليهود واليهودية ط٢ ، مطابع أخبار اليوم ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

٣٥/ عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، دار النهضة المصرية ، (بدون تاريخ) .

٣٦/ عبدالرحمن الخطيب : الظروف الدولية التي ادت الى قيام دولة بني اسرائيل الاولى في فلسطين ، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة امدرمان الاسلامية ، ١٩٩٧م.

٣٧/ عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم . (مصر والعراق) ج١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥.

٣٨/ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، منشورات دار الهلال ، ١٩٩١

٣٩/ عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون ، مجلدان في أربع أجزاء ، لا يوجد مكان وزمان للطبع .

٤٠/ غوستاف لوبن : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

٤١/ فرانكو فور : فجر الحضارة في الشرق الأدنى القديم ، مؤسسة فرانكاين للطباعة والنشر ، بيروت ، نيويورك ،(بدون تاريخ).

٤٢/ فليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، بيروت ، ١٩٥٨ م

٤٣/ فليب حتي : خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى ، م١ ، دار المتحدة للنشر ، ط١ ، (بدون تاريخ) .

٤٤/ مجلة الصخرة : اسبوعية تصدر عن منظمة التحرير الفلسطينية – الكويت ، العدد ٦٥ بتاريخ ٢٦/ ١١/ ١٩٨٥م .

٤٥/ محمد بيومي مهران : المدن الفنيقية ، درا النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٤ .

٤٦/ محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ج٣ ، (في بلاد الشام) ، بيروت ١٩٨٨ .

٤٧/ محمد بيومي مهران : مصر و الشرق الأدنى القديم ج٣ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨.

٤٨/ محمد عزت دروزة : تاريخ الجنس العربي ، ج٢ ، المكتبة العصرية – للطباعة والنشر ، صيدا ، بيرو ت ١٩٩٥م.

.

٤٩/ محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ج٢ ، ج٣ ، ج٤ ، مطابع شركة الإعلانات (بدون تاريخ).

٥٠/ محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٩٨١

٥١/ محمد متولي الشعراوي : إعجاز القرآن الكريم ، محاضرة ، تلفزيون جمهورية السودان ، بتاريخ ،١٩٨٦/٧/١٧م .

٥٢/ محمود الشريف : اليهودية في القرآن الكريم ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٨٧م .

٥٣/ المسعودي : مروج الذهب ، ج١ ، دار الفكر ، ١٩٨٩ م .

٥٤/ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٤ م .

٥٥/ نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر و الشرق الأدنى القديم ، ج٢ ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٦٦ م .

٥٦/ نوث : تاريخ إسرائيل القديم .

٥٧/ نيوزنر : تاريخ اليهود في بابل ، (العهد الفري)

٥٨/ هـ . ج ويلز : موجز تاريخ العالم

٥٩/ وول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، ط٣ ، جامعة الدول العربية ، بدون تاريخ .

٦٠/ يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، (بدون تاريخ) .

الفهرس

و لله الحمد من قبل و من بعد